آية الله السيد محمد تقي المدرسي

التشريع الإسلامي

مناهجه ومقاصده

الجزء الخامس

المقدمـة

الحمد للـه رب العالمين ، وصلى اللـه على محمد وآله الطاهرين .

لماذا نحن بحاجة الى اعادة بناء ثقافتنا الاصيلة ؟

لا يزال هذا السؤال هو الاول في الحقل الثقافي . فمنذ ثلاثة عقود ونحن نلح وسائر حملة الرسالة على هذا التطوير ، ونسعى بقدر او آخر في سبيله . لماذا ؟

اولا : لاننا نتعرض لزخم متدفق من الانتاج الثقافي الغريب في صورة كتب مترجمة وصحف وافلام وسائر الوسائل الاعلامية والتثقيفية ، ولا زالت شعوبنا متأثرة بهذا الزخم الذي اصبح كالجزء الذي لا غنى عنه لهم . ولم يعد الحديث عن منعها حديثنا جدياً ، انه اشبه ما يكون بالسخرية . ولان تلك الثقافة حيوية متطورة بالرغم من خوائها ، فان علينا ان نستخرج من معادن ثقافتنا الغنية عناصر حيويتها ونطورها حسب حاجات شعوبنا ، ثم نعيد صياغتها وننتجها بشتى ألوان الانتاج مقروءا ومسموعاً ومرئياً .

ثانيا : وكل يوم نعيش تحدياً حضارياً جديداً ونواجه احداثاً ووقائع لا نعرف احكامها ومنهج مواجهتها ، حتى جعل الكثيرين يقبلون على الانظمة الغربية والقوانين الدولية لتطبيقها . أرأيت التجارة اليوم هي التجارة الماضية ، او مشاكل المال هي ذاتها مشاكله القديمة ؟ والعلاقات الدولية في السياسة ، في الاقتصاد ، في ثروات البحار ، واستخدام الفضاء ومسائل البيئة .. أرأيت انها هي هي مثلما كانت سابقاً ؟

كلا .. ومن هنا تجد ماكنة التقنين تعمل ليل نهار في مختلف بلاد العالم لتنتج انظمة وقوانين ، وعلينا اما اتباعها او انتاج بديل لها . ذلك البديل الذي يستوحى من اصول ثقافتنا ، ما يتناسب وتطور العصر .

ان بعض الدول اليوم تسعى جاهدة لتطبيق احكام الدين ، ولكن المسؤولين عنها يسألون ؛ ما هي احكام الدين في قضاياهم الكثيرة التي يواجهونها ، ولا ريب ان مفردات الاحكام الفرعية القديمة لا تشكل الا نسبة ضئيلة من تلك القضايا ، فماذا نصنع ؟

ومن هنا فمن اجل مواجهة الثقافة الغربية الغازية ، ومن اجل مواجهة المشاكل اليومية العالقة ، فان علينا اعادة بناء ثقافتنا .

وحين نقول ثقافة ، فاننا نعني تقريباً كل شيء يتصل بالفكر ، ابتداءاً من اصول الاخلاق والتربية ، ومروراً بالتوجيه الجماهيري والاعلام ، وانتهاء بالقوانين المرعية والاحكام المتبعة .

وهذا الكتاب الذي نسأل الله تعالى ان يوفقنا لاتمامه ، انما هو جهد بسيط في سبيل اعادة بناء الثقافة بكل ابعادها . وفيه هذا الكتاب نستوحي من كتاب ربنا سبحانه ، وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) واهل بيته (عليهم السلام) تلك القيم الثابتة التي لا تغيير فيها ولا تحويل ، ونسعى من اجل تطبيقها على بعض الحقائق التي نعايشها ، فالكتاب - إذاً - يرجى له ان يكون جسراً بين واقعنا وقضاياه ، وبين قيم الوحي .

وابتداء من هذا الجزء نضيف الى المنهج استلهام الاحكام الفقهية من كل قيمة ندرسها . وهذا الجزء والجزء الذي يليه انشاء الله يبحثان عن قيم الهدى ، وهي القيم التي تتصل بالجانب العلمي لحياة البشر . وسيجد القارئ في كثير من البحوث افكار قد وضعت بين قوسين للدلالة على أنّ المؤلف لم يكن متأكداً من استفادتها من النصوص المذكورة .

وكلمة اخيرة ؛ نرجو من القراء الكرام ان يتأملوا في النصوص ، ويحاولوا ان يضيفوا استفادة جديدة الى ما استفدناه من الآيات والاحاديث ، والله المستعان .

محمد تقي المدرسي

طهران

٢٣ / محرم الحرام / ١٤١٨ هـ

معنى الهدى

الف : الهدى ؛ ملامح الكلمة

١ / حين يضل احدنا طريقه ويفقد الدليل الى غايته ، مما قد يحمل في طياته الهلاك ، ثم يهديه الرب الى السبيل فيبلغ هدفه ، حينئذ يستوعب ملامح كلمتي الضلالة والهدى ، ويعيها وعيا عميقا ، كذلك نستوحي من قوله سبحانه : { **وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَى** } (الضحى/٧)

٢ / وعلى مستوى البشرية ، وعند مرور قوافلهم السيّارة في غور المفاوز ، او في اعالي البحار ، وبالذات في العصور الغابرة ، حيث لا بوصلة ولا خريطةٌ هناك ، كانوا يهتدون بالنجوم . وهكذا كانت النجوم خير دليل على السبل الامنة ، حيث يقول الله تعالى : { **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**} (الانعام/٩٧)

٣ / ولقد اوتيت ملكة سبأ عرشا عظيما ، فانتقل - باذن الله - من اليمن الى بلاد فلسطين، ثم قال النبي سليمان (عليه السلام) : { **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ**} (النمل/٤١)

٤ / وبين المدائن الى مصر رمقت عينا النبي موسى (عليه السلام) شعاع نار ، فانطلق اليها لعله يجد عندها هدى . (فلقد ضل عن الطريق ، وكان يبحث عن دليل يحمله اليه) فقال الله تعالى : { **إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِاَهْلِهِ امْكُثُوْا إِنِّي ءَانَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى** } (طه/١٠)

٥ / ويضرب القرآن مثلا يبين به معنى الهداية الى الحق ، برجل يمشي مكبا على وجهه قياسا بآخر يمشي سويا على صراط مستقيم . وبهذه المقارنة نتحسس واقع الهدى ، فيقول سبحانه : { **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**} (الملك/٢٢)

٦ / والمستضعفون الذين يحيط بهم البلاء ويعصرهم ارهاب الظلمة ، فلا يجدون سبيلا للنجاة . إنهم - بدورهم - مثل للضال الذي يبحث عن الهدى ، وبالتأمل في حالهم يتعمق لدينا معنى كلمة الهدى . تدبروا في الاية التالية التي يقول الله تعالى فيها : { **إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**} (النساء/٩٨) فهؤلاء هم الباحثون عن السبيل ، فإذا وجدوه اهتدوا الى النجاة .

وتلك امثلة انتزعناها من واقع الحياة ، لمعرفة ابعاد كلمة الهدى في القرآن الحكيم .

باء : امثلة من واقع الخلق

١ / وبالسير في الارض والنظر في آفاق الخلق ، ننظر الى كل شيء يتحرك في السبيل المرسوم له . فالشمس تجري لمستقر لها ، والقمر يدور في فلك خاص ، والارض تسبح في سماءها بدقة متناهية ، وكل الاحياء فوقها قد اهتدوا الى سبل رزقهم وأمنهم ، بالفطرة الالهية . ان دراسة هذه الحقائق توضح لنا آفاق معنى الهدى في القرآن ، حيث يشير الى ذلك قوله سبحانه : { **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** } (الاعلى/٣)

٢ / وقال الله تعالى : { **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** } (طه/٥٠)

٣ / والبشر - بالذات - قد أهتدي الى سبل السلام . ليس فقط بالفطرة ، وانما بالدين - ايضا - حيث انتظمت به جوامع الهدى الى سبل الحياة الامنة والقويمة . وهذا اقوى حجة واقعية وعملية للانبياء (عليهم السلام) . حيث قال الله تعالى (عن لسان الانبياء عليهم السلام) : { **وَمَا لَنَآ أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّه وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** } (إبراهيم/١٢)

٤ / وقال اللـه تعالى : { **قُلْ إِنَّنِـي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِـرَاطٍ مُسْتَقِيـمٍ دِينـاً قِيَمـاً مِلَّـةَ إِبْرَاهِيـمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } (الانعام/١٦١)

٥ / وقال اللـه تعالى : { **وَعَلَى اللـه قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** } (النحل/٩)

ونستفيد من سياق الموارد التي استخدمت كلمة الهدى في الكتاب الكريم ، ان الهداية هي معرفة الحقيقة بعد ان كانت خافية على الانسان ؛ كالهداية بالنجوم او بعد التيه او الى سبل السلام التي لا تعرف بسهولة ، وهكذا .

جيم : أمثلة من سنن اللـه

الاهتداء الى سنن اللـه التي يدبر الخليقة بها ووفقها ، كسنة اللـه في اصابة الغابرين بذنوبهم ، وسلبهم عقولهم والطبع على قلوبهم ؛ هذه السنة التي قد تجري في الاخرين كما جرت في الاولين ، اقول :

الاهتداء الى هذه السنن ليس سهلا ، بل بحاجة الى تفكر وتعقل ، والقرآن الحكيم يذكرنا بهذه البصيرة . ومن امثلة نسوقها فيما يلي في هذا الحقل ، نستفيد بعض ابعاد كلمة الهدى . تعالوا نتدبر في هذه الامثلة .

١ / اللـه واحد وسنته فيما بقي من البشر هي سنته فيمن غبر منهم ، فلماذا لا نتدبر في تاريخ الغابرين لنعرف سنة اللـه في الاخرين ؟ قال اللـه تعالى : { **أَوَ لَـمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَنْ لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لايَسْمَعُونَ** } (الاعراف/١٠٠)

فمعرفة هذه الحقيقة التي تحتاج الى تفكر وتذكر ، هي التي سميت بالهدى .

٢ / وقال اللـه تعالى : { **أَفَلَـمْ يَهْدِ لَهُـمْ كَـمْ أَهْلَكْنَـا قَبْلَهُم مِّـنَ الْقُـرُونِ يَمْشُـونَ فِـي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى** } (طه/١٢٨)

إن وجدان هذه الحقيقة بحاجة الى العقل والاستدلال بدليل والتنبه بالتذكرة ، فهو من الهداية .

٣ / وقال سبحانه : { **أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ** } (السجدة /٢٦)

وهكذا بالسماع والتذكر بالآيات ، يمكن ان يهتدي الانسان الى اسباب هلاك القرون الغابرة من قبلهم ، ليعرف ان الاسباب لو تكررت لاقتضت ذات النتائج ، والعياذ بالله .

٤ / وعند بني اسرائيل كانت غامضة صفات البقرة التي امروا بذبحها ، فقالوا - وهم يطالبون بتوضيحها - انهم ان شاء الله لمهتدون ، وبالتالي عارفون لتلك الصفات ، وعاملون بامر الله في ذبح البقرة . قال الله تعالى : { **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِنْ شَآءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ** } (البقرة/٧٠)

بين الهدى والاضداد :

١ / والهدى ضد الضلالة ، وبمعرفة الضلالة وابعادها الظلمانية ، نعرف الهدى وآفاقها النورانية . قال الله تعالى : { **وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى** } (طه/٧٩)

٢ / والهدى يخالف الهوى ؛ والهدى من الله ، والهوى من النفس والشيطان . الهدى بالنور ، والهوى من الظلام . قال الله تعالى : { **وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ** } (البقرة/١٢٠)

كذلك تجد ان هدى الله في القبلة خالفه هوى الكفار ، فبينما كان الهدى علما وولاية إلهية ونصرة ، فان الهوى كان ما يخالفه من الجهل والخذلان .

٣ / وكذلك ضلت بلقيس ملكة سبأ وقومها وما اهتدت حين عبدوا الشمس ، ولم تنفذ بصيرتهم الى نور خالقها ، فصدهم الشيطان عن السبيل بان زين لهم اعمالهم . فقال سبحانه : { **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَيَهْتَدُونَ** } (النمل/٢٤)

بصائر الآيات

نستخلص آفاق معاني الهدى في الملامح التالية :

الف : كالذي يضل الطريق ثم يهتدي ، بعد الجهل والحيرة .

باء : الهدى يكون بدليل ، كمن يهتدي بالنجوم في ظلمات البر والبحر .

جيم : من يهتدي بحاجة الى كشف غطاء الجهل الذي يضله ، مثل بلقيس التي اهتدت الى عرشها بعد ان نكر لها .

دال : ومثل المهتدي الى الحق مثل من يستفيد من عينه ، بينما مثل الضال مثل الذي يمشي مكبا على وجهه فلا يجد الطريق . فالمتهدي يستفيد من عقله .

هاء : ومثل الضال مثل المستضعف الذي لا يهتدي سبيلا الى النجاة ، بالرغم من بحثه الدائب له .

زاء : وكل الخليقة قد اهتدت بغريزتها الى سبل الحياة . فالهداية - اذاً - معرفة ما يخفى من حاجات الخلق الضرورية .

هاء : والله يهدي عباده الى سبل السلام بهداية العقل والوحي .

طاء : وقد هدى الانبياء (عليهم السلام) الى الصراط المستقيم .

ياء : ومن ابعاد الهداية انه ذكر الناس بمصير الغابرين / ليعلموا ان اسباب هلاكهم قد تقتضي هلاك من يعمل بمثل ما عملوا .

كاف : وما دمنا واياهم نعيش في ارض واحدة ، وتحكمنا ذات السنن (والانظمة الالهية) فلابد ان نخشى مصيرهم . كذلك يهدي الله الناس بتذكيرهم .

لام : ووسيلة الهداية الآيات التي لابد ان تسمع حتى تعقل ويهتدي بها البشر .

ميم : وبنوا اسرائيل دعوا الى المزيد من الآيات لعلهم يهتدون بها .

نون : وضد الهدى الضلالة .

سين : كما ان ضد الهدى اتباع الهوى . فالهدى علم وولاية إلهية ونصرة ، بينما اتباع الهوى فقدان لكل ذلك .

فقه الآيات

١ / (الانعام/٩٧) الاهتداء بالنجوم في ظلمات البر والبحر من صفات العلماء ، ونهتدي بذلك

الى الاحكام التالية :

الف : ينبغي تعلم مواقع النجوم ، ودراسة علم الهيئة للتعرف بها على جغرافية الارض ، وسبلها ومواقعها .

باء : ومن ذلك دراسة مواقع النجوم لمعرفة القبلة .

جيم : ومن ذلك دراسة علوم الفضاء لكل ما يفيد البشر ويخدم تقدمه الحضاري ؛ مثل البحث عن أصل خلقة الكون ، مما يخدم معرفته باصل تكون الأرض . كذلك البحث عن مختلف الاشعة التي تتجه الى الارض ، لتجنب الضار منها والاستفادة من النافع .

دال : جعل كل علوم الفضاء وسيلة لتعميق وعي التوحيد ، ومعرفة اسماء الله الحسنى ، والتشبع بروح العبودية والتسليم لمن بيده ملكوت السموات والارض حسب المنهج القرآني وتذكرته بالله واسمائه .

٢ / (النمل/٤١) ينبغي البحث عن طبيعة الناس ، وتجربة كوامن نفوسهم ، وبالذات الذين نود التعامل معهم ، ونستفيد من ذلك عدة بصائر :

الف : دراسة العلوم الانسانية ، وبالذات علم النفس بفروعه وعلم الاجتماع بحقوله ، فانها من أهم الدراسات التي ينبغي الاهتمام بها .

باء : من اجل دراسة الاشخاص والشعوب ينبغي استخدام اسلوب التجربة ، ولا بأس بصرف مبالغ في هذا السبيل (كما لبّس سليمان عرش ملكة سبأ بغير معدنه الاصلي) .

٣ / (طه/١٠) ينبغي التحرك برجاء الخلاص من المعضلة (وعدم اليأس والجمود) ، كما سعى موسى لانقاذ أهله من البرد والتشرد ، فإذا به يأتي بالنبوة والرسالة والعصا واليد البيضاء .

واليك الأحكام المستوحاة من هذه البصيرة :

الف : الفاعلية والنشاط والحيوية ، كل أولئك من سمات الرجل الكامل ، وان على الانسان ان يتحرك حتى برجاء الفلاح . وقد ابقى موسى اهله وسعى الى حيث النار التي آنسها ، بالرغم من الخشية عليهم وعدم وثوقه ظاهراً بما سيجده هناك من منافع .

باء : المرء مسؤول عن اهله ، وعليه ان يبحث لهم عن وسائل الراحة والنجاة من كل مشكلة.

٤ / (الملك/٢٢) على الانسان ان يستفيد من وسائل المعرفة التي زود بها ، فالذي يمشي مكباً على وجهه (ولا يستفيد من العين التي انعم الله عليه بها) انه لا يهتدي إلى الحقائق .

٥ / (النساء/٩٨) على المستضعف ان يبحث عن أية حيلة للخلاص من المستكبر ، وعن أي سبيل سواء الرجل والمرأة . ونستوحي من ذلك :

الف : إن البقاء على حالة الاستضعاف مع القدرة على تغييرها خطأ ، بل خطيئة .

باء : إن على الانسان ان يكشف تجاربه في النجاة من الطغاة ، ويستفيد من كل وسيلة ممكنة ، ويستخدم مختلف وسائل الجهاد ضده ؛ فإذا فشلت عليه استخدام غيرها ، ويبحث عن مختلف السبل ، فإذا ضل عن سبيل اهتدى الى غيره .

جيم : فإذا استنفد شعب وسائل التحرر ، لم يكتب شريكاً لجرائم جلاديه من الطغاة . ولم يعذب عند الله بعذابهم ، لانه أنكر المنكر ولو بقلبه .

٦ / (الاعلى/٣) و (طه/٥٠) لان كل شيء خلق بقدر ، ولان لكل ظاهرة حادثة قدراً مقدوراً ، وحداً محدوداً ، فعلى الانسان ان يبحث بجد ومثابرة من اجل معرفة المقادير والحدود . ولقد وضع الله لكل حد علامة ، ولكل مقدار آية ومقياس ، فلا ييأس البشر من الوصول الى معرفة الحقائق والمقادير .

٧ / (إبراهيم/١٢) و (الانعام/١٦١) و (النحل/٩) وقد بعث الله الى البشر انبياء ، وانزل معهم الكتاب والميزان ليهديهم الى سبل السلام (في الشؤون الحياتية) ، وليهديهم الى صراط مستقيم ، الى ربهم سبحانه .

ونستوحي من هذه الحقيقة عدة بصائر :

الف : التوكل على اللـه لانه الهادي ، والصبر عند الشدائد لانـه الضمير ، (ولان لكل شيء قدراً مقدوراً ينتهي عنده) .

باء : التمسك بهدى اللـه وحده دون ثقافات البشر الشركية .

جيم : ألاّ يهلك الانسان نفسه سعياً وراء هداية الضالين ، لان اللـه وحده الهادي ، وانما الرسل ومن حمل رايتهم منذرون .

٨ / (الاعراف/١٠٠) و (طه/١٢٨) و (السجدة /٢٦) ينبغي النظر في آثار الغابرين ، ودراسة تاريخهم من خلالها ، سواءً كانوا يسكنون الارض التي نسكنها ، او سائر المواقع الجغرافية التي تمر علينا . والهدف من ذلك الاهتداء الى اسباب هلاكهم ، والتي منها اصابتهم في مشاعرهم وعقولهم حتى لم يعودوا يسمعون النذر ولم يستجيبوا لدعوات المصلحين حتى هلكوا .

حقائق الهدى

الف : الهدى ؛ هدى اللـه

أرأيت الذي بـه صمم هل تستطيع ان تسمعـه قـولا ، او هل تقدر على ان تبصر الاعمى بصيص نور ؟

كذلك القلب الذي فقد النور ، لا تستطيع - انى حرصت - ان تهديه سبيلا . انما مثله مثل الصخرة الصلدة التي لا تمتص ماء ، ولا تنبت زرعا .

١ / ان حقيقة الهدى نور ، ومن اتاه الله من نوره انتفع بالتذكرة ، كما يسمع من رزقه الله اذنا . قال الله تعالى : { **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ**} (الزخرف/٤٠)

٢ / اذن نور الهداية موهبة إلهية ، كما نور العلم والعقل ، وكما نور الوجود والحياة ، وكما نور العين الباصرة . وقال الله تعالى : { **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللّه يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } (القصص/٥٦)

٣ / وهكذا كانت الهداية حقا هي هداية الله . فمن هداه الله فهو - وحده - المهتدي ، بينما الذي يضلله الله - بخذلانه عن الهدى وسلب النور منه - فهو الخاسر ، (لانه لن يجد من دونه هاديا ومرشدا) . قال الله تعالى : { **مَن يَهْدِ اللّه فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** } (الاعراف/١٧٨)

٤ / وانما الهداية حقا من الله ، لان من يهديه الله تعالى فلا احد يقدر على اضلاله . (انه يحفظ قلبه من وساوس الشيطان ، ويصونه بعزته التي لا ترام من الذين يحاولون سلبه نور الهدى ، من الطغاة والجبابرة) . قال الله تعالى : { **وَمَن يَهْدِ اللّه فَمَا لَهُ مِن مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللّه بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ** } (الزمر/٣٧)

٥ / وهكذا يجأر اولوا الالباب الى ربهم بهديهم - اليه - وينير ابصار قلوبهم بضياء نظرها الى وجهه الكريم . وهذا سيد الموحدين ابراهيم (عليه السلام) يقول عنه الله تعالى : { **فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لاكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ** } (الانعام/٧٧)

(ولعل الحكمة في تعبير القرآن هنا وفي الاية السابقة بصيغة الجمع عن القوم الضالين او الخاسرين ، تتمثل في ان اكثر الناس هم الضالون الخاسرون) .

٦ / ويضرب القرآن مثلا من الهداية في الاية التالية ، حيث يقول ربنا تعالى : { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّه النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ**

بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللـه الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللـه يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (البقرة/٢١٣)

فبعد ان وفر اللـه للناس فرصة الهدى بابتعاث الرسل مبشرين ومنذرين ، وانزل معهم الكتاب بالحق ، وجعل فيه ميزانا لحل ما اختلفوا فيه ؛ بعدئذ وهب نور الهدى لمن آمن منهم ، فهداهم بإذنه الى صراط مستقيم .

٧ / ومن هنا فإن دور الرسل بلاغ الانذار والتبشير ، وليس عليهم الهدى . قال اللـه تعالى : **{ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللـه يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلاَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ اِلاَّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللـه وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }** (البقرة/٢٧٢)

٨ / ولذلك فإن حرص الرسول (صلى اللـه عليه وآله) على هدى الناس (حرص شديد، لانه رؤوف بهم) ولكن اللـه - وحده - يهدي من يشاء . أما من يضله (بكفره وبغيه وفسوقه)

فإنه لا يهديه (من بعد ذلك بسبب حرص احد ، انما سنته سبحانه هي الجارية في خلقه) . قال **اللـه تعالى : { إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللـه لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ }** (النحل/٣٧)

٩ / وقال اللـه تعالى : **{ وَلَوْ شَآءَ اللـه لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَعْمَلُونَ }** (النحل/٩٣)

١٠ / (وقد يكدح الدعاة الى اللـه تعالى في هداية البعض ثم يصطدمون ، حيث لا ينجحون في كدحهم . كلا) ان الرسول (ومن يتبع نهجه في الدعوة) لا يهدي من يحب (او يحبون) ولكن اللـه هو الهادي . قال اللـه تعالى : **{ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللـه يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }** (القصص/٥٦)

١١ / وهكذا ينبغي للداعية ان يعرف حدود مسؤوليته ، وهي ابلاغ الرسالة . (ثم لا يزعم ان عليه هداية الناس) . فاللـه يخاطب رسوله (صلى اللـه عليه وآله) ويقول له : {

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللـه يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلاَنْفُسِكُمْ وَمَـا تُنْفِقُونَ اِلاَّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللـه وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ } (البقرة/٢٧٢)

١٢ / ولان الهدى هو هدى اللـه . فإن الذين يجعلون انفسهم معيارا للهداية ، ويزعمون ان من اتبعهم او اتبع دينهم هو المهتدي انهم في ضلال بعيد . قال اللـه تعالى : **{ وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللـه أَن يُوْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللـه يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللـه وَاسِعٌ عَلِيمٌ }** (آل عمران/٧٣)

١٣ / وهدى اللـه تعالى لا يختص بحقل دون آخر ، ولذلك فإن الانسان يستغني بـه عن غيره . فهو يكفيه دنيا وآخرة ، وفي كافة مراحل حياته . قال اللـه تعالى : **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً }** (الفرقان/٣١)

١٤ / وكما هدى الرب كاف ، فان من يضله اللـه تعالى لن تجد له وليا يرشده . قال عز وجل : **{ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللـه مَن يَهْدِ اللـه فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً }** (الكهف/١٧)

١٥ / والذي يفقد هدى الرب في الدنيا ، يفقده ايضا في الاخرة . وذلك اشد عليه وانكى ، حيث يحشر اعمى ، أبكم ، أصم ، ويلقى بـه في نار لا يخبت لهبها . قال اللـه تعالى : **{وَمَن يَهْدِ اللـه فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً }** (الاسراء/٩٧)

١٦ / وتلك هي الخسارة الكبرى ، حيث الضلالة التي لا هدى معها ، والدار التي لا رحمة

فيها ، والعذاب الذي لا نهاية له . قال اللـه تعالى : **{ مَن يَهْدِ اللـه فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** (الاعراف/١٧٨)

١٧ / ولان الهدى حقا هو هدى الله ، فإن من يخالفه فلن يجد الا الضلال . (وهل بعد النور سوى الظلام ، وبعد الحياة سوى الموت والفناء) ؟ قال الله تعالى : **{ وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللـه هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللـه مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ}** (البقرة/١٢٠)

١٨ / ولان الهدى من الله تعالى ، وهو صنعه وفضله ، فليس على الرسول الا البلاغ لانه (صلى الله عليه وآله) لا يهدي من احب ، ولكن الله يهدي من يشاء ، حيث قال الله تعالى : **{ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللـه يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** (القصص/٥٦)

١٩ / وبعد اتمام حجته البالغة على جميع خلقه ، وبعد توفير فرصة الهداية للناس على سواء، فإنه الله يهدي من يشاء وليس جميع البشر . (انما يهدي من اتخذ الى ربه سبيلا ، ويضيء قلب من اسلم وجهه لله ، واستجاب لدعوة رسله ، وآمن بقلبه) . قال الله تعالى : **{ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين }** (الانعام/١٤٩)

٢٠ / والسبيل القصد (المستقيم الذي لا عوج فيه) هو سبيل الله الذي يدعو اليه الناس جميعا ، ولكنه لا يهدي الا البعض ، ولو شاء لهداهم اجمعين ، قال الله تعالى : **{ وَعَلَى اللـه قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }** (النحل/٩)

٢١ / واذا كان الله تعالى لم يشأ ان يجمع الناس على الهدى ، وانما اختار له البعض ، فلماذا الرغبة في هدايتهم باي ثمن ؟ ولماذا الحزن على ضلالتهم ؟ ولماذا الاسف ؟ (وهل يمكن تغيير سنة الله في خلقه ؟) قال الله تعالى : **{ وإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَآءَ اللـه لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِين }** (الانعام/٣٥)

٢٢ / بلى ؛ قد توفرت فرصة الهداية كاملة ، واضحت الحجة بالغة . فهذا القرآن كتاب لو سيرت به الجبال ، او قطعت به الارض لم يكن عجباً . فهل يبحثون عن كتاب ابلغ حجة ، وابلج هدى منه ؟ كلا ؛ بل ، لعلهم يبحثون عن هداية جبرية ، وهي مخالفة لسنة الله تعالى . قال الله تعالى : **{ وَلَوْ أَنَّ قُرءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ**

كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بِل لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأْسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَوْ يَشَآءُ اللـه لَهَدَى النَّـاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَـا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِن دَارِهِمْ حَتى يَأْتِيَ وَعْدُ اللـه إِنَّ اللـه لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } (الرعد/٣١)

٢٣ / والهداية فضل من اللـه تعالى ، كما ذات الخلقة فضل (وهي اتمام لفضل الخلق ، وتقتضيه ذات الرحمة الالهية التي بها خلق اللـه الخلق . ومن هنا فإن البشر يحتاجون اليها ، واللـه متفضل بها لرحمته التي خلقهم بها) . قال اللـه تعالى : **{ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ}** (الشعراء /٧٨)

٢٤ / ولكن اللـه تعالى ، لم يجعل نعمة الهداية مفروضة على البشر كما جعل نعمة الخلق ، بل خيره فيها ؛ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ، ومن كفر فان له نار جهنم التي سبقت كلمة اللـه في ان يملأها من الجنة والناس اجمعين . قال اللـه تعالى : **{ وَلَوْ شِئْنَا لأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّـةِ وَالنَّـاسِ أَجْمَعِينَ }** (السجدة/١٣)

٢٥ / وحينما نزل اللـه احسن الكتب ، فإنه وفر فرصة الهداية للجميع ، ولكنه انما يهدي من يشاء (ممن تتوافر فيه سائر شروط الهدى) . قال اللـه تعالى : **{ اللـه نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْـهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكرِ اللـه ذَلِكَ هدَى اللـه يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللـه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}** (الزمر/٢٣)

٢٦ / وقد بعث اللـه النبي يوسف الصديق (عليه السلام) ولكن القوم مازالوا في شك مما جاء به ، فأضلهم اللـه (ولم يكن مجرد الرسالة كافية لهدايتهم) . وقال اللـه تعالى : **{ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّآ جَآءَكُم بِـهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُـمْ لَـن يَبْعَثَ اللـه مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللـه مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ }** (غافر/٣٤)

٢٧ / ومجرد ارسال الرسول لا يعني ان كل الناس سوف يهتدون به ، وانما هو امتحان لهم . وليهلك من هلك عن بينة ويهتدي من يهتدي عن بينة ، ولذلك فان مهمة الرسول تنتهي عند ابلاغ الرسالة وبيانها .

ثم يهدي الله من يشاء بعزته القادرة المهيمنة ، وبحكمته البالغة . يقول الله تعالى : { **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللـه مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** } (ا براهيم/٤)

٢٨ / وكما ان الرسول (صلى الله عليه وآله) يوفر فرصة الهداية بالدعوة اليها فحسب ، كذلك الآيات البينات الالهية توفر هي الاخرى فرصة الهداية ، ثم الهداية بيد الله . يقول الله تعالى : { **وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللـه يَهْدِي مَن يُرِيدُ**} (الحج/١٦)

٢٩ / والله سبحانه وتعالى يهدي الى الصراط المستقيم بعد ارسال الرسل عبر الهداة . فلكل قوم هاد ، والاهتداء بنور الهداة هو الاخر رحمة إلهية . فليس كل الناس يهتدون بنور الهداة الى الله ، انما يهدي الله لنوره من يشاء . يقول الله تعالى في آية النور : { **اللـه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللـه لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللـه الاَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللـه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** } (النور/٣٥)

٣٠ / وكما الهداية بيد الله ، كذلك الضلال . ولذلك فأن من يضله الله فلن تجد له هاديا . يقول الله تعالى : { **أَلَيْسَ اللـه بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللـه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** } (الزمر/٣٦)

٣١ / ويقول الله تعالى : { **يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِنَ اللـه مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللـه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** } (غافر/٣٣)

٣٢ / والسبل التي جعلها الله تعالى في الارض من اجل هداية البشر الى مآربه ، هي آية من آياته ، ومثل بالغ الوضوح لهدايته لخلقه في كافة الأبعاد . قال الله تعالى : { **وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } (النحل/١٥)

٣٣ / وقال الله تعالى : { **وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** } (الانبياء/٣١)

٣٤ / والله تعالى يهدي رسله في كل مراحل حياتهم ، ولذلك فهم يتوكلون عليه ، ولا يرتابون في الوحي ، ولا يترددون في العمل بما يوحى اليهم حتى ولو كان يبدو صعبا او غير طبيعي . وهكذا قال النبي موسى (عليه السلام) وهو يرى البحر من امامه والعدو يلاحقه من خلفه ، قال وبكل ثقة وسكينة : { **قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** } (الشعراء/٦٢)

٣٥ / وكذلك قال النبي ابراهيم (عليه السلام) : { **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ** } (الصافات/٩٩)

٣٦ / وقال سبحانه بعد ان ذكر اسماء الانبياء الكرام (عليهم السلام) : { **وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ** } (الانعام/٨٧ -٨٨)

٣٧ / وقال سبحانه عن النبي ابراهيم (عليه السلام) : { **إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** } (الزخرف/٢٧)

٣٨ / وقال سبحانه عن النبي آدم (عليه السلام) : { **ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى** } (طه/١٢٢)

وقد استفاضت احاديث السنة الشريفة في بيان تلك الحقائق :

الف **:** عن معنى الهداية من الله وردت جملة نصوص شريفة ، نذكر منها :

١ / فقد جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال : قال الله جل جلاله : " عبادي كلكم ضال الا من هديته ، وكلكم فقير إلا من اغنيته ، وكلكم مذنب إلا من عصمته ". (١)

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٥ / ص ١٩٨

٢ / وجاء عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال في قوله تعالى : { **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللـه سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم** } (الانعام/٤٦)

يقول : " اخذ الله منكم الهدى ، من إله غير الله يأتيكم به".. (٢)

٣ / وروي عنه (عليه السلام) ايضا في قول الله تعالى : { **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ**} (الانعام/٣٩) انه يقول : صم عن الهدى ، وبكم لا يتكلمون بخير . { **فِي الظُّلُمَاتِ** } يعني ظلمات الكفر { **مَن يَشَإِ اللـه يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (الانعام/٣٩) وهو رد على قدرية هذه الامة . يحشرهم الله يوم القيامة مع الصائبين والنصارى والمجوس فيقولون : { **وَاللـه رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** } (الانعام/٢٣) . يقول الله : { **انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** } (الانعام/٢٤) قال : فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إلا إن لكل أمة مجوساً ، ومجوس هذه الامة الذين يقولون : لاقدر ، ويزعمون ان المشيئة والقدرة إليهم ولهم . (١)

٤ / وهكذا جاء في تفسير آية اخرى معنى الاضلال والهداية من عند الله تعالى للبشر ، فقد روى ابو الجارود عن ابي جعفر (عليه السلام) في قوله عز وجل : {**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ** } (الانعام/١١٠) . يقول : وننكس قلوبهم فيكون اسفل قلوبهم اعلاها ونعمي ابصارهم فلا يبصرون الهدى . (٢)

باء : وعن معنى شرح الصدر والتوفيق ، وكيف يهدي الله قوما ويضل آخرين ، فقد وردت جملة نصوص شريفة نروي لكم بعضا منها :

١ / جاء عن الامام الصادق (عليه السلام) في حديث شريف قوله : اذا فعل العبد ما أمره الله عز وجل به من الطاعة كان فعله وفقا لأمر الله عز وجل وسمي العبد به موفقا ، واذا اراد العبد ان يدخل في شئ من معاصي الله فحال الله تبارك وتعالى بينه

---

(٢) المصدر / ص ١٩٧

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٥ / ص ١٩٨

(٢) المصدر / ص ١٩٧

وبين تلك المعصية فتركها كان تركه لها بتوفيق الله تعالى . ومتى خلي بينه وبين المعصية فلم يحل بينه وبينها حتى يرتكبها ، فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقه . (٣)

٢ / وروي عن الامام الرضا (عليه السلام) في تفسير شرح الصدر قوله : عن قول الله عز

وجل : **{ فَمَن يُرِدِ اللـه أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ }** (الانعام/١٢٥) قال : من يرد الله ان يهديه بايمانه في الدنيا الى جنته ودار كرامته في الاخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون الى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن اليه ، ومن يرد ان يضله عن جنته ودار كرامته في الاخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقا حرجا حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنما يصّعّد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون .(١)

جيم : وقد اتم الله الحجة على عباده حتى لا يدع لمعترض مقالا ، ففطرهم على التوحيد، وحال دون ان تعرف قلوبهم الباطل حقا . الى هذا اشارت جملة نصوص نذكر منها :

١ / جاء في الحديث الشريف عن ابي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى : **{ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللـه يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ }** (الانفال/٢٤) انه قال : يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق .(٢)

٢ / وقال الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل : **{ وَمَا كَانَ اللـه لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَايَتَّقُونَ}** (التوبة/١١٥) قال : حتى يعرفهم
مايرضيه وما يسخطه . (٣)

---

(٣) المصدر / ص ٢٠٠

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٥ / ص ٢٠٠

(٢) المصدر / ص ٢٠٥

(٣) المصدر / ص ١٩٦

٣ / وقال في قوله عز وجل : { **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** } (الشمس/٨) قال : يبين لها ما تأتي وما تترك . (٤)

٤ / وقال في قوله عز وجل : { **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** } (الانسان / ٣) قال : عرّفناه إما آخذا وإما تاركا . (٥)

٥ / وفي قوله عز وجل : { **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** } (فصلت/١٧) وإما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " قال : وهم يعرفون . (١)

٦ / وسئل عن قوله اللـه عز وجل : { **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** } (البلد / ١٠) قال : نجد الخير ونجد الشر . (٢)

٧ / وقال (عليه السلام) : ما حجب اللـه علمه عن العباد فهو موضوع عنهم . (٣)

٨ / وقال (عليه السلام) : إن اللـه احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم . (٤)

باء : الدعوة الى الهدى

النور الذي يشع في القلب فيعي الهدى ذلك النور هو من اللـه ، والهدى الذي يستقبله القلب ايضا من عند اللـه . فالسمع موهبة إلهية ، والوحي الذي يلتقطه السمع هو الاخر من عند اللـه . واذا كان نور الهدى في القلب موهبة خاصة يؤتيها اللـه تعالى لمن يشاء ، فان فرصة الهدى (الوحي) متوافرة لجميع الناس . فهي كالشمس نورها للجميع ، وانما يبصرها من أوتي البصر .

---

(٤) المصدر / ص ١٩٦

(٥) المصدر / ص ١٩٦

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٥ / ص ١٩٦

(٢) المصدر / ص ١٩٦

(٣) المصدر / ص ١٩٦

(٤) المصدر/ ص ١٩٦

١ / لقد وفر اللـه فرصة الهداية لجميع البشر ، وذلك حين اودع افئدتهم العقل الذي بـه يميزون الحق ويعرفون السبيل القويم ، ودعـاهم اليـه دعوة صـريحة وشـاملة . فقـال اللـه تعالى : { **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** } (الانسان/٣)

٢ / والقرآن هو كتاب الهدى الذي يوفر فرصة الهدى لكل البشر ، والذي يهدي به اللـه من اتبع رضوانه سبل السلام في الحياة الدنيا ، ويهديهم به الى صراط مستقيم . قال اللـه تعـالى : { **شَـهْرُ رَمَضَـانَ الَّـذِي أُنْـزِلَ فِيـهِ الْقُـرْآنُ هُـدًى لِلنَّـاسِ وَبَيِّنَـاتٍ مِـنَ الْهُـدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضـاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللـه بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللـه عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } (البقرة/١٨٥)

٣ / وبعد ان اودع القلب نور العقل ، ارسل دعاة الحق بالقول الحق حتى تتم الحجة عليه . قال اللـه تعالى : { **مَّا جَعَلَ اللـه لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِـهِ وَمَـا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِـي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللـه يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** } (الاحزاب/٤)

٤ / فلكي لا تبقى لاحد حجة على اللـه تعالى ، ولكـي لا يقول فريق من النـاس : لـو انـا نزل علينا الكتاب لكنا اهدى من غيرنـا . لـذلك وفر اللـه تعالى فرصـة الهدايـة لكل الامم على سواء ، فقال اللـه تعالى : { **أَوْ تَقُولوا لَوْ أَنَّآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّآ أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَـةٌ مِن رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَـةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَـاتِ اللـه وَصَـدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ** } (الانعام/١٥٧)

٥ / وفي الكتاب نور سني ينفذ الى اعماق القلب ، شريطة ان يكون القلب منفتحـا . واذا اردت ان تبصر مدى سناء النور ، فانظر الى اثاره في افئدة المؤمنين ، حيث يقول اللـه تعالى : { **اللـه نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللـه ذَلِكَ هُدَى اللـه يَهْدِي بِـهِ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللـه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**} (الزمر/٢٣)

٦ / وليس القرآن من صنع النبي حتى يتصرف فيه كيفما يريد منه الجاهلون ، وانما هو وحي الله تعالى ، والرسول يتبع ذلك الوحي كما يأمر الناس باتباعه . قال الله تعالى : { **وإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ اَتَّبِعُ مَايُوحَى إِلَيَّ مِن رَبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَبِّكُمْ وَهُدًىوَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } (الاعراف/٢٠٣)

٧ / والوحي بصائر (يؤتي من اتبعه منهج العلم) وهو هدى (يبلغهم الحقيقة) ورحمة (يحقق تطلعاتهم واهدافهم المشروعة) .

٨ / تساءل السفهاء (الذين إغتروا بما أوتوا من العلم وزعموا بانهم اوتوا معرفة حكمة

الاحكام بسهولة ؛ تساءلوا عن السبب في تغيير القبلة وقالوا : ما ولّى المسلمين عن القبلة التي كانوا عليها ؟ فجاء الجواب : بان رب العالمين ليس في جهة خاصة ، بل له المشرق والمغرب . وان معيار الهدى انما هو الوحي وليس رأي السفهاء من الناس ، وان رب العالمين هو الذي يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، فليس كل من تمنى الهداية بلغها ، وانما الصراط المستقيم هو محتوى هداية الرب جل وعلا . قال الله تعالى : { **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (البقرة/١٤٢)

٩ / وقد فضّل الله الكتاب (وبيّن فيه الامثال ، والشرائع والسنن ، وما يحتاج اليه الانسان من مصاديق الهدى وحقائقه) وكان تفصيله على علم (فليس فيه باطل او ريب) وكان ذلك هدى لمن آمن ورحمة ، فقال سبحانه : { **وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } (الاعراف/٥٢)

١٠ / وهكذا هدى الله الانسان النجدين (نجد الخير ونجد الشر ، واتم الحجة عليه بذلك) فقال سبحانه : { **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ** } (البلد/١٠-١١)

١١ / (وربنا لم يكره الناس على الهدى ، ولكنه اكمل لهم البيان وابلغ في الانذار) ولله الحجة البالغة على خلقه (فان اهتدوا فبفضل الله ، لانه هداهم بالدعوة اليه ، وافاضة نور

الهدى عليهم ؛ وان ضلوا فبسوء اختيارهم ، وعدم استجابتهم . فقال اللـه تعالى : { **قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين** } (الانعام/١٤٩)

وعن الدعوة الى الهدى ذكرت نصوص من السنة الشريفة ننختار منها :

١ / فقد جاء في حديث عن الامام الصادق (عليه السلام) ؛ ان رسول اللـه (صلى اللـه عليه وآله) كان يدعو اصحابه فمن اراد اللـه به خيرا سمع وعرف ما يدعوه اليه ، ومن اراد به شراً طبع على قلبه فلا يسمع ولا يعقل ، وهو قوله : { **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللـه عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** } (النحل/١٠٨) . (١)

٢ / وعن الفرق بين الهداية والدعوة ، قال السكوني : جاء رجل الى ابي عبد اللـه جعفر بن محمد صلوات اللـه عليه وانا عنده ، فقال : يابن رسول اللـه { **إِنَّ اللـه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } (النحل/٩٠) وقوله : { **أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**ۚ} (يوسف/٤٠) فقال : نعم ليس لله في عباده امر الا العدل والاحسان . فالدعاء من اللـه عام ، والهدى خاص ، مثل قوله : { **يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**} (البقرة/١٤٢) ولم يقل : ويهدي جميع من دعاه الى صراط مستقيم . (١)

جيم : محتوى الدعوة

ومحتوى الهداية الالهية هو الدعوة الى دار السلام ، حيث يسلم الانسان من بوائق الدهور ومن اعتداء المعتدين ومن الظلم والبغي . يقول اللـه تعالى : { **وَاللـه يَدْعُواْ إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم** } (يونس/٢٥)

---

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٥ / ص ٢٠٨

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٥ / ص ١٩٨

٢ / واللـه تعالى يهدي الى الحق ، والحق هو محور هداية اللـه ومحتواها ، وهو الذي يمثل دار السلام كما يمثل الصراط المستقيم . يقول اللـه تعالى : { **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللـه يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** } (يونس/٣٥)

٣ / ومن الحق بيان سنن الاولين (وما فيها من عبر وحقائق وعلم) . قال اللـه تعالى : {**يُرِيدُ اللـه لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللـه عَلِيمٌ حَكِيمٌ**} (النساء/٢٦)

٤ / وحقيقة الهداية ومحتواها أن اللـه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء الى صراط مسقيم ، والصراط المستقيم هو الحق الذي انزل اللـه به الكتاب ، والحق معيار لحكومة الانبياء بين

الناس فيما اختلفوا فيه ، وربنا حين يهدي المؤمنين الى الحق باذنه ، فان ذلك يدخل ضمن

سنة الهداية التي يهدي بها ربنا من يشاء الى صراط مستقيم .

من هنا نعرف ان الحق هو الصراط المستقيم ، وهو محتوى الكتاب ، وهو معيار القضاء عند الانبياء . يقول اللـه تعالى : { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللـه النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللـه الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللـه يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (البقرة/٢١٣)

٥ / ويقول اللـه تعالى : { **لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللـه يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (النور/٤٦)

٦ / ويقول اللـه تعالى : { **وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** } (الفتح/٢٠)

من هذه الآية نستوحي ان محتوى الآيات البينات هي الصراط المستقيم ، الذي يهدي اليه من يشاء اللـه تعالى .

٧ / وسبل السلام من الحقائق التي يهدي لها اللـه سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يبتغون رضوان ربهم ، وتعني - فيما يبدو - السنن الالهية التي لو سلكها الانسان والتزم بها في حياته لاهتدى الى التطلعات والاهداف المشروعة من دون عوائق ومن دون مخاوف . يقول اللـه تعالى : { **يَهْدِي بِهِ اللـه مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (المائدة/١٦)

٨ / ومن ذلك ان ربنا سبحانه يهدي من يشاء الى الحق الذي يتجلى في الآخرة في جنات تجري من تحتها الانهار . يقول اللـه تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** } (يونس/٩)

٩ / وهذا الصراط هو الصراط الاقوم (بين السبل المتفرقة الضالة) فيقول اللـه تعالى : {**إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**} (الاسراء/٩)

دال : محددات الهدى

وحقيقة الهدى انه يخالف التقاليد الباطلة ، وانه ليس بالتمني ، بل انه وقر في القلب يصدقه السلوك ، وهو ينزل على المؤمنين من اللـه عند الفتن ، وهو مخالف للفسق .

١ / والهداية تخالف التقليد في كثير من الأحايين . يقول اللـه تعالى : { **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُهْتَدُونَ** } (الزخرف/٢٢)

٢ / كما إن الهداية لا تعني مجرد التمني ، انما الهداية حقيقة لا بد أن تتبين آثارها في حياة الانسان ، يقول اللـه تعالى : { **وَقَالُوا يَآ أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ** } (الزخرف/٤٩)

٣ / والهداية تنزل من عند اللـه على المؤمنين عند الفتن التي هي مظنة ضلالة الانسان او هدايته . يقول اللـه تعالى : { **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلاَّ**

فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } (الاعراف/١٥٥)

من الملاحظ هنا ان الفتنة هي التي سببت الضلالة ، بينما الهداية جاءت من عند الله سبحانه وتعالى عند ال ٤ / كما ان الهداية تخالف الفسق ، فالمهتدي ليس بفاسق . يقول الله تعالى : { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** } (الحديد/٢٦)

فتنة ، حسب التعبير القرآني في هذه الاية .

٥ / والهدى يخالف الضلال ، ولا يجتمعان . قال الله تعالى : { **وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** } (سبأ/٢٤)

ونستوحي من الآية ان الفريقين المختلفين لا يجتمعان على هدى ، لان الهدى خط واحد ومنهج واحد .

هاء : آيات الهدى

١ / آية الهداية شرح الصدر ، فمن أراد الله هدايته شرح صدره للاسلام . ويبدو ان الاسلام هنا يعني التسليم المطلق (فمن وجد في نفسه روح التسليم فليشكر الله على نعمة الهداية) . قال الله تعالى : { **فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ** } (الانعام/١٢٥)

٢ / من آيات الهداية وعلاماتها اجتناب الطاغوت ، فمن إجتنب الطاغوت فقد هداه الله ، ومن حقت عليه الضلالة فهو الذي لم يجتنب الطاغوت . قال الله تعالى : { **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** } (النحل/٣٦)

واو : قرائن الهدى

١ / من قرائن الهدى العلم ، يقول اللـه تعالى : { **يَآ أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّا** } (مريم/٤٣)

ترى إن هناك علاقة وثيقة بين العلم وبين القدرة على الهداية الى الصراط السوي .

٢ / ومن قرائنه التقوى . يقول اللـه تعالى : { **أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللـه هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** } (الزمر/٥٧)

ونعرف من ذلك ايضا ان التقوى علامة من علائم الهداية .

٣ / ومن علائم الهدى اللب ، فالعقل والهدى توأمان . يقول اللـه تعالى : { **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللـه وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُولُواْ الاَلْبَابِ** } (الزمر/١٨)

٤ / وقال اللـه تعالى : { **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَداً** } (الجن/١-٢)

٥ / وكذلك الخشية من قرائن الهدى ، اذ ان الهدى يورث الخشية . يقول اللـه تعالى : { **وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى** } (النازعات/١٩)

زاء : قدوات الهدى

١ / وللهدى قدواته ورموزه وامثلته الحسنى الذين ينبغي الاقتداء بهم ، وجعلهم معالم على طريق الهدى . يقول اللـه تعالى بعد ذكر الانبياء (عليهم السلام) : { **وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (الانعام/٨٧)

٢ / ثم يقول سبحانه : { **أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللـه فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه** } (الانعام/٩٠)

٣ / ومن علامة هؤلاء الرموز انهم يخرون للرحمن سجدا كلما تليت عليهم آياته ، وفي ذلك دلالة بالغة الوضوح على مدى تسليمهم لله تعالى ولوحيه المنزل . يقول اللـه تعالى :

{ اوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللـه عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وإِسْرَآئِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّا } (مريم/٥٨)

٤ / وقال اللـه تعالى : **{ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم }** (الصافات/١١٨)

٥ / وقال اللـه تعالى : **{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين }** (الانعام/٨٤)

ونستفيد من هذه الآية ، أن السبب الذي أختارهم به اللـه سبحانه وتعالى هو إحسانهم .

فقه الآيات

١ / (الزخرف/٤٠) ليس على الرسول (صلى اللـه عليه وآله) ومن هم على خطاه ، الا ابلاغ رسالات اللـه لمن يسمع . أما الصم والعمي فإنهم لا ينتفعون بالبلاغ ، وكذلك الذين هم في ضلال مبين . ونستفيد من ذلك ان شرط وجوب البلاغ توقع الاستجابة ، فإذا لم يكن هنالك أي رجاء في قبول البلاغ فلا يجب ، اللهم إلا لاتمام الحجة .

٢ / (القصص/٥٦) الهدى فضل من اللـه تعالى ، فأمره ليس بيد الداعية ، فلعله يحب هداية عشيرته الاقربين ، أو حتى زوجته وذريته فلا يوفق (كما ان أبا لهب آثر الكفر على الهدى ، وهو عم النبي (صلى اللـه عليه وآله) ، وكذلك زوجتا لوط ونوح ، وهكذا ابن نوح) .

ولذلك فعلى الدعاة الى اللـه ان يبلغوا رسالاته من دون تمييز ، ولا يركزوا على البعض دون آخرين ، ولا يعملوا في الدعوة بوحي عواطفهم وعلاقاتهم الاجتماعية . فلعل ابعد الناس عنهم هو اقرب الى الرسالة من الاقربين .

٣ / (الاعراف/١٧٨) على الانسان ان يتخذ من الهدى والضلال معياراً جدياً لتقييم الناس ، واتخاذ المواقف منهم . فمن اهتدى بالله تعالى ، فهو الصديق الحميم والاخ الأقرب . اما العدو فمن كان في ضلال ، لانه هو الخاسر .

٤ / (الزمر/٣٧) وهدى الله ثابت لا يقدر احد من الناس ان يتطاول عليه . فمن هداه الله لا مضل له ، لان الله عزيز منتقم . وعليه فلا يخشى من هداه الله بفضله من الناس ، ولا يهاب طغيانهم ووسائل ارهابهم .

٥ / (الانعام/٧٧) نستوحي من هذه الآية ان على الانسان ، الاّ يغتر بفكره او بمجتمعه في أهم الامور ، وهو الهدى . فانما الهداية من الله وعلينا ان نطلبها منه ، فإذا تفضل علينا استجبنا له فيها .

٦ / (البقرة/٢١٣) على المؤمن عند الاختلاف ، وبالذات بعد بعث الرسل بالكتب ان يطلب الهدى من الله (باتباع هدى الكتاب والاعتصام بولاية الرسول ومن امر باتباعه من الهداة) . ولا يجوز اتباع الهوى أو الاعتماد على العقل وحده في فرز خطّي الحق والباطل (ذلك لان الباطل يلبس الحق ويرتدي مسوح الكتاب بعد انتصاب الدين) .

٧ / (البقرة/٢٧٢) و (النحل/ ٣٧) و (النحل/٩٣) و (القصص/٥٦) و (البقرة/٢٧٢) ما دام الهدى فضل من الله ، فإن دور الرسول او حملة الرسالة من بعده ليس الا البلاغ . اما حمل الناس على الهدى بأية وسيلة ممكنة ، فإن ذلك ليس من واجبات الرسول . وعليه فلابد ان يتحمل كل انسان مسؤولية هداه بالتوسل الى الله والاستجابة للرسول ، وإذا ضل فإنما يضل على نفسه ، وهو المسؤول الاول عن ضلاله .

وهكذا فإن حرص الداعية على هدى الناس لا يؤثر في سنة الله تعالى في هداية خلقه ، لانه تعالى هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وان من يضله الله فلا يهديه وليس له من ناصر .

وكذلك التمني الذي يراود افئدة الدعاة ابداً ان يجتمع الناس على الهدى ، انه لا يتفق مع سنة الله في خلقه ، حيث انه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء . (وعلى الدعاة

ان يسلموا انفسهم لهذه السنة الالهية ، ويعترفوا بضلالة من اضله اللـه ويشهدوا على ذلك) .

٨ / لا يجوز ان يجعل الانسان نفسه او تجمعه او مذهبه معياراً للهدى ، انما المعيار هدى اللـه . فما وافق كتاب اللـه وسنة نبيه فإنه الهدى ، وما لم يوافقه لا يكتسب صفة الشرعية بمجرد انتماء طائفة من الناس اليه . ونستفيد من هذه البصيرة الحقائق التالية :

الف : الذين يتخذون السلف الصالح معياراً للهدى قد يضلون السبيل حين ينظرون الى القرآن من خلال منظار السلف ؛ فلا يرون الحق الذي تهدي اليه آيات الكتاب الحكيم .

باء : الذين يقدسون مذهبهم وطائفتهم وتجمعهم وحزبهم ، بحيث يجعلون كل ذلك تفسيراً وحيداً للدين ولا يبصرون غيرها .

٩ / (الفرقان/٣١) و (الكهف/١٧) لا ينبغي الاشراك في معيار الهدى بين الوحي وغيره . إذ

يكفي الانسان هدى ما انزله اللـه من نور الهدى ، وما يتفضل على افئدة المؤمنين من ضياء الهداية . ومن هذه الحقيقة نعرف ما يلي :

الف : الذين يزعمون ان الدين لا يفهم الا عن طريق ثقافات بشرية اخرى ، انهم في ضلال . فالمنطق الارسطي القديم ، او مناهج البحث الحديثة (كالمنطق الديالكتيلي او التجريبي او العقلي او الوضعي او الواقعي) ان كل ذلك لا يمكن ان يكمل بصائر الوحي او يكون مما يحتاج اليه في فقه القرآن الحكيم .

باء : على الذين حملوا افكاراً غريبة عن الدين ، سواء من فلسفات ومناهج القدماء أو من ثقافات حديثة ؛ عليهم ان يتحرروا منها عند التأمل في كتاب ربهم او البحث عن حكم شرعي، وعليهم ان يحذروا من تأثيرات افكارهم المسبقة على تفسيرهم للكتاب .

جيم : على العلماء الواعين ان يبذلوا قصارى جهدهم من اجل تطهير المعاهد الدينية من آثار الثقافات الغربية ، سواء التي اضيفت اليها من تأثير الفلسفة الاغريقية او بسبب الظروف الطارئة التي مرت على المسلمين .

١٠ / (البقرة/١٢٠) لا يجوز المساومة على الهدى ، من اجل استرضاء سائر الملل ؛ فانهم لا يرضون حتى يتبع المؤمن ملتهم التي فيها الكثير من الاهواء ، والتي تخالف الحق النازل من عند الله تعالى .

١١ / (الانعام/١٤٩) و (النحل/٩) و (الانعام/٣٥) و (الرعد/٣١) لا يجوز الاعتراض على

سنة الله في خلقه ، تلك التي جرت على انتخاب الناس للهداية بأنفسهم ومن دون جبرهم عليها .. ذلك لان حجة الله بالغة ، وانما عليه قصد السبيل ان يبينه للناس ، وهو قادر على جمع الناس على الهدى ، (او بأية صورة ما يشاء) ولكنه لم يفعل . فمن الجهل تمني ذلك على الله تعالى ، والبحث عن آيات خارقة تجبر الناس على الهدى . ويمكن ان نستفيد من ذلك ، انه لا يجوز اكراه الناس على الهدى .

ميزان الهدى

للهدى موازين ، ولعل من ابرزها :

الف : علم اللـه تعالى

للهدى ميزان حق لا يظلم احدا ، ولا يقدر احد ان يغيره بهواه ، او يتحداه ويعاجزه . انه علم اللـه تعالى .

والنبي موسى (عليه السلام) ذكر قومه بهذا الميزان الذي لا يخطأ ، وكذلك امر اللـه النبي محمداً (صلى اللـه عليه وآله) ان يذكر قومه ويحاجهم بذلك الميزان الحق . فالذي فرض عليه القرآن يرده الى معاد ، وهو اللـه تعالى ، وهو اعلم بمن جاء بالهدى (الرسالة) .

وبيّن اختلاف البشر ، فان ميزان الاهدى سبيلا منهم عند الله تعالى ، ولابد من التماسه منه . وذلك الميزان يعين الضالين (وجدالهم بالباطل لا ينفعهم) وعلى المهتدي ان يجادلهم بالتي هي احسن .

١ / لقد حاج موسى (عليه السلام) قومه بان الله تعالى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فهو يؤيده ويجعل له عاقبة الدار ، بينما ترى الظالمين لا يفلحون ولا يحققون اهدافهم . قال الله تعالى : { **وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْظَّالِمُونَ** } (القصص/٣٧)

٢ / وعي الانسان بعلم الله تعالى بالمهتدي ، وبمن جاء بالهدى من عنده ، يجعله يحذر الشطط . ولذلك ذكر الانبياء الناس بهذه الحقيقة ، لعلهم يزدادون ثقة بصدقهم فيما يخبرون عن ربهم سبحانه . قال الله تعالى : { **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَبِّي أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ** } (القصص/٨٥)

٣ / (والناس يختلفون في شخصياتهم ، وضمائرهم ونياتهم) وكل يعمل على شاكلته (ونيَّته ، وليس عملهم معيارا للحق ، بل الميزان الحق ما عند الله من الهدى ؛ فما طابقه فهو هدى ، وما خالفه فهو ضلال . وهو) اعلم بمن هو اهدى سبيلا . (فلا الادعاء ميزان ، ولا التمني معيار ، وانما على الناس جميعا السعي لمعرفة هدى الله ومحاولة التوفيق معه) . قال الله تعالى : { **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً** } (الاسراء/٨٤)

٤ / (ولعل الكثير من الضالين يدعون انهم على هدى ، بل يخادعون انفسهم بذلك . بينما) الله هو اعلم من يضل عن سبيله قال الله تعالى : { **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } (الانعام/١١٧)

٥ / (وهكذا تتلاشى اماني المخادعين انفسهم امام ميزان الحق ، وهو علم الله تعالى) . قال الله تعالى : { **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } (النحل/١٢٥)

٦ / ولانه عند الجدال يزداد الضال عنادا وادعاءً بسلامة خطه ، فان الحديث عن ميزان الصدق في الهدى علاج لهذا العناد . قال الله تعالى : { **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } (القلم/٧)

باء : الاسلام

١ / والاسلام (التسليم للحق) دليل الهدى ومعياره . (فالذي يتحدى الحق لا يمكن ان يكون مهتديا اليه) . وهكذا حاج الرسول قومه بانه قد اسلم وجهه لله ، وهكذا من اتبعه . (فلا يتبع الهوى ولا الحمية ولا اساطير الاولين) واذا هم يدعون الهدى فليسلموا ، وان تولوا (فهم وحدهم مسؤولون عن ضلالة انفسهم) وليس على الرسول الا البلاغ . قال الله تعالى : { **فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَاَسْلَمْتُمْ فَإِنْ اَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَوْا وإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّه بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** } (آل عمران/٢٠)

٢ / ودليل الاسلام الطاعة للرسول ، فان من اسلم للحق يطيع من يأمر به ويهدي اليه . قال الله تعالى : { **قُلْ أَطِيعُوا اللّه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** } (النور/٥٤)

٣ / والحق واحد ، والايمان به هو الميزان . فإذا ادعى احد انه مهتدي ، فليؤمن بما آمن به المسلمون ، قال الله تعالى : { **فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهتَدَوا وإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّه وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** } (البقرة/١٣٧)

٤ / والملة الحق واحدة ، فهي ملة ابراهيم ، (وملة كل الانبياء ، وهي ملة التوحيد) . فمن اتبع ملة ابراهيم فقد اهتدى (وهذا هو الاسلام الحق) قال الله تعالى : { **وَقَالُوا**

كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (البقرة/١٣٥)

جيم : السلوك

١ / ومن السلوك ما يحدد الهدى او الضلال .، فالفسق (وتجاوز حدود الله تعالى) علامة ضلالة مرتكبة (وهو شيمة الذين لا يتبعون الانبياء) . قال الله تعالى : { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }** (الحديد/٢٦)

٢ / (وقد اودع الله في ضمير البشر الحنان على الذرية) . اما من يقتل اولاده ، فإنه ضال وقد خسر ، لانه سفيه لا يتبع العلم وهذه علامة الضلالة . كذلك الذي يحرم على نفسه ما رزقه الله تعالى . قال الله تعالى : { **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَآءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ }** (الانعام/١٤٠)

٣ / وكذلك الذين اتخذوا من حليهم عجلا ثم عبدوه مع انهم يرونه انه لا يكلمهم فيزيدهم علما او يهديهم سبيلا . قال الله تعالى : { **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَيُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ }** (الاعراف/١٤٨)

فقه الآيات

١ / (القصص/٨٥) و (القصص/٣٧) على الدعاة ان تكون دعوتهم الى الله (وليست لانفسهم) وألاّ يجعلوا ذواتهم معياراً للحق والباطل ، بل علم الله (الذي يتحسس به العقل والقلب ، وتبينه كلمات الوحي) .

٢ / (الاسراء/٨٤) و (الانعام/١١٧) على الانسان ان يتجنب المعايير الذاتية التي تجعل الاهواء معايير للحق ، وانما يجاهد نفسه حتى يجعل هدى الله مقياساً .

٣ / (النحل/١٢٥) و (القلم/٧) لان الله اعلم بمن ضل وهو اعلم بمن اهتدى (فلا خوف من ان يصبح الحق باطلاً ، والباطل حقاً بجدال المبطلين ، فلا يهلك الداعية نفسه جدالاً مع المخالفين) ، انما على الدعاة اتباع الحكمة في الدعوة الى سبيل الله ، (وهي ابلاغ الكلمة المناسبة) والموعظة الحسنة (وبالأسلوب الشيق) ثم ممارسة جدالهم بالتي هي احسن (من بيان الحقائق التي تثبت الحقيقة المطلوبة ، دون التشبث بالافكار الباطلة التي يزعم انها تثبت تلك الحقيقة . وليس له ان ينكر حقاً يزعم خصمه انه يؤيده . وبكلمة الجدال بالتي هي أحسن ، انما هو الجدال بالحق طريقاً لاثبات الحق) .

ونستفيد من مجمل الآيات في هذا الحقل ؛ ان على الداعية ان ينطلق من واقع الثقة بالحق ، فلا يعجل في بيانه بمناسبة وغير مناسبة ، ولا يستخفه كلام المبطلين في التشبث بالاساليب الباطلة ، ولا يستخدم الاسلوب الفظ .

٤ / (آل عمران/٢٠) و (النور/٥٤) و (البقرة/١٣٥-١٣٧) التسليم للحق دليل سلامة المبدء ، والذين يتمردون عليه (باسم او آخر) فإنهم على باطل ، وعلى المؤمن ان يدعو الناس الى التسليم للحق (وليس الى حزبه او مذهبه) فإن اتبعوه فقد اهتدوا . والحق واحد منذ اول رسالة إلهية والى الابد . فهو ملة إبراهيم ، ودعوة موسى ، وبلاغ عيسى ، ورسالة محمد (صلوات الله
عليهم اجمعين) وهو محور الدعاة الى الله في كل مكان .

٥ / (الحديد/٢٦) و (الانعام/١٤٠) و (الاعراف/١٤٨) الحق ينعكس على السلوك ، ويتجلى في العمل الصالح . ومن هنا نستطيع ان نعرف سلامة الطريق من خلال سلوك الناس ، ومدى تطابقه مع العقل والضمير . فإذا رأينا فاسقاً او مجرماً (كالذي يقتل ابناءه) او مشركاً (كالذي يعبد غير الله صنما او شخصاً) ، اذا رأينا امثالهم يدعون الى عقيدة فإن دعوتهم باطلة لا محالة .

(ومن هنا نعرف ان علينا ان نستفيد من محاكمة عقلانية للدعوات قبل فحص علمي دقيق ، اذ ان على كل حق نوراً يدعو اليه ، ولكل دعوة آيات باهرات تبرهن عليه) .

وسائل الهدى

اولا : الدعوة

الف : الكتاب

١ / في شهر رمضان انزل الله القرآن ليوفر للناس جميعا فرصة الهدى ، اما من اهتدى به فانه يؤتى بينات من الهدى وفرقانا يميز به الحق والباطل . (ويبدو ان هذا خاص بالمؤمنين المهتدين) . قال الله تعالى : { **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } (البقرة/١٨٥)

ولكي يستفيد البشر من القرآن عليه ان يصوم شهر رمضان ويكبر الله ويشكره ، هنالك يزهر في قلبه مصباح القرآن بالهدى .

٢ / والقرآن يهدي الانسان ويدله على اقوم السبل التي تحمله الى اهدافه النبيلة ، من معرفة الله ، واتباع رضوانه ، والفلاح في الدنيا والاخرة . قال الله تعالى : { **إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً** } (الاسراء/٩)

وهكذا كانت البشارة من وسائل الهداية في القرآن .

٣ / وفعلا اهتدى العلماء بالله الى الصراط بفضل القرآن ، حتى وجدوه حقا ، ورأوا ذلك

ببصائر قلوبهم رؤية اليقين . قال الله تعالى : { **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ اِلَيْكَ مِن رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي اِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** } (سبأ/٦)

٤ / وبعد وجدانه يقينا شهدوا به (شهادة قول وفعل ، وعقيدة وموقف) فآمنوا بـه . بينما استكبر الظالمون الذين لم يهدهم ربهم اليه (بظلمهم) . قال اللـه تعالى : { **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللـه وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللـه لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (الاحقاف/١٠)

٥ / ونستفيد من آية كريمة ، ان القرآن بذاته هدى ، ولكن انما منع الناس من الايمان بـه والاستغفار من ذنوبهم (ومن ثم اصلاح انفسهم) منعهم انتظار تحقق الوعيد بنزول العذاب كما نزل على الاولين ، ولكن الامر في ذلك اليوم يكون قد قضي ولا ينفعهم ايمانهم شيئا ، قال اللـه تعالى : { **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الاَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً** } (الكهف/٥٥)

٦ / والقرآن هدى لا ريب فيـه (لانه يقضي على الشك وعوامله النفسية والاجتماعية) . قال اللـه تعالى : { **ذَلِكَ الكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلمُتَّقِينَ** } (البقرة/٢)

٧ / ومن تجليات الهدى في الكتاب تصديقه بما نزل من الهدى في الرسالات الالهية ، وقد نزّله جبرئيل عليه السلام (ملك الوحي) على قلب الرسول - بإذن اللـه - ليبشر المؤمنين (فلا ريب فيه ، لان اللـه بعزته وكلمته هو الشاهد على تنزيله بإذنه عبر جبرئيل على قلب الرسول مباشرة ، فانى يكون فيه الريب) . قال اللـه تعالى : { **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللـه مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** } (البقرة/٩٧)

٨ / وقد انزل الهدى من عند اللـه مع اول بشر اهبط الى الارض ، فإذا اتبعه البشر فلا ضلال ولا شقاء (وإذا استكبر فقد ضل علميا وشقى حياتيا) . قال اللـه تعالى : { **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى**} (طه/١٢٣)

٩ / وقال اللـه تعالى : { **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** } (القصص/٤٣)

١٠ / وليس القرآن بدعا . فلقد ارسل اللـه رسله بالكتب التي توفر للناس فرصة الهدى ، كما انزل معهم الفرقان الذي يهدي به اللـه من اتبع رضوانه من عباده الصالحين سبل السلام ، ويؤتيهم نورا يعرفون به الحق . قال اللـه تعالى : { **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللـه لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللـه عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ** (آل عمران/٣-٤)

١١ / ومن تلك الرسالات ما جاء بها النبي موسى (عليه السلام) ، حيث اهتدى بها بنوا اسرائيل بإذن ربهم . وهكذا يهتدي بالقرآن امة محمد (صلى اللـه عليه وآله) . قال اللـه تعالى : { **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِن لِّقَآئِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ** } (السجدة/٢٣)

١٢ / وللكتاب الالهي الذي انزله اللـه هدى ، حملتهُ من ورثة الانبياء . فلقد اورث اللـه بني اسرائيل الكتاب ، وفضلهم به على العالمين (كذلك يورث الكتاب من عباده من يصطفيه له من الاوصياء والربانيين) . قال اللـه تعالى : { **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ** } (غافر/٥٣)

١٣ / (وللهدى درجات ، فالذي يوفر لعموم الناس هو البيان ، وانه لفرصة متاحة لكل البشر ان يهتدوا . ومثله الغيث الذي ينزله اللـه على كل الارض ، فمنها ما تنبت ومنها مالا تنبت . والدرجة الاسمى من الهدى خاصة بالمتقين ، حيث يؤتون نور الهدى حقا) . يقول اللـه تعالى : { **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** } (آل عمران/١٣٨)

١٤ / وقال اللـه تعالى : { **هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِن رِجْزٍ أَلِيمٌ** } (الجاثية/١١)

١٥/ والهدى محتوى رسالات الرب . فلقد انزل اللـه التوراة هدى (للناس) وفيها نور (للانبياء والربانيين والاحبار) ، وفيها حكم اللـه الذي يقضي به الانبياء وهم المسلمون تماما لله وخلفاؤهم ، شريطة الزهد في اموال الاغنياء ، وعدم الخضوع لطغيان الاقوياء . قال اللـه تعالى : { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا**

وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللـه وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ
تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللـه فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } (المائدة/٤٤)

١٦ / وكذلك انزل اللـه الانجيل بالهدى والنور (فالدعوة الى الهدى عامة للناس ، بينما النور لمن هداه اللـه منهم الى تلك الدعوة) . وفي الانجيل تصديق للتوراة ، وفيه هدى (خاصا) وموعظة للمتقين . فالمتقون يشتركون في الدعوة مع الناس وهي الهدى العام ، ويتميزون بهدى خاص وهو النور) . قال اللـه تعالى : **{ وَقَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَاتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى**
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ } (المائدة/٤٦)

١٧ / وبعد التوراة والانجيل انزل اللـه القرآن (الكتاب المهيمن عليهما) . وفيه بصائر للناس جميعا (وتوفير فرصة الهدى لكل من شاء) ، وفيه هدى ورحمة لمن ايقن منهم . (فهم الذين يضيء الرب قلوبهم بنور الحكمة والمعرفة ، فإذا هم ينظرون بنور ربهم الى الحقائق ، وتصوغ الحكمة حياتهم ، فإذا بالرحمة والفلاح وحسن العاقبة تحيط بهم) . قال اللـه تعالى : **{ هَذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}** (الجاثية/٢٠)

١٨ / والهدى (بمعنى توفير فرصة الهداية والدعوة الى الحق والتذكرة به . إنه) مما فرضه اللـه برحمته وفضله على نفسه ، حقا للناس . فقال اللـه تعالى : **{ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى }** (الليل/١٢)

١٩ / (وهكذا انزل اللـه التوراة ، وفاءً بهذا الحق الذي كتب اللـه تعالى على نفسه) وقالت اليهود ما انزل اللـه على بشر من شيء ، وهم يزعمون انهم يؤمنون بالتوراة ، وما انزل التوراة الا رب العالمين . وقد احتوى على نور (لمن آمن) وهدى للناس جميعا ، ولكنهم احتفظوا برسمه وخالفوا حقائقه ، فإذا بهم يبدون بعض الحق ويخفون بعضه . بلى انهم يجادلون في الحق من بعد ما عرفوه ، فذرهم يلعبون بما يخوضون فيه (من ثقافات باطلة) ، واجعل اللـه حكما بينك وبينهم فنعم الحاكم اللـه . قال اللـه تعالى : **{ وَمَا**

قَدَرُوا اللـه حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَآ أَنْزَلَ اللـه عَلَى بَشَرٍ مِن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَـابَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَـهُ قَـرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُـونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَالَمْ تَعْلَمُـوا أَنْتُمْ وَلآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ اللـه ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } (الانعام/٩١)

٢٠ / ومن الاية الكريمة التالية نستفيد ؛ انه بعد توفير فرصة الهدى تتم الحجة على الناس ، فمن اتبع هدى الله فانه لا يخاف ولا يحزن ، (لانه اهتدى الى سبل السلام في الدنيا والى رضوان الله في الاخرة) . قال اللـه تعالى : **{ قُلْنَـا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }** (البقرة/٣٨)

٢١ / وقال اللـه تعالى : **{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى }** (طه/١٢٣)

٢٢ / ومن ابعاد هدى اللـه في التوراة ، ان اللـه تعالى يذكر البشر بلقاء ربهم (وهذه التذكرة الركن الاهم بعد التذكرة باللـه واسمائه الحسنى ، بل هي من تجليات التذكرة باللـه) ، قال اللـه تعالى : **{ ثُمَّ ءَاتَيْنَـا مُوسَى الْكِتَـابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ }** (الانعام/١٥٤)

٢٣ / والكتاب الذي جاء به اللـه تعالى للبشر ، كتاب مفصل على علم . (فيه ما يحتاج اليه البشر من تذكرة وتبصرة ، وشفاء لامراض قلوبهم ، ودفع اختلاف طوائفهم ، وبيان شرائع حياتهم) ، وفيه هدى ورحمة خاصة للمؤمنين . قال اللـه تعالى : **{ وَلَقَدْ جِئْنَـاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** (الاعراف/٥٢)

٢٤ / وقد نزل اللـه القرآن تنزيلا (لكي يثبّت بآياته افئدة المؤمنين) . وكان الكتاب احسن الحديث (لانه يزكي القلب ، ويذكي العقل ، وينمي العزم) . وكان الكتاب متشابها (يصدق بعضه بعضا) ويستجيب له المؤمنون الذين يخشون ربهم ، فإذا بجلودهم تقشعر (تأثرا) ، واذا بقلوبهم تلين ، انه مثل رائع لهدى اللـه الذي يهدي به من يشاء . قال اللـه تعالى : **{ اللـه نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْـهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللـه ذَلِكَ هُدَى اللـه يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشآءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللـه فَمَـا لَـهُ مِنْ هَادٍ }** (الزمر/٢٣)

٢٥ / وهذا الكتاب هو الروح الذي تنزل بأمر الله تعالى ، ولولاه لما كان البشر يدري ما الكتاب ولا الايمان . (فبه عقل البشر ، وبه عرف ربه) وجعله الله نورا يهدي به من يشاء من عباده . (انه وسيلة الجذب الى مقام القرب) . قال الله تعالى : { **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** } (الشورى/٥٢)

٢٦ / وهكذا كان الهدف الاسمى لرسالة النبي موسى (التوراة) هداية البشر (وبلوغهم درجة التفريق بين الحق والباطل) . قال الله تعالى : { **وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } (البقرة/٥٣)

٢٧ / وكذلك الحكمة وراء بيان آيات الكتاب (القرآن) توفير شرط الهداية للناس . (فالعرب كانوا في جاهلية ، على شفا حفرة من النار ، وكان دثارهم السيف وشعارهم العداوات والضغائن ، فانقذهم الله بالكتاب ، وألّف بين قلوبهم حتى اصبحوا اخوانا . هذه آية من آيات الله ، بينها الرب لعلهم يهتدون) . قال الله تعالى : { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } (آل عمران/١٠٣)

باء : الرسول :

١ / وبالرسول تكتمل الحجة ، فهو النذير الذي لا يعذب الله قوما حتى يبعثه اليهم ، وهو وسيلة ظهور الدين على الدين كله حيث قال الله تعالى : { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** } (الصف/٩)

٢ / وقال الله تعالى { **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** } (الاسراء/١٥)

٣ / وكانت بعثة الرسول شرطا اساسيا لهداية الناس ، حيث قال اللـه تعالى : { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللـه شَهِيداً** } (الفتح/٢٨)

جيم : الكعبة

وكما كان الكتاب والرسول وسيلتي الهداية للبشرية ، كذلك الكعبة ، حيث يتقاطر وفود الحجاج اليها ليتزودوا بالهدى . وقال اللـه تعالى : { **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ** } (آل عمران/٩٦)

دال : الانذار

وجاء الرسول (صلى اللـه عليه وآله) بوسيلة الانذار فعبر انذار . قومه ، وفر شرطا اساسيا للهداية ، حيث قال اللـه تعالى : { **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِن نَّذِيرٍ مِن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** } (السجدة/٣)

هاء : التذكرة

وجاء الرسول كما جاء رسل اللـه جميعا بالتذكرة ، وهي وسيلة اخرى للهدى ، وانما الهدف من التذكرة ، توفير شرط الهداية للناس . قال اللـه تعالى : { **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**}(القصص/٤٣)

زاء : آيات الخلقة

وبالاضافة الى آيات اللـه التي انزلت في الكتاب والتي انذر بها وذكر بها الرسل (عليهم السلام) ، فان آيات اللـه في خلقه - هي الاخرى - من وسائل الهداية ، حيث جعل اللـه الارض مهدا وجعل للناس فيها سبلا يبتغون بها معاشهم ويسعدون بها في حياتهم . ولعل

الناس يهتدون الى الحق كما يهتدون - في حياتهم - بالسبل وبالعلامات ، كما قال الله تعالى :
{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (الزخرف/١٠)

ثانيا : الاستجابة

وبعدما توفرت للناس وسائل الدعوة ، التي هي وسائل الهداية ؛ من الكتاب والرسول والكعبة والانذار والتذكرة وآيات الله في الخلق ، بعدئذ تبقى على الناس الاستجابة كشرط
ضروري للهداية . والاستجابة بدورها ذات وسائل .
فالرشد واللب والاستماع والاهتداء ، هي وسائل الاستجابة ، كما الايمان والتسايم والاعتصام
والصبر واليقين والاحسان والجهاد . كل اولئك وسائل ، لا بد ان يوفرها الناس في انفسهم ، لكي يهتدوا الى الحق . وتفصيل القول فيما يلي :

الف : الرشد

١ / القرآن يهدي الى الرشد ، ولان العقل السليم هو الآخر يهدي الى الرشد ، فان العقل يهدي الى ان القرآن من عند الله سبحانه وتعالى . فلذلك لما استمع الجن الى القرآن واستوعبوا محتوى آيات الله ، ووجدوا ان محتواها الرشد ، تقبلوها . قال الله تعالى :
{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَداً } (الجن/١-٢)
٢ / كما ان الانسان يبحث دائما عن الطريق الرشيد ، ويرجوا هداية الله الى ذلك الطريق . قال الله تعالى : **{ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللـه وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِاَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً }** (الكهف/٢٤)

باء : اللب

العقل شرط آخر من شروط الهداية ، وعلى الانسان ان يستثير عقله ، وان يتفاعل مع الهدى حتى يصل اليه . قال الله تعالى : { **هُدىً وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ** } (غافر/٥٤)

جيم : الاستماع

وبعد إستثارة العقل والاستفادة من ذخائره ، يأتي دور الاستماع . فمن دون الاستماع الحسن للدعوة ، كيف تتوفر الهداية للانسان . يقول الله تعالى : { **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللـه وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُولُواْ الأَلْبَابِ** } (الزمر/١٨)

دال : الاهتداء

١ / كما ان الانسان الذي يسلك طريقا يزداد وعيا بالطريق كلما توغل فيه ، كذلك الذين

يهتدون بآية يزدادون هدى من عند الله تعالى . فكلما تقبلوا هدى ، اعطاهم الله المزيد من الهدى . قال الله تعالى : { **وَيَزِيدُ اللـه الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً** } (مريم/٧٦)

٢ / وقال الله تعالى : { **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ** } (محمد/١٧)

هاء : الايمان

١ / إذا آمن القلب بالله (وسلم له وصدق برسالاته) فإن الله يهديه . قال الله تعالى : { **مَآ أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللـه وَمَن يُؤْمِن بِاللـه يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللـه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** } (التغابن/١١)

ونستوحي من الآية ؛ ان محور الهدى (الى كل حق والى سبل السلام) هو الايمان بالله ، وكلما ازداد العبد ايمانا بربه ازداد هدى .

٢ / والتصديق (بكل حق ، سواء الذي انزل على النبي او على الرسل السابقين ، انه) وسيلة الهدى . قال الله تعالى : { **قَالُوا يَا قَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ** } (الاحقاف/٣٠)

٣ / ومن آمن بالله وبالرسالة هداه الله الى الحق في الامور التي يختلف فيها الناس ، والى صراط مستقيم ، قال الله تعالى : { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللـه النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللـه الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللـه يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (البقرة/٢١٣)

٤ / (الكفر حجاب الهدى ، فمن كفر بالرسول حرم من نور الكتاب الذي انزل عليه من ربه) ، ومن آمن بالرسول شفي صدره (من الكبر والحمية والجهل) وهدي (الى الحق) . قال الله تعالى : { **يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ** } (يونس/٥٧)

٥ / وقال الله تعالى : { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** } (التوبة/٣٣)

٦ / (والايمان بالرسول ايمان بكل رسالة ، لان الرسول يصدق بما بين يديه من الرسالات . فهو هدى ورحمة لمن آمن (وصدق وسلم ، ولم يحجبه الكبر والحمية عن الحق) . قال الله تعالى : { **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } (يوسف/١١١)

٧ / وبالايمان (بالله ورسله وكتبه) يهدي الله تعالى عباده الى صراط مستقيم ، (حيث يوصلهم عبره الى رضوانه والفلاح في الدنيا والاخرة . وتلك هي غاية التطلع عند

البشر) . قال اللـه تعالى : { **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّـهُ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِـهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللـه لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (الحج/٥٤)

٨ / وبالايمان يهدي اللـه عباده الى الحق فيما يختلف فيه الناس ، (لانهم محجوبون عن علم حقائق الدنيا والاخرة) . قال اللـه تعالى : { **وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } (النحل/٦٤)

٩ / وفي الكتاب الذي انزله اللـه تعالى الهدى وتبيان كل شيء ، (ولكن لن يبلغه الكافر ، وانما هو) هدى ورحمـة للمسلمين ، (وهم المؤمنون المسلمـوّن للحـق) . قال اللـه تعالى : { **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** } (النحل/٨٩)

١٠ / وقال اللـه تعالى : { **قُلْ نَزَّلَـهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِـالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُـوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** } (النحل/١٠٢)

١١ / وكما القرآن كذلك التوراة ، كانت هدى لبني اسرائيل (لمن آمن منهم) . قال اللـه تعالى : {**وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِـي وَكِيلاً** } (الاسراء/٢)

١٢ / (واول الايمـان التصديـق بالرسول ، والتسليم لـه ، وتجـاوز الكبـر الـذي حجـب الاخريـن عن الهدى ، حيث اعترضـوا علـى اللـه تعـالى ؛ لمـاذا بعث بشـرا رسـولا . فحجبوا عن الهدى) . قال اللـه تعالى : { **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللـه بَشَراً رَسُولاً** } (الاسراء/٩٤)

١٣ / وقال اللـه تعالى (عن قصة اصحاب الكهف) : { **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّـهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّـهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** } (الكهف/١٣)

واو : التسليم

والتسليم من سبل الهداية ووسائلها ، حيث ان الانسان الذي يسلم للحق ولا يعترض عليه ولا يناقش فيه يزداد هدى . يقول اللـه تعالى : { **إِنَّ اللـه لاَ يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا**

بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللـه بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ } (البقرة/٢٦)

ترى ان اولئك الذين يهديهم اللـه بهذا المثل ، هم المسلّمون لأمر اللـه تعالى .

زاء : اتباع رضوان اللـه

١ / من اتبع رضوان اللـه وجعل مرضات اللـه سبحانه قبلة لوجهته ، وبوصلة لحركته ، ومقياسا لمواقفه ، وميزانا لفكره ، فان اللـه يهديه الى سبل السلام ويهديه الى صراط مستقيم . (اما سبل السلام ، فهي - كما يبدو - السبل الآمنة في الحياة التي تحمل الانسان الى اهدافه المشروعة من دون عقبات كثيرة او اخطار) . واما الصراط المستقيم فهو الطريق الذي يؤدي الى الجنة . قال اللـه تعالى : **{ يَهْدِي بِهِ اللـه مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }** (المائدة/١٦)

٢ / ومن إتباع رضوان اللـه إتباع رسول اللـه . فلا يمكن للانسان ان يتبع رضوان اللـه من دون رسول يتبعه ويجعل كلمته وأوامره معيارا لحركته . يقول اللـه تعالى : **{ قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللـه إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالاَرْضِ لآ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللـه وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللـه وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }** (الاعراف/١٥٨)

تدبروا في ان الهداية جاءت بعد اتباع الرسول ، مما يدل على ان اتباع الرسول شرط اساسي للهدى .

٣ / ومن الاتباع ؛ اتباع الانبياء ، فان من اتبع الانبياء اقتدى بهداهم . قال اللـه تعالى : **{ أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللـه فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ }** (الانعام/٩٠)

نستفيد من الآية ان من اراد الهدى اتبع الانبياء ، لانهم قد اهتدوا .

٤ / ومن اتباع الرسول الاعتصام به ، وبالذات عند اختلاف الآراء وتشتت الافكار . فان الاعتصام بالرسول عند الاختلاف ، هو المقياس الصحيح والدقيق لمدى اتباع الانسان للرسول .، قال الله تعالى : { **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللّه وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّه فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (آل عمران/١٠١)

علما بان هذه الآية تأتي قبل الآية الكريمة التي تأمر بالوحدة والتي تتقول : { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّه جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا** } (آل عمران/١٠٣)

مما نستوحي ان الاعتصام بالرسول في هذه الآية يكون امانا للأمة عن الشقاق والاختلافات .

٥ / وانما يجب اتباع الرسول والانبياء (عليهم الصلاة السلام) (والائمة الذين هم على هدى الانبياء ، والعلماء الذين هم على هدى الائمة) إنما يجب إتباعهم ، لأنهم يهدون الى الحق . قال الله تعالى : { **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّه يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** } (يونس/٣٥)

حاء : طاعة الرسول

١ / يبدو ان الطاعة هي الاتباع في بعد معين ، (ولعل الطاعة هي الاتباع للقرارت التي تصدر عن الرسول في المتغيرات) . قال الله تعالى : { **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } (البقرة/١٥٠)

ومن قوله سبحانه : { **لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } نستفيد أن طاعة الرسول في امر القبلة سيكون وسيلة
للهداية .

٢ / والطاعة (وبالذات في درجاتها العليا) تورث الهدى . قال الله تعالى (بعد ذكر مراتب من الطاعة) : { **وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً** } (النساء/٦٨)
ومن دراسة الآيات السابقة (النساء / ٦٥ - ٦٦) نعرف معنى الطاعة .

طاء : الجهاد

والجهاد (الذي يتجاوز معناه معنى القتال ليشمل كل مجاهدة ومكابدة وكدح ، إنه) وسيلة من وسائل الهداية . ذلك لان الطاعة والاتباع والاعتصام والتسليم ، إنما تبلغ ذروتها عند مواجهة العقبات ، ثم مكافحتها حتى يتجاوزها الانسان . قال الله تعالى : { **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللـه لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** } (العنكبوت/٦٩)

ياء : سمو الاخلاق

وللهداية وسائلها الاخلاقية . فكلما تسامى الانسان خلقيا وتسامت شخصيته وتكاملت ، كلما استعدت اكثر فأكثر لتلقي نور الهداية .

١ / ومن ذلك الصبر واليقين ، حيث قال الله تعالى : { **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** } (السجدة/٢٤)

إن هؤلاء تجاوزوا مرحلة الهداية لانفسهم ، وانما اصبحوا هداة لغيرهم ، وذلك بسبب خصلتين الصبر واليقين .

٢ / ومن ذلك الانابة .فان (الهدى نور الله ، ونور الله يتلقاه الذي ينيب الى الله عز وجل) قال الله تعالى : { **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللـه يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ** } (الرعد/٢٧)

٣ / الاحسان ، حيث يقول الله تعالى : { **هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِين** } (لقمان/٣)

٤ / الصبر عند المصائب ، حيث يقول الله تعالى : { **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون** } (البقرة/١٥٧)

٥ / التقوى . فان المتقين الذين يصفهم القرآن الكريم في بداية سورة البقرة ، وينعتهم بالايمان بالغيب والايمان بالرسل وإقامة الصلاة والانفاق مما رزقهم ، ان هؤلاء هم الذين يقول عنهم اللـه تعالى بعدئذ : { **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } (البقرة/٥)

فقه الآيات

١ / (البقرة/١٨٥) القرآن هدى للناس جميعاً ، وبينات من الهدى والفرقان . تلك هي بصائر هذه الآية الكريمة فيما يتصل بحقل الهدى ، والتي نستوحي منها حقائق :

الف : لان القرآن كتاب هدى للناس ، فعلينا نشره بين الناس تلاوة وترجمة وتفسيراً . انه خير وسيلة للدعوة الى اللـه ، وابلاغ رسالات اللـه .

باء : من ذلك نعرف ان على كل مسلم قراءة ما تيسر من كتاب ربه ، وينبغي تعاهده اناء الليل وقراءة المزيد من آياته في الصلوات المندوبة ، وانتخاب العديد من سوره في الفرائض ، فإنه وسيلة هدى لا يستغني عنها .

جيم : على المجتمع توفير نسخ القرآن بالقدر الكافي ، وان وجود نسخة من القرآن في كل بيت مسلم من الحاجات الاساسية التي لابد من توفيرها لمن لا يستطيع اليها سبيلاً .

دال : تأسيس إذاعات قرآنية ، ونشر تلاوة القرآن عبر الاشرطة المسجلة ، لانتاج وبرامج كمبيوترية في علوم القرآن وتفسيره ، وافلام قرانية ، وغيرها .. يعتبر من أهم واجبات المجتمع الاسلامي .

كذلك ترجمة معاني آيات اللـه ، ونشرها في البلاد المختلفة وحسب اللغات . انها من الامور الحسبية التي لا ينبغي التهاون فيها ابداً .

هاء : وعلى المعاهد الدينية (الحوزات) والمدارس والجامعات ان تضع في اولويات مناهجها دراسة القرآن ، للاستفادة من بيناته وفرقانه ، وليجعل القرآن بصيرة لمعرفة

حقائق الحياة وميزاناً لتمييز الحق ومعرفة أهله . وبالتالي ليجعل القرآن صبغة العلوم جميعاً ، وبالذات
العلوم الانسانية المختلفة مثل علم الاجتماع والسياسة والتاريخ والنفس و .. و ..

زاء : باعتبار القرآن نزل في شهر الصيام ، فإن هذا الشهر ربيعه ، ويتأكد استحباب دراسته فيه. وعلى جميع الاجهزة الثقافية والعلمية والاعلامية في كل المؤسسات الادارية ان توفر فرصة قراءة القرآن والتدبر فيه خلال شهر الصيام .

حاء : ونستوحي من ذلك ايضا ان حالة الصيام (وربما الصلاة والطواف ، والحضور في المساجد والمراقد وكل موقع ديني او حالة دينية) هي حالة مناسبة لتلاوة القرآن والاستماع اليه .

طاء : لابأس ان تجعل تلاوة القرآن زينة لمحافل ا لعزاء ، وآية مناسبة يزداد المرء فيها ايماناً وابتهالاً مثل اوقات السفر والمرض ، وعند الابتلاء بالمشاكل ، وعند المرور بآثار الغابرين . وينبغي احترام قراءته بالاستماع اليه والانصات وما اشبه .

٢ / (الاسراء/٩) على المسلم ان يبحث في كتاب ربه عن حل لمشاكل حياته ، واجابة عن المعضلات الفكرية التي تواجهه ، وعن احسن السبل لبلوغ اهدافه .. فإذا اراد الغنى او الصحة او الامن وغيرها ، فان عليه ان يقرء كتاب ربه بتدبر ليجد فيه الجواب المناسب .

٣ / (سبأ/٦) على المسلم ان يتدبر في كتاب الله تعالى ، حتى يبصر فيه تجليات ربه ، ويجد برد اليقين في قلبه ، ويزداد سكينة وطمأنينة .

٤ / (الاحقاف/١٠) الشهادة بالحق بعد ظهور آياته والايمان به ، انها من المسؤوليات الاساسية . وحكمة ذلك توفير فرصة الهداية للآخرين ، الذين تبلغهم شهادة المؤمنين بالحق . وهذه الشهادة درجة من درجات الدعوة الى الحق .

٥ / (الكهف/٥٥) قبل العذاب يأتي الناس النذير ، فمن آمن واستغفر ربه أمن ، ومن تمادى حتى يحل به العذاب لم ينفعه إيمانه . وهكذا كان على الانسان ان يستجيب للدعوة

والانذار بدلالة الآيات ، وعند توفر الشواهد ، ولا ينتظر تحقق الانذار ، فإنه يكون قد فات الاوان .

٦ / (البقرة/٢) و (البقرة/٩٧) و (طه/١٢٣) لان قلب الانسان يتعرض لامواج الشك والارتياب ، فإن عليه ان يستغيث بربه ، ويطهر بالقرآن قلبه من الشك والارتياب ، ويتبع هدى الله حتى لا يضل ولا يشقى .

٧ / (القصص/٤٣) على الانسان ان يتسلح برؤى القرآن لمعرفة حقائق التاريخ ، وان القرون الاولى كيف هلكت ولماذا . وهكذا يتنكر الانسان ، فلا يسلك سبيل الهالكين من قبل .

٨ / (المائدة/٤٤) نستلهم البصائر التالية من الآية الكريمة :

الف : واجب التسليم للأنبياء (عليهم السلام) ولهدى سيرتهم وسنتهم .

باء : واجب الطاعة للربانيين (وهم العلماء بالله ، الامناء على حلاله وحرامه ، العاملون بهداه والمخالفون لهوى انفسهم) .

جيم : بعد الانبياء والربانيين يستلم القيادة الاحبار (وهم العلماء) بشروط اربعة :

اولا / استحفاظهم لكتاب الله (ومعرفتهم بحدود الكتاب وعملهم بها) .

ثانياً / شهادتهم على الكتاب (بالدعوة اليه وقيادة الناس اليه) .

ثالثاً / خشية الله دون الناس (وعدم الخضوع لتهديد احد من الكبراء والرعاع) .

رابعاً / ألايشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً (فلا تقودهم رغبتهم في المال الى التهاون في احكام الكتاب) .

ومن اجتمعت فيه هذه الشروط ، وجب ان يسلم الناس لحكمهم بالكتاب .

٩ / (المائدة/٤٦) و (الجاثية/٢٠) على المؤمن ان يسعى ليزيد تقواه ويقينه ، ليزداد هدى .

١٠ / (الانعام/٩١)

الف : لا يجوز اضاعة حق الكتاب والاحتفاظ بحرفه وتحويله الى رسوم على قرطاس ، مثل الاهتمام بالجوانب الشكلية منه دون روحه وحقائقه وما فيه من نور وهدى . بل

يجب التأمل في روح الكتاب وما فيه من علم وحكمة ، وما فيه من بصائر وهدى ، وما فيه من ضياء التوحيد ، ونقاء الاخلاص وصفاء العبودية التامة لرب العزة ، ومجانبة الهوى والحمية والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

باء : لا يجوز تبعيض الكتاب والاخذ ببعضه واخفاء بعضه (حسبما يقتضيه الهوى او الجهل ، كالاهتمام مثلا بالصلاة دون الزكاة والجهاد او التركيز على الفرائض الشخصية دون القضايا الاجتماعية والسياسية) .

١١ / (الزمر/٢٢) ينبغي تلاوة الكتاب تلاوة حزن وتسليم وتذكرة . (ففي القرآن انذار بالعذاب ، وموعظة بالغة مما يقتضي الحزن . وفيه اوامر ووصايا مما يقتضي الطاعة والتسليم . وفيه ذكر الله واسماءه الحسنى مما يستدعي التذكر) .

١٢ / (الشورى/٥٢) الصراط المستقيم محور هداية النبي (صلى الله عليه وآله) . فهو - إذاً - قيمة سامية ، على كل انسان البحث عنه والتمسك به والدعوة اليه . ومن ذلك نستوحي التوصيات التالية :

الف : الاهتمام بحقوق الناس جميعاً ، واعطاء كل شخص او طائفة ما يستحقونه دون تمييز ، فإنه من الصراط المستقيم .

باء : تقييم الظواهر والحوادث من دون تطرف او تحيز الى عامل محدد او داع معين ، وانما باشراك كل العوامل والدواعي والاسباب التي ساهمت في تكون الظاهرة او الحادثة .

جيم : عدم الانسياق وراء الحميات والعصبيات في تحديد المواقف من الناس او من الحوادث .

وهكذا ينبغي للمؤمن ان يبحث عن الاستقامة في علاقاته مع الناس ، وفي تعرفه على الظواهر ، وفي مواقفه من الحوادث .

١٣ / (آل عمران/١٠٣) لان الهدف من بيان الله آياته الهداية ، فإن علينا ان نتخذ من آيات الكتاب الكريم وسيلة للاهتداء الى الحقائق (بالتدبر فيها ، واثارة عقولنا بها ، وتطهير قلوبنا بما فيها من عبر وبصائر) .

١٤ / (الصف/٩) و (الفتح/٢٨) وعلى المؤمن ألاّ يأبه بالمشركين ان يكرهوا ظهور الرسول بما جاء به من هدى الله ودين الحق ، (فليقاوم كل الضغوط وليعمل باجتهاد لنشر رسالة النبي في كل الآفاق) .

١٥ / (آل عمران/٩٦) على المسلمين ان يتخذوا من الكعبة المشرفة منطلقاً للدعوة الى الله ، وهداية البشرية الى الدين الحق ، فإنها هدى للعالمين . كما ان عليهم ان يستفيدوا منها لاصلاح شؤونهم وتنمية اقتصادهم ، فإن بيت الله مبارك للعالمين .

ونستفيد من هذه البصيرة الحقائق التالية :

الف : على المسلمين ان يحافظوا على حرية الدعوة عند البيت الحرام ولكافة العاملين في الحقل التبليغي ، وألاّ يدعوا الحرم الالهي مركزاً لدعوة خاصة او لحزب او طائفة أو مذهب دون غيرها ، حتى يكون بيت الله حرماً آمناً لكل المؤمنين ينطلقون منه الى آفاق الارض لنشر الرسالة الالهية .

باء : على كل المسلمين واجب البحث عن شؤونهم عند البيت الحرام ، وفي كافة فصول السنة وبالذات في الاشهر الحرم حيث الحج والعمرة ، حتى يكون البيت مركزاً اقتصادياً لكل الامة ، بل لكل العالم بمافيه من حرية تامة لكل الناس ، وبركة للبشرية جميعاً .

هناك بيت المال (ادارة الشؤون المالية) وبيت التجارة وبيت الخبرة وبيت التعاون الاقتصادي .. وبالتالي بيت بركة الله في الارض .

جيم : الكعبة مدرسة الهدى للعالمين ، وعلى المسلمين ان يحولوا بيت الله الحرام الى مبعث نور المعرفة ، وليجعلوا فيه افضل جامعة وافضل مركز للبحوث العلمية والدينية .

١٦ / (السجدة/٣) و (القصص /٤٣) حكمة النذر التي توالت على البشرية هي هداية الناس ، فعلى الناس ان يستجيبوا للنذر وليهتدوا بها الى حقائق التاريخ وسنن الله في خلقه .

١٧ / (الجن /٢) و (الكهف/٢٤)

الف : على الانسان ان يستثير دفائن عقله كلما دعي الى الرسالة ، فإذا كانت الرسالة دعوة الى الرشد اخذ بها .

باء : وعلى المؤمن ان يعلق اعماله بمشيئة الله تعالى ، ويذكر ربه عند النسيان ، (وبيحث دائما على اقرب الطرق الى تطلعاته المشروعة) ، ويقول لعل الله يهديني لرشد اقرب مما انا فيه او اخطط له . (وهكذا ينبغي للمؤمن ان يتطلع دائما الى اهدى السبل ، وارضى الملل الى الله تعالى ، واحسن القول) .

١٨ / (الزمر/١٨) و (غافر/٥٤)

الف : وهكذا ينبغي ان يختار الانسان بين مستويات الحسن احسنها ، (وبين درجات الهدى الى اسماها ، وبين المناهج والبرامج انسبها الى وضعه) . ويتم ذلك بالاستفادة من العقل وذخائره ، والتفكر في محتوى الكلمات ، والتدبر في معاني الآيات .

باء : حسن الاستماع الى القول ، من الوصايا الالهية التي بشّر الله من عباده من اوتي حسن الاستماع ، (وحسن الاستماع يتم بالاستعاذة بالله من الحميات والمواقف المسبقة ، ومن وساوس الشيطان ، ومن الهيبة التي تستبد بالبعض من أي دعوة جديدة ، ومن تقليد السابقين والجمود على افكارهم) .

وهكذا ينبغي للمؤمن ان يستمع الى من يدعوه الى الخير استماعاً حسناً ، ثم يختار احسن القول .

١٩ / (البقرة/٢٦) لا يجوز الاعتراض على كلمات الوحي ، حتى ولو لم يهتد الانسان الى الحكمة من ورائها ، كالذي يعترض على مثل يضربه القرآن بالبعوضة فيقول ماذا اراد الله بهذا مثلاً .

٢٠ / (المائدة/١٦) و (الاعراف/١٥٨) لكي تعرف سبل السلام (الآمنة التي لا تعترضها عقبات او اخطار) . افعليك ان تجعل مرضاة الله معياراً لحركتك في الحياة ، فلا تحيد عنها . فالله تعالى يهديك الى تلك السبل بإذنه ، كما يهديك الى صراط مستقيم . ومن اتباع رضوان الله اتباع الرسول ، فإنه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي

يوحى . ومن ذلك الاقتداء بهدى الانبياء (وكل من هداه الله تعالى من الاوصياء والصديقين) .

٢١ / (آل عمران/١٠١) يجب الاعتصام بالرسول والكتاب الذي انزل عليه ، (ومن الاعتصام به الرجوع الى سنته وعترته) . وذلك عند اختلاف الآراء وتشتت المذاهب ، فإن الله تعالى قد وعد المعتصمين به ان يهديهم الى صراط مستقيم .

٢٢ / (يونس/٣٥) يجب اتباع الهداة الى الحق ، وترك الضالين . (ومن ذلك اتباع الربانيين من العلماء بالله ، الامناء على حلال الله وحرامه) .

٢٣ / (العنكبوت/٦٩)

الف : ينبغي البحث عن سبل الله التي جعلها في الخليقة ، (والتي هي سبل السلام) . وذلك ضماناً لتحقق التطلعات ، وقضاء الحوائج ، وبلوغ الغايات المشروعة ، والاهتداء الى هذه السبل يكون بالجهاد في سبيل الله تعالى (والاجتهاد في العمل الصالح ، وبذل كل مافي الوسع من الطاقة) .

باء : ومن هنا ينبغي للمؤمن ان يكون مجتهداً باذلاً ما في نفسه من الطاقة في سبل الخير ، ولا يعتني بالعقبات ، ولا يأبه بالجهل الذي فيه ، فإن سحاب الجهل ينقشع بضياء الجهد والمكابدة . باذن الله تعالى .

جيم : كما ينبغي ان يستمد الانسان القوة والنشاط من فضيلة الاحسان الى الناس . فإن الله

تعالى مع المحسنين . ومن كان الله معه ، فإنه لا يخشى رهقاً ولا ضعفاً .

٢٤ / (السجدة/٢٤) نستفيد من الآية البصائر التالية :

الف : من التطلعات المشروطة للمؤمن ان يصبح اماماً للهدى . وعليه فينبغي لكل مؤمن ان يتطلع الى ذلك ، ويسعى اليه بكل جهد مبارك ، وعبر السبل المشروعة .

باء : وان الهدف الاسمى للقيادة ، هداية الناس الى الحق بإذن ، الله وفي حدود الشريعة الغراء . ولا يجوز التعالي على الناس والاستكبار في الارض بمجرد ان يكون الانسان

افضل من غيره ، واكثر التزاماً بحدود الشرع ، وانما الحكم لله . والمؤمن يؤم الناس بإذن اللـه ، وفي حدود الصلاحيات المخولة اليه فقط .

جيم : ينبغي الصبر (في مواجهة التحديات ، وبالذات تلك التي تأتي من قبل القوى المنافسة) .

دال : ينبغي التسلح باليقين (عندما تزل الاقدام بسبب الصعوبات التي نعترض طريق القيادة . اما المؤمن الصادق فإنه يبقى راسخ القدم مستقيماً على الطريق) .

٢٥ / (الرعد/٢٧) تجب الانابة الى اللـه تعالى ، والتضرع اليه ، فانها وسيلة الهداية . ولايجوز الاعتراض على اللـه ، ولا على الرسول في امر الوحي . فمن وسوس اليه ابليس بذلك ، فعليه المسارعة الى التوبة لكي لا يضله اللـه تعالى .

٢٦ / (البقرة/١٥٧) ينبغي الصبر عند نزول المصائب ، وتذكر حقائق الايمان عندها ان المخلوق انما هو لله وانه اليه راجع . وبذلك يهديه اللـه ، وينزل عليه الصلوات والرحمة .

حجب الهدى

تمهيد :

هذا الفصل يتحدث عن الآيات القرآنية التي توالت حول حجب الهداية ، وقد قسمناها الى مجموعة اقسام :

الف : الاخطاء المنهجية ؛ التي تتناول حجب الاعراض ، والريب والجدل واتباع الكبراء والعمى واتباع الناس وشراء الضلالة بالهدى .

باء : حجب الشهوات ؛ والتي تحتوي على حجاب الملك ، وحجاب النعم وتزيين النفس ، وربما شراء الضلالة بالهدى .

جيم : حجب الحميات ؛ التي تتناول حجب بشرية الرسول والعجب ، والكبر ، والتحدي والقومية ، والعنصرية .

دال : حجب الفسق ؛ التي تشمل حجاب الذنب والاجرام وترك الجهاد وتضليل الشيطان .

هاء : حجب الظلم ؛ والتي تتناول حجاب الذنب ، والافتراء ، والاعتقاد بتساوي الجهاد والعمل والتزمت واتباع الهوى وتزيين النفس والكفر بعد الايمان وتولي الكفار والتكذيب بآيات الله .

واو : حجب النفاق ؛ و تحتوي على حجابي مشاقة الرسول وتولي الكفار .

زاء : حجب الكفر ؛ التي تحتوي على استحباب الدنيا على الآخرة او الضلالة على الهدى

والكفر بآيات الله والكفر بعد الايمان والنسيء وتحدي الولاية والكفر بالمن والاذى .

حاء : حجب الاضلال ؛ فهي تحتوي على حجاب الطبع على القلب وان الله يضل العبد .

هذه الحجب تمنع نور الهداية ان ينفذ الى قلب الانسان .

الف : الاخطاء المنهجية

١/ الاعراض :

الذين يعرضون عن آيات ربهم بعد ان يذكّروا بها ، فانهم سوف يبتلون بالضلالة الابدية ، ولن يهتدوا ابدا ، قال الله تعالى : { **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً** } (الكهف/٥٧)

٢ / الجدال :

فالذين يجادلون بآيات الله يحتجبون عنها ، وبالتالي يحتجبون عن نعمة الهدى . قال الله تعالى : { **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللّه سَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّه بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ**} (لقمان/٢٠)

٣ / اتباع الكبراء :

فمن اتبع الكبراء حجب عن اتباع الانبياء ، ومنع الهداية . قال الله تعالى : { **وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّه مِن شَيءٍ قَالُوا لَو هَدَانَا اللّه لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَحِيصٍ** } (ابراهيم/٢١)

٤ / العمى :

فمن ابتلي بالعمى فلم يبصر آيات الله ، فانه لن يهتدي الى الحق ابدا ، قال . الله تعالى :

الـف : { **وَمَـآ أَنـتَ بِهَـادِي الْعُمْـيِ عَـن ضَـلاَلَتِهِمْ إِن تُسْـمِعُ إِلاَّ مَـن يُـؤْمِنُ بِآيَاتِنَـا فَهُـم مُّسْلِمُونَ}** (الروم/٥٣)

بـاء : { **وَأَمَّـا ثَمُـودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَـاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** } (فصلت/١٧)

إن العمى - كما الهدى - خيار للانسان ، فمن شاء اختاره . ومن اختـار العمـى واستحبه وفضله على الهدى ، فانه لن يهتدي الى الحق ابدا .

جـيم : { **وَمَـآ أَنـتَ بِهَـادِي الْعُمَـيِ عَـن ضَـلاَلَتِهِمْ إِن تُسْـمِعُ إِلاَّ مَـن يُـؤْمِنُ بِآيَاتِنَـا فَهُـم مُسْلِمُونَ}** (النـمل/٨١)

ومن هذه الآية نستوحي ان من لا يؤمن بآيات اللـه فهو الاعمـى ، لانـه لا يستمع اليها استماع مسلم ومذعن ومعترف . اما الذي يؤمن بآيات اللـه ويستمع اليها استماع مسلم ، فاللـه سبحانه وتعالى يهديه الى الحق .

٥ / ضلالة الناس :

من الاخطاء المنهجية ان يتبـع الانسـان النـاس سواء ضلوا او اهتدوا . والقرآن الكريم يحذّر من هذا الخطأ ، وهو اتباع الناس فيما يخوضون فيه . ويقول اللـه تعالى : **{ يَـآ أَيُّهَـا الَّـذِينَ ءَامَنُـوا عَلَـيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَـن ضَـلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَـى اللـه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }** (المائدة/١٠٥)

باء : الشهوات

شهوات الانسان قد تتضخم فتحجبه عن الهدى . فقد يخشى البشر زوال النعم الالهيـة التـي اسبغت عليـه ، مثل نعمة الرفـاه او الأمن او السلطة ، فيحجب بها عن الهدى . بينمـا النـعم كلها من اللـه ،

وكذلك الهدى من اللـه . ومن اهتدى فانه يتنعم بهذه النعم افضل من غيره ، وتستمر لـه هذه النعم .

١ / نعمة الثمرات والامن :

فقد قالت قريش بانه لو اتبعنا الرسول فقدنا نعمة الامن التي نتمتع بها في مكة المكرمة ، كما نفقد نعمة الثمرات . فأجابهم ربنا سبحانه : { **وَقَالُوا إِن نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَهُمْ حَرَماً ءَامِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** } (القصص/٥٧)

فلانهم خشوا وخافوا من التشرد - بسبب جهلهم بان نعمة الأمن التي يتمتعون بها هي نعمة إلهية - لذلك تراهم حجبوا عن الهدى .

٢ / الملك :

لقد كان الملك سبب طغيان فرعون على هدى الرسالة ، وعلى رسول رب العالمين . وقد حكى اللـه سبحانه وتعالى قول النبي موسى (عليه السلام) :

١ / { **يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللـه إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرَى وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** } (غافر/٢٩)

فرعون اغتر بالملك وقاوم هدى رب العالمين ، وهكذا فراعنة الارض لا يهتدون الى الحق بسبب غرورهم بملكهم وسلطتهم .

٢ / وكما فرعون ، كذلك نمرود . فقد تحدى النبي ابراهيم (عليه السلام) رسول ربه اليه ، ولم يهتد الى الحق بسبب ما آتاه اللـه من الملك . قال اللـه تعالى : { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللـه الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ اِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللـه يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (البقرة/٢٥٨)

ونستوحي من الآية الكريمة ان سبب ضلالة نمرود ، هو ظلمه وتجبره على الناس وتسلطه
بالباطل . والله لا يهدي مثل هذا الانسان ، لانه محجوب بظلمه ، محجوب بملكه الظالم .

٣ / شراء الضلالة :

الذين يستحبون الحياة الدنيا تراهم يشترون الضلالة بالهدى . فحفنة من الدراهم ، وكرسي من الحكم ، وومضة من الشهرة ، وبالتالي أي نوع من متاع الحياة الدنيا يخدعهم عن الهدى ، فيبيعون هداهم بمتاع الحياة الدنيا . وقد وردت آيات كريمة في ذم هذه الحالة ، وفي بيان ان هذا الشراء الخاسر هو حجاب بينهم وبين الهدى .

الف : قال الله تعالى : { **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** } (البقرة/١٧٥)

باء : قال الله تعالى : { **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِين** } (البقرة/١٦)

جيم : الحميات

ومن أبرز حجب الهدى ؛ الحمية الجاهلية . فالتحدي والفسق ، والاستكبار عن الحق والكفر بالرسول لانه بشر ، كما العصبية والقومية والعنصرية ، هي من ابرز اسباب الضلالة .

١ / التحدي والفسق :

الف : فالبعض لا يستوعب الامثلة القرآنية بسبب حميته وتحديه وكبره ، ولذلك يبقى في الضلالة . يقول الله تعالى : { **إِنَّ اللـه لاَ يَسْتَحْيِ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ**

أَرَادَ اللـه بِهَـذَا مَـثَلاً يُضِـلُّ بِـهِ كَثِيـراً وَيَهْـدِي بِـهِ كَثِيـراً وَمَـا يُضِـلُّ بِـهِ إِلاَّ الْفَاسِـقِينَ } (البقرة/٢٦)

باء : وكان البعض يرتاب ويفتن نفسه ، بسبب عدم استيعابه لعدد الملائكة الموكلين بالنار ، وعدم تسليمه لهذه الحقيقة حمية منه وكبرا . يقول اللـه تعالى : **{ وَمَـا جَعَلْنَـآ أَصْحَابَ النَّـارِ إِلاَّ مَلآئِكَـةً وَمَـا جَعَلْنَـا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَـةً لِلَّـذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ وَيَزْدَادَ الَّـذِينَ ءَامَنُـوا إِيمَانـاً وَلاَ يَرْتَـابَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَلِيَقُـولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللـه بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِـلُّ اللـه مَن يَشَـآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ }** (الدثر/٣١)

تجد ان القصة هي قصة فتنة تمثلت في عدد الملائكة الموكلين بالنار . ويذكر ان عددهم كان (١٩) ، فتساءل الذين في قلوبهم مرض ، لماذا لا اقل ولا اكثر ؟ ويا ترى ماذا كان مرض قلوبهم ؟ ربما كان ذلك المرض ، مرض الحمية وتحدي الحق . ولذلك حينما فتنوا ببيان حقيقة لم تستوعبها عقولهم ، ضلوا عن الطريق . فقال ربنا : **{ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللـه مَن يَشَآء }** .

٢ / الاستكبار :

فالاستكبار الذي منشؤه الحمية ، يحجب الانسان عن الهدى . يقول اللـه سبحانه : **{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللـه وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَـأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللـه لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }** (الاحقاف/١٠)

٣ / العصبية :

لوكان القرآن الكريم يتنزل على قوم من الاعجميين ، لكانت قريش او بعض العرب يكفرون به بسبب عصبيتهم ، لانهم لا يفهمونه . والقرآن الكريم يوبخهم على ذلك ، لان اللغة ليست معيارا للهدى . فيقول اللـه تعالى : **{ وَلَـوْ جَعَلْنَـاهُ قُرْءَانـاً أَعْجَمِيّـاً لَقَـالُوا لَـوْلاَ**

فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ } (فصلت/٤٤)

نستوحي من الآية ان العصبية هذه جعلت اولئك القوم يعمون عن هدى القرآن ، بالرغم من انهم من العرب ، والقرآن انزل بلغة عربية . فكيف لو انه كان قد انزل بلغة اعجمية ؟

٤ / العنصرية والطبقية :

كان البعض من الكفار . يكفرون بالرسالات الالهية ، لمجرد ان الفقراء والمستضعفين سبقوهم

الى تلك الرسالة . يقول الله تعالى : **{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَآ**

إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ } (الاحقاف/١١)

٥ / الرسول بشر :

١ / ان الكفار احتجبوا عن هدى الرسالة بسبب حميتهم وتكبرهم ، وعدم تسليمهم لبشر من امثالهم ، فقال الله تعالى : **{ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللـه وَاللـه غَنِيٌّ حمِيدٌ }** (التغابن/٦)

٢ / وقال الله تعالى : **{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللـه بَشَراً رَسُولاً }** (الاسراء/٩٤)

وان هؤلاء استكبروا عن قيادة الرسل ، فكفروا بالرسالة ، فحجبوا عن هداها .

٦ / عبادة الهوى :

وقد تهيمن الحمية على قلب الانسان الى درجة تراه يتخذ الهه هواه ، فيضله الله اضلالا . يقول الله تعالى : **{ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَآهُ وَأَضَلَّهُ اللـه عَلَى عِلْمٍ**

وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللـه أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ } (الجاثية/٢٣)

ويبدو ان الهوى الذي يتخذه البعض إلها من دون اللـه ، ذلك هوى الانانية الذاتية .

دال : الفسق

من حجب الهداية الفسق . فالذنب والاجرام . والحنث والكذب وترك الجهاد ، كل هذه الذنوب تستوجب الحجاب عن الهدى . وقد قال اللـه تعالى : **{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَعْلَمُونَ اَنِّي رَسُولُ اللـه إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللـه قُلُوبَهُمْ وَاللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}** (الصف/٥)

١ / الذنب :

١ / قال اللـه تعالى : **{ وَمَا كَانَ اللـه لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَايَتَّقُونَ إِنَّ اللـه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }** (التوبة/١١٥)

نستفيد من الاية الكريمة ان اللـه سبحانه وتعالى يبين اولا للناس ما ينبغي عليهم ان يتقوا منه ؛ (أي المحرمات التي يجب ان يجتنبوها) ، فاذا ارتكبوها فانه يضلهم ، مما يدل على ان الاضلال ياتي بعد الفسق .

٢ / وبعد ان يضل اللـه احدا بسبب ذنبه ، فان اللـه لا يهديه سواء استغفر له الرسول او لم يستغفر ، قال اللـه تعالى : **{ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللـه لَهُمْ ذَلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللـه وَرَسُولِهِ وَاللـه لايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }** (التوبة/٨٠)

وهكذا يهدينا كلام اللـه تعالى ان الفسق سبب من اسباب الضلالة .

٢ / حنث اليمين والكذب :

الشهادة بالباطل واليمين الكاذبة ، من مصاديق الذنب الذي يحجب عن الهدى . يقول اللـه تعالى : { **ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللـه وَاسْمَعُوا وَاللـه لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** } (المائدة/١٠٨)

٣ / ترك الجهاد :

ان الذين يستحبون علاقاتهم الدنيوية على الجهاد ، فان اللـه لا يهديهم . قال اللـه تعالى : { **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللـه وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللـه بِأَمْرِهِ وَاللـه لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** } (التوبة/٢٤)

نستفيد من آخر الآية ان هؤلاء الذين يستحبون علاقاتهم وقراباتهم على اللـه ورسوله والجهاد في سبيله ، انهم فاسقون ، وان اللـه لا يهديهم .

٤ / الاجرام :

فبسبب الجريمة ، يحتجب العبد عن الهدى . قال اللـه تعالى : { **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ** } (**سبأ**/٣٢)

٥ / تضليل الشيطان :

يبدو ان تضليل الشيطان بسبب توليه ، والاسترسال في اتباعه ، والتمادي في اتباع خطواته ، يبدو انه من الفسق :

١/ قال اللـه تعالى : { **كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**} (الحج/٤)

٢/ وقال اللـه تعالى : **{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ}** (الزخرف /٣٧) والاشارة هنا الى الشيطان ، حيث يقول اللـه تعالى في آية سابقة : **{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ }** (الزخرف/٣٦)

٣/ وقال اللـه تعالى : **{ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُم }** (محمد/٢٥)

من هذه الاية نستوحي ان الارتداد بعد الايمان كان بسبب تسويل الشيطان ، واتباع الشيطان من مصاديق الفسق - حسب الظاهر - .

٤/ ومن مصاديق الفسق ، اتخاذ الشياطين اولياء . فمن اتخذ الشياطين اولياء ، سواء كان هؤلاء شياطين الجن او الانس ، فانهم يضلونه . قال اللـه تعالى : **{ فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللـه وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ }** (الاعراف/٣٠)

الآية تدل على ان الشياطين يزينون للانسان ، ويجعلونه يحسب انه مهتد وماهو بمهتد .

٦ / الاسراف :

ومن الذنوب التي تحجب الهدى عن قلب البشر الاسراف ، حيث يقول اللـه تعالى : **{ إِنَّ اللـه لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ }** (غافر/٢٨)

هاء : الظلم

والظلم حجاب كبير من حجب الضلالة ، التي تمنع الهدى عن القلب ، والحديث عن الظلم متشعب ؛ فالظلم يبدأ من اتباع الهوى ، ويستمر مع تزيين النفس ، وينتهي الى ظلم العباد ، ويستمر مع الكفر بعد الايمان ، وتولي الكافرين ، والافتراء على اللـه ، والاعتقاد بتساوي الجهاد وسائر الاعمال ، وغير ذلك ... .

فلنبدأ بالحديث عن الظلم نفسه ، ثم عن اتباع الهوى . ان اصل اختلاف البشر بعد بعثة الانبياء (عليهم السلام) كان البغي ، حيث فصل ربنا سبحانه قصة انبعاث الانبياء بقوله تعالى : { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللـه النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللـه الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللـه يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (البقرة/٢١٣)

١ / اتباع الهوى :

١ / انما لم يستجب الكفار لدعوة الرسول ، لأنهم كانوا يتبعون اهوائهم . والذي يتبع هواه يكون أشد ضلالة ، لان اللـه لا يهدي القوم الظالمين . قال اللـه تعالى : { **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللـه إِنَّ اللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (القصص/٥٠)

٢ / ومن مصاديق اتباع الهوى عبادة الاصنام ، التي ليست هي الا اسماء ما انزل اللـه بها من سلطان ، وليست الا اتباع الظن ، بينما رب العالمين قد انزل عليهم الهدى . قال اللـه تعالى : { **إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَآ أَنزَلَ اللـه بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدَى** } (النجم/٢٣)

٣ / واتباع الهوى - سواء كان الهوى من نفس الانسان او اهواء الآخرين - احد ابرز اسباب الضلالة وحجب الهداية ، وابرز مصاديق عبادة الاصنام او دعاء غير اللـه تعالى من الاسماء التي ما انزل اللـه بها من سلطان ، قال اللـه تعالى : { **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللـه قُل لآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِين** } (الانعام/٥٦)

٤ / واتباع الهوى يعني اقامة بناء حياة الانسان على شفا جرف هار ، بينما الهدى اقامة البناء على تقوى من اللـه ورضوان . وبين هذا وذاك قال اللـه تعالى : { **أَفَمَنْ أَسَّسَ**

بُنْيَانَـهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللـه وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَـهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللـه لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (التوبة/١٠٩)

٥ / واتباع الهوى يخالف اتباع العلم . قال اللـه تعالى : **{ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللـه وَمَا لَهُم مِن نَاصِرِينَ }** (الروم/٢٩)

٢ / تزيين النفس :

بسبب سوء عمل الانسان وظلمه لنفسه ، يزين له سوء عمله ، فاذا به يراه حسنا . قال اللـه تعالى : **{ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَناً فَإِنَّ اللـه يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللـه عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }** (فاطر/٨)

٣ / الافتراء على اللـه :

١ / وهذا النوع من الظلم ، حيث يرى الانسان سوء عمله حسنا ثم ينسبه الى رب العالمين بحانه ؛ هذا النوع هو نوع خطير منه ، لانه يحجب الانسان عن ربه كما حجب اولئك الذين شرّعوا لانفسهم دينا ونسبوه الى اللـه ، فقال سبحانه عنهم : **{ وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللـه بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللـه كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللـه لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }** (الانعام/١٤٤)

نستفيد من ختام الآية ؛ ان هذا الظلم وهو الافتراء على اللـه كذبا . هذا حجاب عن الهداية . فمن افترى على اللـه كذبا ، فلا ينتظر هداية اللـه تعالى .

٢ / ولعل قوله - سبحانه وتعالى - لبس الايمان بظلم هو من مصاديق الافتراء على اللـه جل وعلا . او ان معناه لبس الايمان بالشرك لان الشرك بدوره ظلم ، يقول اللـه تعالى : **{ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ }** (الانعام/٨٢)

وهنا يعني ان من اراد الهداية فعليه ان يتجنب الظلم ، ومن ابعاد الظلم الافتراء على اللـه سبحانه وتعالى .

٣ / ويقابل هذا الظلم الاسلام . ويعني التسليم المطلق للتشريع الالهي ، وعدم الافتراء على الله بتشريع غيره . قال الله تعالى : { **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللـه الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (الصف/٧)

فاذن الافتراء على الله من اشد الظلم ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

٤ / ومن ذلك التشدد والتزمت في الدين ، وتحريم ما أحل الله باسم الدين افتراء على الله ، انه - بدوره - ظلم يمنع الهدى . قال الله تعالى : { **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللـه افْتِرَآءً عَلَى اللـه قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** } (الانعام/١٤٠)

٥ / (ومن ابعاد الافتراء على الله تفضيل عمل على عمل من دون دليل وشاهد من كتاب الله وسنة رسوله ، او) جعل عمل صالح مساويا لعمل صالح آخر من دون دليل ، كما فعل المشركون من قريش فجعلوا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مساويا للايمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله . فكان هذا ظلما وحجابا لهم عن الهدى . قال الله تعالى : { **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الاَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللـه لاَيَسْتَوُونَ عِندَ اللـه وَاللـه لايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (التوبة/١٩)

٤ / الكفر بعد الإيمان :

الكفر بعد الايمان انه ظلم وحجاب عن الهداية ، حيث يقول الله تعالى : { **كَيْفَ يَهْدِي اللـه قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (آل عمران/٨٦)

٥ / تولي الكفار :

ومن الظلم تولي الكفار . ومن يتول الكفار فانه ظالم لنفسه ، وظالم لولاة امره ، وظالم لمجتمعه ، والله لا يهديه وهو القائل : { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللـه لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (المائدة/٥١)

٦ / التكذيب :

والتكذيب بآيات اللـه نوع من الظلم ، لان من حق الآيات القرآنية ومن حق من يتلوا الآيات القرآنية ان يصدق ، فمن لم يصدق فانه ظالم . قال اللـه تعالى : { **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللـه وَاللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } (الجمعة/٥)

واو : النفاق

النفاق من الحجب الرئيسية التي تمنع الهدى عن الانسان ، وتشمل مشاقة الرسول وتولي الكفار وما اشبه .. الا ان الحديث عن النفاق سوف يأتي في الاقسام الاخرى انشاء اللـه ، وهنا نؤكد على موضوعين حسب الآية الكريمة :

١ / مشاقة الرسول ومحاددته ، فانها من ابرز مظاهر النفاق ، حيث يقول ربنا سبحانه : { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللـه وَشَآقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللـه شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ** } (محمد /٣٢)

٢/ وعن النفاق يقول اللـه تعالى : { **سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللـه لَهُمْ إِنَّ اللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** } (المنافقون/٦)

من سياق الاية الكريمة نستوحي ان الحديث كان عن المنافقين ، وان النفاق يقتضي الفسق - ايضا - . فالمنافق فاسق كما ان الكافر هو الاخر فاسق ، والاستغفار لهم لن ينفعهم ، وان النفاق

بالتالي حجاب دون الهداية .

زاء : الكفر

والكفر حجاب واضح يمنع الهدى ، ويتشعب الى استحباب الحياة الدنيا وعدم الايمان بآيات الله والنسيء والكفر بعد الايمان والمن وما الى ذلك .

١ / استحباب الحياة الدنيا يعتبر جذرا اساسيا لكفر الانسان بالله وبالقيم ، ومن استحب الحياة الدينا على الاخرة فانه يضل ضلالا بعيدا . يقول الله تعالى : **{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الاَخِرَةِ وَأَنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }** (النحل/١٠٧)

٢ / وأول مظاهر الكفر ؛ الكفر بآيات الله ، والذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله . يقول الله تعالى : **{ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله لاَ يَهْدِيهِمُ الله وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }** (النحل/١٠٤)

٣ / ومن الكفر ما هو كفر عملي ، ولعب بالدين وبالقيم الالهية ؛ كما كان الجاهلون ينسؤون الاشهر، (فاذا أرادوا ان يحاربوا في شهر من أشهر الحرام اخّروا ذلك الشهر في زعمهم الى شهر آخر وحاربوا ثم اعادوه الى موقعه لعبا بآيات الله وتحقيقا لمصالحهم) . قال الله تعالى : **{ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ الله فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ الله زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَالله لايَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}** (التوبة/٣٧)

نستوحي من الآية ان النسئ كفر على كفر ، وان الله لا يهدي الكافر .

٤ / الكفر بعد الايمان هو مرحلة متقدمة من الكفر ، وحجاب كثيف امام قلب الانسان ، حيث يقول الله تعالى : **{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً }** (النساء/١٣٧)

نستوحي من الآية ان هؤلاء ليس فقط لايهتدون الى سبيل سليم في الاخرة ، وانما حتى في

الدنيا .

٥ / وقال الله تعالى : **{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً}** (النساء/١٦٨)

٦ / تحدي الولاية . فمن تحدى رسول اللـه ، وتحدى الولي الذي يعيّنه رسول اللـه (صلى اللـه عليه وآله وسلم) فانه لا يهتدي طريقا ؛ لا في الدينا ولا في الآخرة . يقول ربنا سبحانه وتعالى : { **يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللـه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللـه لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** } (المائدة/٦٧)

حيث تهدينا هذه الاية الى ان الرسالة لا تكتمل الا بالولاية ، ومن كفر بالولاية فان اللـه لا يهديه ، لانه هو الآخر قد كفر بالرسالة .

٧ / قد يجسد الكفر عند الانسان بالتعالي على الفقراء والاستكبار في الارض ، كالذي ينفق امواله رئاء الناس ، فيقول اللـه تعالى : { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللـه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُواْ وَاللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** } (البقرة/٢٦٤)

حاء : اضلال الرب

١ / والحجاب الاكبر والاخطر ، وهو الحجاب الذي تنتهي اليه سائر الحجب ، هو حجاب اضلال اللـه حيث يقول اللـه تعالى : { **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللـه أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللـه وَمَن يُضْلِلِ اللـه فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**} (النساء/٨٨)

٢ / ويقول اللـه تعالى : { **أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللـه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** } (الرعد/٣٣)

اعوذ باللـه من اضلال اللـه ، حيث ان من يضله اللـه فلن تجد له سبيلا .

فقه الآيات

١ / (الكهف/٥٧) و (لقمان/٢٠) لا يجوز الاعراض عن آيات الله بعد ان يذكر الانسان بها . ونستفيد من ذلك البصائر التالية :

الف : يحرم الجدال في الحق بعد ان يكون قد تبين للانسان ، بل يجب التسليم والاقرار والشهادة به .

باء : لا يجوز تحوير آيات الله وتحريفها حتى تتطابق والاهواء أو الثقافات البشرية ، بل يجب جعلها هي الميزان في قبول او رد تلك الاهواء او الثقافات .

٢ / (إبراهيم/٢١) لا يجوز اتباع المستكبرين في ترك الحق ، ولا يعذر من خالف الحق في اتباعهم ، الا ان يتقي منهم تقاة وهو يخالفهم بقلبه ، ويتحيين الفرصة للخلاص من نيرهم .

٣ / (الروم/٥٣) و (فصلت/١٧) و (النمل/٨١) يجب على المسلم ان يستجيب لداعية الهدى ولا يستحب العمى عليه (حتى ولو كان الهدى مخالفاً لهواه وللحمية التي فيه او للمصالح المادية التي عنده) .

ولذلك فعلى المسلم ان يكون يقظاً واعياً حذراً ، فأية لحظة من لحظات حياته قد تكون فتنة مصيرية . وهكذا ينبغي للمؤمن ان يتأمل في كل كلمة يسمعها او رسالة يدعى اليها حتى لا يرد دعوة حق ، ولا يعرض عن آية هدى .

٤ / (المائدة/١٠٥) لان تأثير الناس على الانسان كبير ، وقد يكون ذلك التأثير خفياً . فعلى المؤمن الا يغفل عن ميزان الحق الذي عنده ، وهو هدى الله . فإنه قد يزيغ شيئاً فشيئاً حتى يصبح رأي الناس او رضاهم هو الميزان . ومن هنا فعليه الا يأبه ابدا بالناس عند تقييم الحق والباطل ، فإنه لو اهتدى الى الله لا يضره ضلال أي فرد من المجتمع (حتى ولو كان قائداً او غنياً او ذا قرابة او صديقاً حميماً) .

٥ / (القصص/٥٧) على المؤمن الا يضع في حسبانه مصالحه في الرزق او الأمن عندما يزن الكلمات ، ويقيِّم الدعوات ، ويتخذ المواقف .

٦ / (غافر/٢٩) و (البقرة/٢٥٨) رعاع البشر يتبعون الملوك ، اما المؤمن فعليه ان يحذر تأثير

الاقوياء على عقائده . فلا يحسب حساباً لاراءهم تجاه الحق الذي يراه واضحاً ، لان اللـه هو الملك الجبار الذي وضعت له الملوك نير المذلة . فهم من سطواته خائفون ، وهو راعي الحق .

الف : ونستوحي من ذلك ضرورة فصل اجهزة التعليم والتربية والاعلام والثقافة وكلما يتصل بالفكر ؛ فصلها تماماً عن سلطة الاقوياء او ثروة الاغنياء ، حتى يختار الناس الحق بكل حرية .

باء : كما نستوحي من ذلك الحذر من كلمات الملوك وأولي القوة . فلا نسترسل في الاستماع اليها ، بل ننقدها بالبصيرة القرآنية التي تذكرنا بأن الملوك يتحدثون من منطلق غرورهم بقوتهم ، كما فعل غرور الذي حاج ابراهيم (عليه السلام) زاعماً بانه يحيي ويميت ، ولكنه بهت امام حجة ابراهيم القاطعة .

جيم : ونستفيد من قصة النبي ابراهيم (عليه السلام) ان منطق الحق يغلب قوة الملك بإذن الله . فلا نهاب الملوك ، بل علينا ان نلقي عليهم الحجة البالغة ، بل ونذكرهم فلعلهم يخشون ربهم .

٧ / (البقرة/١٧٥) و (البقرة/١٦) عليك ايها المسلم ان تحذر عن اختيار الضلالة على الهدى (حتى ولو كانت الضلالة في منفعتك) ، فإن مثل هذه التجارة خاسرة ، ومن باع الهدى فأنى له الهداية ؟

ونستوحي من ذلك ان على الانسان ان يراقب نفسه ليرى ما هي كعبة اتجاهه ، ومحور حركته ، هل الحق ام المصالح والهوى ؟ فإذا كان الحق فإنه عند الابتلاء تراه يتمسك بالحق ، اما الاخر فتراه يشتري الضلالة بالهدى ، وينفق نصيبه من نور الهدى لشراء مصالحه ، فإذا به في ظلام دامس .

٨ / (البقرة/٢٦) و (المدثر/٣١) عندما تستمع الى ناطق او تدعى الى مذهب او تنطلق في بحث علمي ، فعليك ان تنزع عن عينك غشاوة الغرور ، وعن قلبك حجاب الكبر ، ولا تأبه بما لديك من قوة او ثروة او حتى من علم . فإنك قد تنطق بلسان قوتك او تستمع باذن ثروتك وتغتر وتفرح بما لديك من علم فلا تستزيد علماً . وهكذا كان على طالب

الحق والهدى ان يكون في قمة التجرد عن الحمية والذاتية والغرور ، حتى يبصر الحقيقة باذن ربه تعالى .

٩ / (الاحقاف/١٠) الاستكبار (والعلو في الارض بغير حق ، وبالتالي استلاب الناس حقوقهم ظلماً ، انه) حجاب دون الهدى . وعلى الانسان ان يخرق هذا الحجاب حتى يبلغ ضياء الهدى ، وذلك بالاعتراف بانه وسائر البشر سواسية كاسنان المشط . فلا يتعالى على احد من خلق الله ، لانه وهم من آدم وآدم من تراب .

١٠ / (فصلت/٤٤) و (الاحقاف/١١) و (التغابن/٦) و (الاسراء/٩٤)

الف : (وللاستكبار صيغ شتى وحقيقته واحدة) . فقد يتعالى المرء على الناس ، بزعم ان عنصره وقومه اسمى من سائر الخلق . (فهو عربي وهم عجم ، او هو ابيض والاخرون سود او صفر او انه من آل فلان وغيره من غير آل) . وعلى الانسان ان يطهر قلبه من هذه الفاحشة الباطنة ، حتى لا يشعر باي تمايز بينه وبين نظراءه من خلق الله .

باء : وقد يتلبس المستكبر بالطبقية ، كأن يزعم المرء انه افضل من غيره لأنه الاغنى . وهذا بدوره غير جائز ، وهو يمنع الهدى عن القلب . وبالذات عندما يجد الغني ان الفقراء قد سبقوه الى الايمان ، فيمنعه احساسه الطبقي بالالتحاق بالفقراء ، فإذا به يحتجب عن ضياء الهدى بهذه الفاحشة الباطنية ، اعاذنا الله منها .

جيم : ومن الاستكبار تحدي الرسل (عليهم السلام) لانهم بشر مثله . وعلى الانسان ان يكافح من اجل تنظيف نفسه من هذا الوبال ، فلا تأخذه العزة في ان يطيع بشراً مثله اذا علم ان الله أمره بذلك .

دال : ونستفيد من كل ذلك ان على الباحث عن الحقيقة أنى كانت وفي أي مستوى ، ان يعمل اولاً على اجتناب الفواحش الباطنة ، ثم يتلقى آيات الهدى بقلب طاهر من العنصرية والطبقية والعصبية واي لون من الوان الاستكبار والتعالي .

١١ / (الجاثية/٢٣) من عبد هواه (وخضع تماماً لما تهويه نفسه من حب الشهوات والفخر والانانية وحب الرئاسة) فإنه يحجب عن هدى الله تعالى . ومن هنا على الانسان ان يتجنب اتباع هواه ، فإنه يقع في متاهة عبادة الهوى .

١٢ / (الصف/٥) و (التوبة/٨٠) لان الفسق يحجب الهدى . فعلى الانسان الا يتبع فاسقاً ، لانه لا يكون مهدياً ، فكيف يهدي غيره الى سبيل الرشاد ؟

ونستفيد من ذلك الحقائق التالية :

الف : ان من آذى رسول الله (صلى الله عليه وآله) او آذى عترته الهداة او آذى خلفاءه العلماء المهديين ، فإن الله يزيغ قلبه ولا يصلح لهداية الناس ، لان الله لا يهدي القوم الفاسقين .

باء : الذين يشاقون الله ورسوله وينافقون فإنهم لا يهتدون ، وعليه فإنهم لن يصلحوا لقيادة الناس الى سبيل الله .

جيم : الذين ينقضون الميثاق ويحنثون ايمانهم ، فإنهم لا يصلحون لقيادة الناس وهدايتهم .

دال : كذلك الذين يفضلون على الجهاد في سبيل الله علاقاتهم بأقاربهم واهتمامهم بشؤونهم الخاصة (مثل التجارة) ، فإنهم لا يهتدون ولا يصلحون للقيادة والدعوة .

١٣ / (سبأ/٣٢) لا يجوز تبرير الضلال والانحراف بالقول : اننا اتبعنا سادتنا وكبرائنا ، لان الحقيقة انه لولا ان يكون مجرماً لما اتبع المستكبرين في ضلالهم ، وهذه الحقيقة تظهر يوم القيامة .

١٤ / (الحج/٤) و (الزخرف/٣٧) و (الزخرف/٣٦) و (محمد/٢٥) من الواجب على كل مسلم ان يعرف الشيطان ، عدوه المبين، ولا يتهاون في الحذر منه . فإن من تولى الشيطان فإن الشيطان يضله ، ويصده عن السبيل الحق ، ويزين له الغواية حتى يحسبها هداية . وانما يتجنب الشيطان بدوام ذكر الرحمن ، فمن نسي ذكر الله سارع الشيطان الى قلبه وكان قرينا له . ومن ذلك نعرف الحقائق التالية :

الف : ينبغي للمسلم تجنب ما يلهيه عن ذكر اللـه ، من مجالس اللهو والبطالة ، ومن اصدقاء السوء وافلام او محطات تلفزيونية تلهي البشر عن ذكر اللـه . وكذلك انواع اللعب التي تلهيه عن الذكر ، وتسلب منه صلته بربه ، وحذره منه ، ورغبته في ثوابه .

باء : وعلى المؤمن ان يحيط نفسه بأجواء دينية يعبق فيها عطر الذكر ، وشذى الحب الالهي، ويفيض منها التقوى والورع . وذلك مثل محافل القرآن ، وهيئات الوعظ ، ومجالس الذكر ؛ ذكر اللـه عز وجل ، وذكر رسول اللـه ، وذكر اهل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام) .

وكذلك على المؤمن ان يفتش ابداً عن بلاد تشع بنور الذكر ، وعن أصدقاء مؤمنين صالحين ، وعن كتب الوعظ والارشاد .

وحتى في اختياره للقرين ، فان عليه ان يختار قرينا يذكره بربه ولا يلهيه عنه . وكذلك في اختياره لعمل معاشي ، يختار مالا يبعده عن ذكر اللـه .

جيم : لا يكفي الذكر باللسان ، وانما عليه ان يذكر اللـه عند الطاعة فلا يتركها ، وعند المعصية فلا يقترب منها ، وعند المصيبة فلا يجزع منها . إنما هو اعتمار القلب قبل اللسان بحب اللـه وذكره ، رزقنا اللـه جميعا .

١٥ / (غافر/٢٨) الاسراف حرام ، ومثله ما نجد عند فراعنة كل عصر من تبديد ثروات المجتمع على نزواتهم . ونستفيد من الاية الكريمة بصائر هامة :

الف : ان الاسراف الذي يُبتلى به مجتمع جاهلي (كالمجتمع الفرعوني في مصر القديمة ، وكما المجتمعات الغربية اليوم) انه يفقدهم توازنهم الفكري . فلا ينبغي اطاعة مثل هذه المجتمعات في شيء من افكارهم ، لانها قد تكون ضالة ونابعة من وحي اسرافهم .

باء : على الناس ان ينظروا بعين الريبة الى الحكام المسرفين ، ومشاريعهم التي يتظاهرون بانها تخدم الناس ولعلها تخدم فقط طموحاتهم ، وربما فاحشة الاستكبار في انفسهم .

جيم : ان على الانسان ان يحمل نفسه على فضيلة الاقتصاد في المعيشة ، بل وحتى الخشونة فيها ، لان النعم لا تدوم .

١٦ / (البقرة/٢١٣) ينبغي معالجة اختلاف الناس في الدين من خلال اقتلاع جذر الاختلاف ، وهو البغي ، والذي نستفيد منه البصائر التالية :

الف : الطامحون للرئاسة بغير حق من العلماء والحكام هم اكثر الناس إثارة للخلاف من اجل منع اهل الحق منها ، ولذلك يجب ان نحذر منهم ، ونكون على بصيرة من نيات المتكلمين التي تظهر على سلوكهم وليس على السنتهم .

باء : قد تصطبغ الخلافات العرقية والقومية والعشائرية بصبغة دينية ، حيث يتخذ البعض الدين غطاءً لبغيهم واستكبارهم وعلوهم في الارض .

وعلينا الحذر اساساً من كل حمية وعصبية ، كما ويجب تجنب الوقوع في مثل هذه العصبيات باسم الدين .

جيم : عندما يستفحل الخلاف في الامة ، علينا ان نجأر الى ربنا ليرينا الحق حقاً فنتبعه ، ونتمسك بحبل الله المتين (كتابه ورسوله وعترة رسوله) .

١٧ / (القصص/٥٠) إذا تشابهت الملل وتناقضت الثقافات ، واظلّ الهواء فلم نبصر شيئاً ،

فعلينا تجنب الاهواء والتمسك بهدى الله . ومن الهوى الانسياق وراء المذهب الاقرب الى مصالحنا وعصبياتنا .

١٨ / (النجم/٢٣) يجب على الانسان ان يجتهد لبلوغ الحق ، ولا يجوز له الاسترسال في اهم شؤونه ، والذي يتصل بالهدى والضلال انما عليه ان يجتنب ما يلي :

الف : تجنب اتباع الاسماء التي ما انزل الله بها من سلطان ؛ فلا يتبع الا ما اقام عليه داعيه برهاناً واضحاً وحجة بالغة .

باء : ان يجتنب الظن ، فإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً ، وأصل الظن التصورات والخيال .

جيم : ان يتجنب الهوى ، وما تميل اليه نفسه لمصلحة او حمية او تقليد او ما اشبه .

١٩ / (الانعام/٥٦) يحرم اتباع اهواء الاخرين ، وضلالاتهم ، وثقافتهم الشركية . ونستفيد من ذلك :

الف : لا يجوز خلط مفاهيم الفلسفة اليونانية بالبصائر القرآنية ، ثم اتباعها باسم الدين الحنيف .

باء : ويحرم الاقتباس من الثقافات الغربية الحديثة ومزجها بالحقائق الدينية ، فانها ليست سوى اهواء قوم ضلوا واضلوا كثيراً من الناس .

جيم : يجب التمسك بالحنفية البيضاء الطاهرة من ثقافات القرون الماضية ، حتى ولو تظاهروا بالاسلام ، لان فيها من اهوائهم الكثير الكثير . لذلك يجب فصل الدين عن تراث المسلمين ، فالدين الخالص لله وهو المتلقى من زلال الوحي ، اما التراث ففيه الحق والباطل .

دال : ينبغي تنقية ثقافة المسلمين من رواسب التراث ، ومن تسرب الفلسفات الجاهلية القديمة منها والحديثة ، الشرقية والغربية ، وحتى الكلمات والامثلة . فإن الامثل الاستفادة من كلمات الوحي ، خصوصاً فيما يتعلق بالحقائق الدينية .

٢٠ / (التوبة/١٠٩) و (الروم/٢٩) اساس التجمع الالهي قائم على التقوى ، بينما بني التجمع الجاهلي على شفا الحمية (العصبية) .

ومعيار التجمع الالهي في حركته رضوان الله ، بينما معيار المجتمع الجاهلي هوى النفس . ومن هذه المقارنة نستفيد الاحكام التالية :

الف : علينا ترسيخ قاعدة التقوى في العلاقات الاجتماعية ، حتى لا تقوم الروابط على اساس المصالح والعصبيات ، بل تكون كلمة التقوى هي الاقوى والاعلى في العلاقات ، حتى يكون اخوك في الدين اقرب اليك من اخيك في النسب إذا لم تجمعك واياه كلمة التقوى .

باء : يجب تقديم ميزان رضوان الله على موازين المصلحة والعصبية . فإذا اردت ان تختار عملاً او تتخذ موقفاً او تنهج سبيلاً ، فانظر اولا ما هو رضوان الله في ذلك . فإن

مرضاة الرب معيار الحق ، وسبيل النجاة ، ومصباح يجلي ظلم الاهواء والحمية والوساوس الشيطانية ، وبالتالي ينير درب السلام الى الغايات السامية .

جيم : المجتمع الجاهلي الذي قاعدته الحمية (حمية العشيرة والقومية والعنصرية والوطنية) ، وميزانه في حركته المصلحة ، انه مجتمع ضال وضعيف . فهو على شفا جرف هار ، سرعان ما ينهار في نار جهنم . وعلينا تجنب هذا المجتمع ، والا نكون جزء منه حتى ولو كنا في داخله . فإن الانتماء الصحيح ، انما هو الى الايمان ، وما سائر الانتماءات الا ضلال مبين .

دال : والعصبيات الجاهلية اهواء مظلمة ، فهي ليست قائمة على علم ، بل مناقضة له . وعلينا ان نقيم علاقاتنا على اساس علمي ، فلا نعادي احداً لمجرد انه من قوم آخرين ، ولا نبخس احداً لانه من غير عنصرنا ، ثم لا نكيل المديح لشخص لانه من قومنا او من وطننا .. انما نزن كل شيء بحساب علمي نبتغي به رضوان الله ، وايتاء كل ذي حق حقه .

٢١/ (فاطر/٨) على المؤمن ان يتجنب تزيين النفس لما عملته سابقاً ، فإذا بها تراه حسناً حتى ولو كان قبيحاً . وهكذا يشرع بتبرير سائر افعاله ، فيكون حجاباً بينه وبين الاهتداء الى الصحيح والخطأ ، وإذا به يرتكب ذات الافعال مستقبلاً .

انما المؤمن من يحاسب نفسه على افعالها ، ويزنها بميزان العقل والوحي . فما كان منها صحيحاً شكر الله على التوفيق فيه ، وما كان خطأ استغفر الله منه ، ولم يختلق لنفسه المعاذير، بل انّب نفسه عليه وتاب الى ربه منه .

٢٢ / (الانعام/١٤٤) و (الانعام/٨٢) و (الصف/٧) الافتراء على الله (وتشريع شيء ثم نسبته الى رب العباد بلا حجة بالغة) انه ظلم ، كبير ويحجب المرء عن هدى الله تعالى . ومن ذلك نستوحي التوصيات التالية :

الف : على المؤمن ان يسعى لتربية نفسه على التسليم لما امر الله تعالى به ، دون أي جدل او تردد . فإن التسليم التام هو علاج الافتراء . والذين لا يسلمون يبتلون بجريمة الافتراء على رب العباد .

باء : على المؤمن ان يكون محتاطا حذراً في اصدار الفتيا ، وتفسير آيات الكتاب . فلا ينطق الا في حدود علمه ، وبما دلت الحجج الكافية ، ولا يعجل بالحكم قبل وضوحه لديه .

٢٣ / (الانعام/١٤٠) و (التوبة/١٩) لا يجوز اضافة حكم الى الشرع بغير علم ، كما فعل البعض حيث حرموا ما احل الله لهم من رزقه . ونستفيد من ذلك :

الف : الذين يميلون الى التشدد في الدين ، وتحويل الشريعة السمحاء الى دين الضيق والحرج ، فإذا بهم يضيفون الى الدين جملة احكام ما انزل الله بها من سلطان .

باء : كما لا يجوز تسويغ الحرام ، كذلك لا يجوز تحريم ما احل الله . فالقول ببطلان الاعمال او بحرمة جملة من المكروهات التي لم يذكرها الكتاب ، كل ذلك بحاجة الى حجة بالغة ، والا فإن الاحتياط على الدين لا يقتضي ذلك ، بل قد يقتضي عدمه ، لأن الافتراء على الله تعالى لا يقل حزازة من ترك بعض الاحكام جهلاً بها .

جيم : ومن الافتراء الحرام جعل عمل صالح مساوياً لعمل صالح آخر من دون حجة من الشرع ، كما فعل الجاهلون حينما ساووا بين عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج من جهة ، وبين الايمان بالله واليوم الاخر والجهاد في سبيل الله . (ومثاله شائع في مجتمعنا ، حيث يترك الناس - عادة - اعمالاً شاقة يكلفون بها ، ويميلون الى جملة اعمال سهلة ، يجعلونها سواء وتلك الشاقة افتراء على الله تعالى) .

٢٤ / (آل عمران/٨٦) و (المائدة/٥١) و (الجمعة/٥) و (النحل/١٠٤-١٠٧) و (التوبة/٣٧) و (النساء/١٣٧)

نستوحي من الآيات الكريمة ان الكفر بعد الايمان (وبعد توفر البينة على الرسالة وتحقق الشهادة عليها) من الظلم ، ونستفيد من ذلك ما يلي :

الف : ان تولي الكفار ظلم ، وانه يلحق الفرد بهم . (ولعله من الكفر بعد الايمان) .

باء : التكذيب بآيات الله ، وعدم تحمل امانة الكتاب (وعدم الشهادة على صدق الرسول

الخاتم بناءً على مافي الكتاب من بشارة الرسل به) انه ظلم ، (لان من حق الكتاب ومن حق الميثاق الذي اخذه الله تعالى على الرسل بتصديق بعضهم ببعض . فمن ترك - من اتباع الرسل - هذا الحق فهو ظالم) والله لا يهدي القوم الظالمين .

جيم : ولعل من ذلك التعرب بعد الهجرة ، وان يعرض المسلم نفسه واهله لفتنة الهجرة الى بلاد الكفر ، حيث تنعدم امكانية تطبيق الدين الحنيف على نفسه وبناء المجتمع الالهي في الارض .

دال : ومن الكفر استحباب الحياة الدنيا على الاخرة .

طاء : ومن الكفر عدم الايمان بآيات الله تعالى ، (كما اذا بدل الله آية مكان آية ، قالوا - للرسول عليه الصلاة والسلام - انما انت مفتر) .

زاء : ومن الكفر النسيء (حيث كانوا يبدلون شهراً بشهر ، حتى يحتالوا على الدين ويحاربوا في الاشهر الحرم) فيحلوا ما حرم الله .

(وعموما ؛ تأويل الدين حسب الاهواء ، ولبس الحق بالباطل ، لعله من هذا النوع من الكفر)

حاء : ومن الكفر الكفر بعد الايمان ، والازدياد كفراً (ومصداقه حسب الايات التالية ١٣٨ - ١٣٩ من سورة النساء ، المنافقون الذين يتخذون الكافرين اولياء يبتغون عندهم العزة) .

٢٥ / (المائدة/٦٧)

الف : لا يجوز رد الولاية التي يأمر الله بها ، كالتي بلّغها النبي (صلى الله عليه وآله) في شأن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، ومن رد ذلك على الرسول فقد كفر ، والله لا يهديه .

باء : لا يجوز ابلاغ رسالات الله بصورة مبعضة ، فما كان منها موافقة لهدى الناس بلغت ، وما كانت مخالفة كتمت ، فإنه بمثابة عدم ابلاغ الرسالة (الاحزاب / ٣٩) .

جيم : الله يعصم رسوله من الناس عندما يبلغ رسالاته التي تخالف هوى الناس ، (ولعل ذلك يعم كل مبلغ رسالة من عند الله لا يهواها الناس) .

٢٦ / (البقرة/٢٦٤)

الف : نهى ربنا سبحانه في كتابه الكريم من ابطال الصدقات بالمن (بان يكون هدف الصدقة الاستعلاء في الارض والاستكبار ، وانما الصدقة تصديق الله والرسول في الجزاء الاخروي) .

باء : ونهى سبحانه من ابطال الصدقات بالأذى (كأن يقول كلاماً فيه ضرر ، ولو كان خفيفاً على الفقير مثل ان يشهره بين الناس ويحط من كرامته) .

جيم : ونستوحي من الاية ضرورة تزكية النفس من حب الاستعلاء ، وضرورة المحافظة على كرامة الانسان بعيداً عن وضعه الطبقي .

دال : كما نستفيد انه لو كانت هناك طرقاً للانفاق على الفقراء مع المحافظة على كرامتهم ، كايجاد صناديق الاغاثة وفتح حسابات في المصارف لكل واحد منهم وما اشبه ، فالأولى انتهاجها دون السبل التي فيها اذى لهم .

٢٧ / (النساء/٨٨) نستفيد من الاية ضرورة الحزم في مواجهة المنافقين ، وعدم الاختلاف بين المؤمنين في اتخاذ الموقف المناسب منهم . واذا كان البعض يريد كسبهم الى الخط الصحيح ، فليعلم ان من يضله الله فلن تجد له سبيلاً الى الهدى .

فرائض الهدى

تمهيد :

الانسان هو المسؤول عن هداه ، لان اللـه تعالى قد خولـه القدرة علـى تـوفير عوامل الهداية في نفسه ، ولان ثواب الهدى له وعذاب الضلالة عليه ، وانه لا يتحمل عنـه النذر اصر ضلالته .

وتتمثل مسؤوليته في واجب الاستماع الى داعي الهدى ثم الايمان به ، وكذلك فـي طلب الهـدى مـن اللــه الكـريم بالـدعاء . وهكـذا عليـه ان يتبـع الهـداة ، وان يـرفض الجبـت والطاغوت ، والا يرتاب في الحق ، ويسلم لداعية الحق تسليما .

ومن واجباته تجاه الهدى ذكر اللـه ، وتكبيره وشكره وحمده على نعمة الهداية .

واخيرا إن عليه ان يدعو الناس الى الحق بعد ان هداه اللـه اليه .

تلك هي جملة الكلام في واجبات الانسان تلقاء الهدى ، اما تفصيل القول فنتلـوه فيمـا يلـي :

الف : المسؤولية

ليس على الرسول الا ابلاغ الرسالة بتلاوة آيات القرآن ، وتبدء - بعدئذ - مسؤولية البشر في مدى الاستجابة ، فمن اهتدى بالقرآن فإنما يهتدي لنفسه (ومن ضل فعليها) ، اما النبي فانما هو من المنذرين . (وكما هي سنة المنذرين في الدعوة ، فإذا رفض الناس اخذهم العذاب الذي

انذروا به ، كذلك سنة رسولنا الاكرم) .

١ / قال الله تعالى : { **وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُنذِرِينَ** } (النمل/٩٢)

٢ / وليس النبي وكيلا عنهم (فلا يتحمل اصر ضلالتهم ، ولا يدافع عنهم امام مشيئة ربهم سبحانه) ، وانما يتلو عليهم الكتاب الذي انزل عليه بالحق . اما اهتداء الناس او ضلالتهم فانما يعود اليهم جزاءهما . قال الله تعالى : { **إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** } (الزمر/٤١)

٣ / وكما الناس مسؤولون عن الهدى ، كذلك الداعية الى الحق مسؤول عن كلامه ، فإن كان كاذبا فعليه كذبه ، (حسن الاستماع اليه دون عصبية) . قال الله تعالى : { **وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**} (غافر/٢٨)

٤ / ولا تعني مسؤولية الناس عن هدايتهم انهم بانفسهم يهتدون كلا ؛ بل الهدى من الله ، وينزله الرب سبحانه وحيا . وحتى الرسول اكرم الخلق لا يهتدي الا بفضل الله ووحيه ، (فكيف بنا ؟ فلا يجوز الاعتماد على النفس في امر الهداية) . قال الله تعالى : { **قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**} (سبأ/٥٠)

٥ / والانسان وحده يتحمل مسؤولية السبيل الذي يختاره من الهدى او الضلال ، اما الاخرون (مثل الرسول او الدعاة او الاباء او المجتمع فانهم لا يحتملون وزر ضلالة الفرد) . قال الله تعالى : { **مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** } (الاسراء/١٥)

وفي خاتمة الآية نجد تذكرة هامة ، بان الله لا يعذب احدا من خلقه من دون ان يبعث اليهم رسولا . فهو سبحانه يتم حجته على البشر قبل ان يحملهم مسؤولية الضلالة .

٦ / ومحور الهدى ومعياره الحق . فمن اهتدى اليه فقد اهتدى حقا وله عاقبته الحسنى ، ومن

ضل عنه فعليه وزر ضلالته . قال الله تعالى : { **قُلْ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** } (يونس/١٠٨)

باء : السماع

الاستجابة لداعي الحق ؛ السماع والابصار ، حيث يجب التأمل في ادلته ، والتدبر في كلامه ، والنظر الى الآيات التي يذكر بها . قال الله تعالى : { **وإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لايَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لايُبْصِرُونَ** } (الاعراف/١٩٨)

جيم : الايمان

وبعد السماع والابصار يسلم الذي يريد الهدى للحق تسليما ، ويشهد عليه بقلبه ولسانه وجوارحه . فلا يخاف بخسا (يلحقه ، ولا تكليفا فوق طاقته ، ول) رهقاً . قال الله تعالى : { **وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقاً** } (الجن/١٣)

دال : رجاء الهدى والسعي اليه

١ / وعلى الانسان ان يستعد لتقبل الهدى ابدا ؛ فلا ينغلق عن شواهد الهدى وآياته ، ولا يغتر بما لديه من العلم ، ولا يتكبر اذا جاءه الهدى . يقول الله تعالى (حكاية عن النبي موسى عليه السلام) : { **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ السَّبِيلِ**} (القصص/٢٢)

٢ / والدعاء وسيلة اساسية للهدى . فالله هو الهادي ، وعلى البشر ان يتضرع اليه في طلب الهدى . وقال الله تعالى : { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ** } (الفاتحة/٥)

هاء : إتباع الهداة المهدين

١ / واتباع من اهتدى الى السبيل مسؤولية كبيرة . فهذا النبي ابراهيم (عليه السلام) يدعو اباه (وهو الذي كان يزعم انه مربيه وقائده ومعلمه ، فدعاه) ان يتبعه ، لانه قد جاءه علم (من عند الله) ولم يأته شيء من ذلك ، فقال الله تعالى : { **يَآ أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً** } (مريم/٤٣)

٢ / ومعيار الاتباع العلم والهدى ، وهكذا حاج الله تعالى المشركين بانه تعالى يهدي للحق ، ومن يهدي الى الحق احق ان يتبع . بينما لا احد من الشركاء يهدي الى الحق . قال الله تعالى : { **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهِ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** } (يونس/٣٥)

٣ / ولان المرسلين هم مهتدون ، فإن اتباعهم واجب على الامم . قال الله تعالى : { **وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ** } (يس/٢٠-٢١)

٤ / وحكمة اتباع الهداة انهم يدلون الانسان الى سبيل الرشاد . وقال الله تعالى : { **وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ** } (غافر/٣٨)

٥ / وهكذا كان اتباع الاباء مرفوضا ، لان معياري الاتباع (العلم والهدى) كانا مفقودين فيهم . قال الله تعالى : { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَآ أَنْزَلَ اللهِ وَإِلَى الرَّسُولِ**

قَـالُوا حَسْبُنَا مَـا وَجَدْنَا عَلَيْـهِ ابَآءَنَـا أَوَلَـوْ كَـانَ ءَابَـآؤُهُمْ لاَيَعْلَمُـونَ شَـيْئاً وَلاَ يَهْتَـدُونَ } (المائدة/١٠٤)

٦ / وقال اللـه تعالى : **{ وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنْزَلَ اللـه قَـالُوا بَلْ نَتَّبِـعُ مَـآ أَلْفَيْنَـا عَلَيْـهِ ءَابَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَيَهْتَدُونَ }** (البقرة/١٧٠)

٧ / وعلى الانسان ان يخترق حجب الضلالة ويتجاوز العقبات التي في طريق الهدى ، (والا يكون مثل الكفار الذين لم يتبعوا الرسول الذي دعاهم الى الهدى) وكان سواء ، الدعوة وعدمها بالنسبة اليهم ، قال اللـه تعالى : **{ وإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ اَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ }** (الاعراف/١٩٣)

٨ / ويجب اتباع اهدى الكتب (واهدى الناس) . قال اللـه تعالى : **{ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَـابٍ مِنْ عِندِ اللـه هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }** (القصص/٤٩)

٩ / وطاعة الهداة - كما اتباعهم - وسيلة للهداية . قال اللـه تعالى : **{ قُلْ أَطِيعُوا اللـه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْـهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }** (النور/٥٤)

واو : احترام الهداة

١ / واحترام الهداة والمهديين واجب على الناس . (فإذا رأيت من يصلي فلا يجوز لك ان تنهاه عن صلاته طغيانا بما لديك من القوة والمال) . قال اللـه تعالى : **{ أَرَأَيْتَ إِن كَـانَ عَلَى الْهُدَى }** (العلق/١١)

٢ / ولا يجوز الاعتقاد بأن الكفار اهدى من المؤمنين . قال اللـه تعالى : **{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلآءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلاً }** (النساء/٥١)

وهكذا كان فريق من اهل الكتاب يتفقون مع الكفار ، ويزعمون بانهم اهدى من المؤمنين من غير فريقهم ، وتراهم يؤمنون بالجبت والطاغوت .

٣ / ولعل من الاهانة ايضا ما قاله البعض (اليهود) لو ان الكتاب انزل علينا كنا اهدى من العرب ، بينما تراهم قد كذبوا بآيات الله وصدفوا عنها اعراضا بمجرد انها انزلت في غيرهم . فأنى لهم الهدى ؟

قال الله تعالى : { **أَوْ تَقُولوا لَوْ أَنَّآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّآ أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللـه وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ** } (الانعام/١٥٧)

زاء : الخشية والخشوع

عندما تتلى آيات الهدى على المؤمنين فان قلوبهم تخشع لها ، بعكس المنافقين حيث ترى قلوبهم قاسية . (وهذه من واجبات البشر تجاه الهدى وآياته) . قال الله تعالى : { **قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِندِ اللـه هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** } (القصص/٤٩)

حاء : ازالة الريب

الكتاب الذي انزل على النبي موسى (عليه السلام) ، كان هدى لبني إسرائيل (وكان يهدف ازالة الريب في لقاء الله : وهكذا ينبغي ان نزيل الريب عن بصائرنا) . قال الله تعالى : { **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِن لِّقَآئِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ** } (السجدة/٢٣)

طاء : ذكر الله

١ / من واجب المهتدي الى الحق ذكر الله على ما هداه (شكرا وتكبيرا و .. و) . قال الله تعالى : { **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ**

فَاذْكُرُوا اللـه عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ } (البقرة/١٩٨)

٢ / ومن الذكر التكبير (الذي يعني - فيما يعني - عدم تفضيل شيء على هدى اللـه) ، قال اللـه تعالى : **{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللـه بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللـه عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** (البقرة/١٨٥)

٣ / ومن التكبير على الهدى ، التكبير في الاضحى ، وتكبير اللـه يوم الفطر . قال اللـه تعالى : **{ لَن يَنَالَ اللـه لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللـه عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ }** (الحج/٣٧)

٤ / ومن مصاديق الذكر الحمد ، حيث تجد المؤمنين يحمدون ربهم عند استقرارهم في الجنة ، يقول االلـه تعالى : **{ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللـه لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }** (الاعراف/٤٣)

٥ / ومن الذكر الشكر ، وشكر الهداية الاستجابة لها ، والوفاء بشروطها حتى لا تسلب . قال اللـه تعالى : **{ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً }** (الانسان/٣)

٦ / ومن الذكر الدعاء والضراعة الى اللـه تعالى ليهديهم نعمة الهداية . فلا يزيغ القلب عنها بعد

ان اسبغها ، بل يزيد العبد رحمة من لدنه . قال اللـه تعالى : **{ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ }** (آل عمران/٨)

ياء : الدعوة الى الهدى

١ / واذا اكتملت شروط الدعوة فالواجب على الانسان ان يدعو الى الهدى ، ويعدل به (بين الناس في القضاء) . قال اللـه تعالى : { **وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** } (الاعراف/١٨١)

٢ / (وشرط الدعوة ان تكون بالحق ، وان يسبق العمل به القول) ، وان يكون بأمر اللـه ، وان يسارع الهداة الى الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يخلصوا العبادة لله (فلا يدعو الى انفسهم او الى عبادة امثالهم) . قال اللـه تعالى : { **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَآءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ** } (الانبياء/٧٣)

٣ / وهذه السنة جرت فيما مضى وتجري فيما يأتي . فهناك دائما امة يهدون بالحق وبه يعدلون ففي قوم موسى (عليه السلام) جعل اللـه امة يهدون بالحق ، فقال اللـه تعالى : { **وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** } (الاعراف/١٥٩)

٤ / ومن امثلة ذلك التاريخية قصة الذين دخلوا على النبي داود ففزع منهم ، ولكنهم طلبوا منه ان يحكم بينهم بالحق ، وان يهديهم الى الصراط المستقيم . فقال اللـه تعالى : { **إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَآ إِلَى سَوَآءِ الصِّرَاطِ**} (ص/٢٢)

٥ / اما كتمان الهدى (من بعد بيان اللـه له للناس في الكتاب) فان جزاءه لعنة من اللـه ومن اللاعنين ، قال اللـه تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللـه وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ** } (البقرة/١٥٩)

٦ / ومن مصاديق الحق الذي تجب الدعوة اليه ، ابلاغ مناسك الناس (في الحج) . قال اللـه تعالى { **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الاَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ** } (الحج/٦٧)

فقه الآيات

١ / (الفاتحة/٥) و (الكهف/٢٤) و (القصص/٢٢) على الانسان ان يدعو ربه لكي يهديه الصراط المستقيم ، وذلك يهدينا الى عدة بصائر :

الف : ان غرور الهدى قد يحجب المرء عنه ، وانما بالاعتراف بالعجز عنه الا بتوفيق الله ، وبالخشية والحذر من الضلالة ، يمكن للمرء بلوغ درجات الهدى .

باء : قد يكون الانسان على هدى ، ولكنه يبحث عن الاهدى سبيلاً ، ولذلك فإن عليه ان يتوقع ان يهديه ربه لأقرب مما هو عليه رشداً .

جيم : ان في الحياة سبلاً شتى ، وعلى الانسان ان يدعو ربه ليهديه الى سواء السبيل .

٢ / (مريم/٤٣) و (يس/٢٠-٢١) و (يونس/٣٥) و (غافر/٣٨) على الانسان ان يتبع المهتدي الهادي ولا يمنعه من ذلك انه اكبر منه سناً ، او اكثر مالاً وولداً ، او اعظم قوة وشرفاً ، لان معيار الاتباع الهداية الى الحق .

٣ / (المائدة/١٠٤) و (البقرة/١٧٠) لا يجوز ان يستغني الانسان بما يجده عند اباءه من الفكر ، عندما يدعى الى ما انزل الله والى الرسول . ونستفيد من ذلك عدة بصائر :

الف : ان على كل جيل من المسلمين البحث عما في الكتاب والسنة من هدى الله ، دون الاكتفاء بما توارثوه من آبائهم . فلعل التراث خليط من الحق والباطل ، او ان تغير الزمان جعل التراث غير كاف لمعرفة الحق . وهذا الامر يدعو الى ضرورة الاجتهاد واستنباط الاحكام الشرعية من قبل كل جيل دون الاعتماد على السابقين .

باء : القيمة الحقيقية في الاتباع هي قيمة العلم والهدى ، فبقدر احتواء الجيل السابق لهاتين القيمتين يجوز الاهتداء بنورهم بعد تمحيص وتقييم .

جيم : علينا ان نربي اولادنا ومجتمعنا على اتباع الهدى دون ان نكرههم على اتباعنا ، فعسى ان يهديهم ربنا الى ما هو اهدى مما عندنا رشداً ، واقوم سبيلاً .

٤ / (الاعراف/١٩٣) و (القصص/٤٩) و (النور/٥٤) نستفيد من هذه الآيات ان على الانسان اتباع الهدى ، بل اهدى الدعوات . وان يطيع الرسول (ومن يخلفه في الدعوة الى الله
ورسالاته) . وهذه البصيرة تهدينا الى عدة احكام :

الف : ان على الانسان ان يخترق حجب الضلالة بإذن الله ؛ مثل التقاليد الموروثة ، والاعراف القائمة ، والمصالح الشخصية ، والحميات الباطلة ، حتى يستجيب للدعوة الهادية الى الحق .

باء : ان السبل الى الحق قد تكون مختلفة ، فعليك ان تبحث عن اهداها .

جيم : ان وسائل الهدى بالطاعة للرسول (ولخلفائه بحق) . لان الهدى لا يكون فقط في الخطوط الرئيسية ، بل يحتاج البشر الى الهداية في المسائل الفرعية ايضا ، والتي لا تكون الا بالعقل والوحي . والرسول يمثل الوحي ، فطاعته ضمانة للهداية في الشؤون الفرعية ايضاً .

٥ / (العلق/١١) و (النساء/٥١) و (الانعام/١٥٧) احترام قيمة الهدى يستدعي احترام من اهتدى ، والذي يقتضي الاحكام التالية :

الف : لا يجوز احتقار المصلين ونهيهم عن اداء واجبهم طغياناً بما يملكه الفرد من مال او قوة .

باء : لا يجوز القول بأن الكفار اهدى سبيلاً من الذين آمنوا (لان الكفار يملكون قوة او مالاً ، او لوجود هوى عند الفرد تجاههم ، وانما يجب احترام الايمان الذي عند المؤمنين حتى ولو كانوا اقل مالاً واضعف جنداً) .

جيم : الهدى قيمة وليس الشرك . والذين يقيّمون الهدى بأنفسهم في ضلال ، إذ هم الذين يجب ان يقيموا بالهدى . فعليه لا يجوز ان نقول لو ان الكتاب نزل علي (او ان الدعوة سبقت اليّ لكنت اهدى سبيلاً من المؤمنين ، ثم التكذيب بآيات الله لانها نزلت في قوم آخرين او لأنهم سبقوا اليها) .

٦ / (السجدةِ/٢٣) و (البقرة/ ١٩٨) و (البقرة/١٨٥) و (الحج/٣٧) و(الاعراف/٤٣) و (الانسان/٣) و (آل عمران/٨) على المؤمن ان يشكر الله على الهداية ، شكراً عملياً وقلبياً ، وعلى لسانه بالسبل التالية :

الف : ان يطهر قلبه من الريب (الذي مصدره وساوس الشيطان والاهواء والحميات الجاهلية) .

باء : ان يذكر اللـه تعالى ذكراً قلبياً ولسانياً ، لان اللـه هداه بعد الضلال .

جيم : ان يكبر اللـه تعالى (ويقدسه من نعت الواصفين ، وينزهه من شبه خلقه) . ومن التكبير اجراء كلمة التكبير كشعائر في صلوات العيد وفي حشود الحاج .

دال : وان يحمد اللـه تعالى ، ويثني عليه ، ويذكر اسماءه الحسنى .

واو : ان يدعو اللـه تعالى بالاّ يزيغ قلبه بعد اذ هداه الى السبيل .

٧ / (الاعراف/١٨١-١٩٩) و (الانبياء/٧٣) و (ص/٢٢) و (الحج/٦٧)

الف : من واجب الذي هداه اللـه (وهم المؤمنون حقاً) الدعوة الى الهدى ، وابلاغ رسالة الهدى الى غيرهم .

باء : ومن ذلك واجب نشر رسالة الهدى في كل افق ، وبكل وسيلة ممكنة . فإن لم يقدر على ذلك فإن عليه ان يساهم بدعم المؤسسات التبليغية التي تنشر الهدى .

جيم : وان تطوير المؤسسات التبليغية واستخدام الوسائل الاكثر فاعلية ، يعتبر من شكر اللـه على المهتدين .

هاء : ومن الواجب اقامة العدل بين الناس حسب ما هداهم اللـه اليه من الحق ، والاّ يتخذوا موقفاً خائناً للحق او اهله ، والاّيدافعوا عن الخائنين او المختانين او الظالمين ، ولا موقفا مدافعاً للطغاة والجبابرة .

هاء : ومن ذلك ابلاغ الاحكام الشرعية الصحيحة ، مثل مناسك الحج حسبما امر اللـه بها ، وليس حسب التقاليد الجاهلية وبدعها .

٨ / (البقرة/١٥٩) ومن احكام الهدى حرمة كتمانه ، وعدم الشهادة به . فإن كتمان الهدى يسبب في لعنة اللـه ولعنة اللاعنين (وذلك شريطة ان تتوفر شروط الاعلان عن الهدى مثل ان تتم الدعوة اليه في الكتاب) .

عواقب الهدى

الف : الأمن من الضلال والشقاء

١ / الضلالة والشقاء عاقبة سوئى ، يخشاهما الانسان بفطرته ، وبالهدى يأمنهما . ولولا هدى الله والفلاح الذي يورثه ، فإن الضلال والشقاء لا مرد منهما . قال الله تعالى : **{ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى }** (طه/١٢٣)

٢ / وهكذا كان السلام لمن اهتدى . قال الله تعالى : **{ فَأْتِيَاهُ فَقُولآ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِل مَعَنَا بَنِي إِسْرآئِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى }** (طه/٤٧)

باء : الامن من الخوف والحزن

١ / وبالخوف من المستقبل والندم على الماضي يشقى البشر . وانما بهدى الله يتجاوز الخوف ، لان الله يرعاه ويضمن استقامة طريقه ؛ كما يتجاوز الحزن ، لان الله تعالى لا يضيع اجره . قال الله تعالى : **{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }** (البقرة/٣٨)

٢/ وعندما حاج النبي ابراهيم قومه في امر التوحيد ، قال لهم ان الله قد هداه (واطمأنت نفسه ، واصبح من الموقنين . فهو آمن) ولا يخاف القوى التي يشركون بها (مثل الطغاة واشياعهم ، ورعاع المجتمع والجن والطبيعة وما اشبه) ، لانه آمن بالله وحده ولم يشرك به . فهو كهفه مما اشركوا ، بينما هم لا يأمنون غضب رب السموات والارض (كما وانهم يخافون ما يشركون به) ، فأي الفريقين احق بالأمن ؟ قال الله تعالى : { **وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَآجُّونِّي فِي اللـه وَقَدْ هَدَانِ وَلآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللـه مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** } (الانعام/٨٠-٨١)

جيم : الغلبة والنصر

١ / وبالضلالة والشقاء ، والذين يورثان الخوف والحزن ، يفتضح البشر، بينما المؤمن يبقى في أمن من الفضيحة . قال الله تعالى : { **قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى** } (طه/١٣٥)

٢ / وهكذا الهدى تجلي للحق ، والحق هو الغالب بالرغم من كراهة المشركين (ومحاولاتهم الجدية لمقاومة الحق . وهذه اسمى عاقبة للمؤمنين ، أليسوا يتطلعون الى تحقيق غايات الدين ؟) وقال الله تعالى : { **هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** } (الصف/٩)

٣ / وهكذا يصلح الله تعالى بال الهداة ، (ويؤتيهم ما يصلح شؤونهم) . قال الله تعالى : { **سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ** } (محمد/٥)

٤ / الهدى تقدم ونفع ، بينما الضلالة تخلف وخسارة وحيرة . قال الله تعالى : { **قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللـه مَا لاَيَنْفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللـه كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللـه هُوَ الْهُدَى**

وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (الانعام/٧١)

والشياطين الذين استهووا مثل هذا الرجل - قد يكونون من الجن ، وقد يكونون من الانس ، وهم الطغاة وعلماء السوء وكبراء الفتنة - يزعمون لهم ان الهدى قد يكون من غير الباب الذي أمر الله بالدخول منه .

دال : الامان من الفتن

١ / والدنيا دار فتنة ، والهزيمة امام الفتنة هي اسوء نهاية ، والهدى امان من الفتنة ، (وبالذات الفتن الاجتماعية) . قال الله سبحانه : { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللـه وَمَا كَانَ اللـه لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللـه بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ** } (البقرة/١٤٣)

فلولا هدى الله تعالى لانهارت مقاومة الانسان امام اعصار الابتلاء ، وتحول القبلة من البيت المقدس الى الكعبة وبصورة فجائية .

٢ / وعندما اختلف الناس بغيا بينهم ، بالرغم من بعثة الرسل بالكتاب المنزل من عند الله ، وتوافر البينات على الحق . هنالك هدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق (فعرفهم امامهم الذي يرجعون اليه في محاور اختلافهم ، بينما ترك الاخرين تجرفهم اعاصير الفتن الى النار) . قال الله تعالى : { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللـه النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللـه الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللـه يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } (البقرة/٢١٣)

هاء : الفوز بالمغفرة

١ / وشرط قبول التوبة والايمان والعمل الصالح ، الاهتداء . قال الله تعالى : { **وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى** } (طه/٨٢)

(اما من عمل صالحا في اطار العقيدة الباطلة ، فلا توبة له) .

زاء : وراثة الجنة

١ / قال الله تعالى : { **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللّه لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** } (الاعراف/٤٣)

٢ / اما من فقد الهدى ، وضل عن الصراط ، فان عاقبته ان يحشر في الاخرة اعمى (البصر) ابكم اصم ، ومصيره جهنم لا يخفف عنه العذاب ابدا . قال الله تعالى : { **وَمَن يَهْدِ اللّه فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً** } (الاسراء/٩٧)

٣ / ومثلات التاريخ شاهدة على عقبى الضالين ، فالمستكبرون يخاصمون المستضعفين الذين اتبعوهم بانهم لو هداهم الله لقاموا بهداية اتباعهم ، ولكنهم ضلوا واضلوا فكانت عاقبتهم جميعا النار لا محيص عنها سواء صبروا ام جزعوا . قال الله تعالى : { **وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّه مِن شَيءٍ قَالُوا لَو هَدَانَا اللّه لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَحِيصٍ**} (إبراهيم/٢١)

٤ / وثمود واحدة من الامم الضالة (التي فقدت الهدى ، فانظر كيف كانت عاقبتها . لقد) اخذتهم صاعقة العذاب بما كانوا يكسبون (بضلالتهم عن الهدى) . قال الله تعالى : { **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**} (فصلت/١٧)

٥ / وهكذا يخسر الضالون ، اذ تراهم يتعارفون بعد حشرهم وكأنهم لم يلبثوا الا كساعة من النهار فقد ذهبت فرصتهم الوحيدة للنجاة . قال اللـه تعالى : **{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللـه وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}** (يونس/٤٥)

٦ / واذا ضل اولئك القوم ، فلا احد يدافع عنهم او يهديهم طريق الرشاد . قال اللـه تعالى : **{ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللـه مَن يَهْدِ اللـه فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً }** (الكهف/١٧)

٧ / وقال اللـه تعالى : **{ وَمَن يَهْدِ اللـه فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً}** (الاسراء/٩٧)

٨ / وقال اللـه تعالى : **{ مَن يَهْدِ اللـه فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** (الاعراف/١٧٨)

حاء : الطيب من القول

(ونعم اللـه في الاخرة كثيرة ، وهي خاصة بالمهتدين ؛ ومنها) الطيب من ، القول حيث يستقبلون بالتحية والسلام ، وتحيط بهم مظاهر التكريم والرحمة ، قال اللـه تعالى : **{ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ }** (الحج/٢٤)

طاء : شرح الصدر

وينشرح قلب من يهديه اللـه ، (حتى يرضى بما اوتي . ويخفف عنه وزر المشاكل ، ويرفع اللـه ذكره بين الناس) . قال اللـه تعالى : **{ فَمَن يُرِدِ اللـه أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَدُ فِي السَّمَآءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللـه الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ }** (الانعام/١٢٥)

فقه الآيات

١ / (طـه / ١٢٣) و (طـه / ٤٧) و (البقـرة / ٣٨) و (الانعـام / ٨٠ - ٨١) .
نستوحي
من هذه الآيات الكريمة ، مشروعية تطلع البشر الى الأمن والسلام .
الف : الأمن من الضلال والشقاء .
باء : السلام من الخوف والحزن .
وانما يتحقق كل ذلك باتباع هدى اللـه سبحانه ، ورفض الانداد .
٢ / (الصف / ٩) و (طه / ١٣٥) و (الانعام / ٧١) وكذلك نستفيد من هذه الآيات الكريمـة ؛ ان الغلبـة والظهـور والنجـاة مـن الحيـرة ، هـي الاخـرى تطلعـات مشـروعة للانسان . وانما بالهدى يمن بها اللـه سبحانه على عباده .
٣ / (البقرة / ١٤٣) و (البقرة / ٢١٣) علـى المؤمن ان يتمسك بحبل اللــه ويتبـع الرسول ويسلم للرسالة عند الفتن والاختلافات . هنـاك تهون صـعوبة الفتنـة ، ويهدء اعصار الخلاف .
٤ / (طه / ٨٢) وعلى من اراد التوبة ان يصلح قد يكون فاسداً من عقيدتـه ، فيصلح صلته بالرسول والامام حتى تقبل توبته .
٥ / (الاعراف / ٤٣) على الانسان ان يعرف وان يعترف بأنه لولا هداية اللــه ، لكان في ضلال . (فلا يغتر بعقله ولا يفرح بما اوتي من علم) .
٦ / (الاسراء / ٩٧) و (ابراهيم / ٢١) يجب علـى المؤمن تجنب اتبـاع المستكبرين واتخاذ اولياء من دون اللـه سبحانه ، فانهم لن يغنوا عنه من عذاب اللـه شيئاً .
٧ / (فصلت / ١٧) علـى المؤمن ان يحذر من استحباب العمـى علـى الهدى ، (طلباً لمقام او نيل ثروة او خشية الرعاع من الناس والطغاة من الحكام) .

بيع الحق

شراء الثمن القليل بآيات اللـه سبحانه ، علة الضلالة والاضلال ، والويل لمن فعل ذلك .
ونستعرض فيما يلي جملة بصائر : ما هي حقائق الشراء وما هو عقباه ؟

حقائق الشراء :

١ / الشراء ، التبادل الذي يهدف صاحبه الحصول على غاية معينة ، والكفار اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة . فهم ارادوا الضلالة وطلبوها بأي ثمن . قال اللـه تعالى : { **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالاَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ** } (البقرة/٨٦)

٢ / كذلك الذين يهدفون بلوغ غاية مادية من ثروة او جاه او سلطة ، ولا يتورعون من بيع ما لديهم من دين او علم في سبيل ذلك ، والهدف انهم يشترون بآيات اللـه . ولكن ما

يشترونه انكان كثيراً في اعينهم فانه قليل ، لانهم يخسرون انفسهم ومصائرهم من اجل ما يسرع زواله ولا يفنى وباله . قال الله تعالى : { **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللـه لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** }(البقرة/٧٩)

ونستفيد من الاية :

الف : ان مصداق شراءهم هو كتابة الكتاب بأيديهم ، ثم ادعاءهم بانه من عند الله تعالى . فهو نسبة حكم او موقف الى الله او الى رسوله والائمة (عليه وعليهم السلام) بهدف بلوغ مال او جاه .

باء : ان لهؤلاء الويل (والعقاب) على ارتكابهم ذنبين ؛ افتراءهم على الله ، واكتسابهم الحرام . أي على ما باعوا وما اشتروا .

وقد جاء في حديث مأثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن معنى الويل قال : " انه واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفاً ، قبل ان يبلغ قعره " . (١)

وفي حديث مأثور عن الامام الباقر (عليه السلام) في معنى تحريفهم كتابهم. قال : " انهم عمدوا الى التوراة وحرفوا صفة النبي ليرفعوا الشك بذلك على المستضعفين من اليهود " . (٢)

٣ / ومن مصاديق هذا الشراء كتمان ما انزل الله من الكتاب ، لقاء ثمن بخس من زخرف الدنيا ، قال الله تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنْزَلَ اللـه مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللـه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } (البقرة/١٧٤)

ونستوحي من الآية الكريمة البصائر التالية :

الف : ان من مسؤوليات العلماء بيان الحق الذي ينفع الناس والشهادة به . ومن ذلك بيان علامات الرسالة ، وصدق الرسول ، والشهادة بالحق . فإذا ظلم شخص وكذب عليه ،

---

(١) نور الثقلين / ج ١ / ص ٩٣ / ح ٢٥٥

(٢) المصدر/ ح ٢٥٦

وارادت القوى الطاغية هضم حقه واشاعت حوله الاراجيف ، فإن على العالم ان يرفع صوته ويشهد له بالحق . وكذلك اذا شاعت بدعة واراد الطغاة نشرها ، فإن على العالم ان يحذر منها ولا يكتم الحق بشأنها . وهكذا ..

باء : ان الجزاء الذي يحصل عليه هؤلاء حرام عليهم كأشد ما يكون من الحرام ، فهو في بطونهم نار .

جيم : لان طائفة من هؤلاء ابتغوا الوجاهة عند الناس والحظوة عند السلطة بكتمانهم الحق ،

فإنه لا وجاهة لهم عند الله سبحانه ، بل انه لا يكلمهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .

٤ / ومن مصاديق الشراء وحقائقه الخارجية ، الكفر بالرسول . فلأن احبار اليهود والنصارى لم يؤمنوا بالنبي ، فقد اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً . قال الله تعالى : { **وءامِنُوْا بِمَآ أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** } (البقرة/٤١)

ونستفيد من الاية الكريمة ما يلي :

الف : ان الامتحان الصعب الذي يتعرض له العالم يأتيه من علمه ، ومدى تحمله له ، واداءه لمسؤوليته . فان من مسؤولية العلم . التصديق والايمان بمن يدعو اليه . فإذا كنت عالما وظهرت دعوة حق في الامة . فلا يسعك الا الشهادة بصدقها والاستباق الى الايمان بها .

باء : لان الاحبار والعلماء يخشون - عادة - من منافسة غيرهم لهم ، فانهم قد يكونون اول كافر به . (بينما المفروض ان يبادروا الى الايمان به . لانه حق وهم اعرف به . ولذلك يحذر القرآن اهل الكتاب (ولعل المراد منهم العلماء) من ان يكونوا اول كافر بالنبي (صلى الله عليه وآله) . وهكذا اليوم وكل يوم ترى البعض ممن اوتي العلم ، اذا خشي على موقعه من دعوة حق او داعية به ، بادر الى الكفر به حسدا من عند نفسه .

جيم : ان العلماء يتعرضون لارهاب السلطات الطاغية ليكفروا بالحق ، وعليهم الا يخشوا الا الله ولا يتقوا احداً سواه .

٥ / ومن هنا شرط اللـه على علماء الدين اربعة شروط قاسية ، قبل ان يحملهم مسؤولية الحكم بالكتاب . فقال اللـه تعالى : { **إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللـه وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِايَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَآ أَنْزَلَ اللـه فَأُولئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}** (المائدة/٤٤)

وهذه الشروط هي التالية :

اولا : استحفاظ الكتاب (ودراسته وفقهه) .

ثانياً : الشهادة عليه ، وألاّ يكتموا ما فيه ، بل عليهم ان يظهروه ويدعوا اليه .

ثالثا : ألاّ يخشوا الناس ولا يرهبوا الطغاة واولي القوة ، وألاّ يخافوا من تفرق الناس من حولهم

بسبب قولهم حقاً يخالفه الناس . انما على العلماء ان يخشوا اللـه ويتقوه وحده .

رابعاً : ألاّيشتروا بآيات اللـه ثمناً قليلاً . فلا يهادنوا اصحاب الثروة ولا يخضعوا للاغنياء ، لكي يحصلوا على المال .

٦ / ومن نتائج الخيانة بمسؤولية تحمل العلم ، الصد عن سبيل اللـه . لأن الناس يثقون بالعلماء ويزعمون انهم امناء اللـه في خلقه . فإذا افتوهم بالباطل او كتموا عنهم الحق ، ثم اتبعهم الناس في الباطل ولم يتبعوا الحق ثقة بهم ، كانوا قد صدوا الناس عن سبيل اللـه . قال اللـه تعالى : { **اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللـه ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ** } (التوبة/٩)

ونستلهم من ذلك ضرورة معرفة العالم بدوره الخطير ، وانه قد حمل أمانة عظيمة ، وانه لو فرط فيها فقد احتمل ذنباً كبيراً .

٧ / وهؤلاء انما يشترون الضلالة بالهدى ؛ انهم يزعمون حصولهم على الثروة او الحظوة او بما يبيعون من هدى العلم وآيات اللـه ، ولكنهم انما يحصلون على الضلالة . فمنهم كمن يملك مصباحا في ظلام الطريق فيدفعه لغيره لقاء اجر بسيط ، انه يفقد نوره وأمنه وحياته . والادهى من ذلك انهم يضلون الناس من اتباعهم ، فيهلكون انفسهم كما

يهلكون اتباعهم ، فويل لهم . قال اللـه تعالى : { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ اَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ**} (النساء/٤٤)

فكم هي خسارة من كان يدعو الى اللـه ويحب هدى الناس ، ان يصل به الحال الى الدعوة الى الطاغوت ، وان يحب ضلال الناس ؟ كل ذلك من اجل دنيا زائلة . من هنا كان الثمن الذي يحصلون عليه قليلاً جداً بالنسبة الى ما يفقدونه ، وكذلك سمى القرآن ثمن الهدى بأنه بخس .

بصائر الآيات

١ / الشراء تحصيل شيء بثمن ، والكفار اشتروا العذاب بالمغفرة حينما اتبعوا شهوات الدنيا وخسروا ثواب اللـه . كذلك العلماء الذين باعوا آيات اللـه ، واشتروا بها مالا او رئاسة .

٢ / ومصداق شراءهم أمور :

اولاً : اظهر المصاديق انهم يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند اللـه .

ثانياً : ومن المصاديق كتمانهم للحق .

ثالثاً : ومنها كفرهم بالحق مع ان مسؤولية علمهم بالحق تدعوهم الى الايمان به ، ولكن بعضهم يكون اول كافر به .

٣ / ونتائج هذا الشراء هي التالية :

اولاًً : الضلالة ، اذ انهم يخسرون الهدى حين يبيعونه .

ثانياًً : حب الضلالة للآخرين .

ثالثاً : الصد عن سبيل اللـه ، حيث انهم يكتمون الحق .

رابعاًً : اضلال الناس .

خامساًً : المسارعة الى الكفر بالحق .

٤ / وعاقبة علماء السوء هي التالية :

اولا : ان اللـه لا يزكيهم .

ثانياً : ان اللـه لا ينظر اليهم .

ثالثا : ان لهم عذاباً عظيما .

٥ / ومن هنا شرط اللـه على العلماء الذين يريدون تصدي الحكم بالوحي بين الناس اموراً :

اولا : استحفاظ الكتاب .

ثانياً : الشهادة عليه .

ثالثا : خشية اللـه دون الطغاة .

رابعا : ألاّ يشتروا بآيات اللـه ثمناً قليلاً (ولا يستميلهم الاثرياء بأموالهم) .

فقه الآيات

١ / نستفيد من جملة الآيات التي بينت فرائض العلماء باللـه ، ضرورة استقلالهم عن أية تبعية ، حتى يعلوا الحق الذي حمّلوا مسؤولية بيانه والشهادة عليه ؛ يعلوا فوق سلطة الظالمين .

وثروة المترفين ، وسذاجة الرعاع وجهلهم .

وصيانة الاستقلال هي صيانة التوحيد عند العلماء الربانيين ، وهي تستدعي طائفة من الاحكام العامة :

اولا : التوكل على اللـه ، والاستعداد للجهاد في سبيله ، واعتبار لقاءه والقتل في سبيله كرامة وهدفاً .

ثانياً : الزهد في درجات الدنيا ، وكبح هوى الرئاسة ، واقتلاع جذور الاستعلاء في الارض .

ثالثا : الاستغناء عما في ايدي الناس من حطام الدنيا ، وذلك بالأكتساب كما كان يفعل الانبياء (عليهم السلام) .

٢ / وعلى المؤمنين ان يبحثوا عن العلماء الربانيين ، الذين بينت آيات الكتاب صفتهم ، ويبالغوا في نصرتهم وتقديم كل ألوان العون لهم وبذل اموالهم وانفسهم في سبيل الله تحت راية اولئك العلماء .

ومن اجل ذلك ينبغي ان يراقب المؤمنون حال العلماء ويهتموا بهم ، حتى لا ينخدعوا بأشباه العلماء ، فيضلوا من حيث لا يشعرون .

التحريف

ما هو التحريف ، ولماذا يحرف البعض الدين ، وما هو مصير الذين يحرفون ؟

١ / معنى التحريف

١ / من الناس من يعبد الله على حرف ، فهو في طرف الصراط لا يستقر على يقين في متن الطريق . انه يعبد الله وعينه على مصالحه ، ويعبد الله ويشترط ان يكون دين الله حافظا لمصالحه ، مطابقاً لآراءه . فاذا اصابه خير اطمأن به واعتقد بسلامة السبيل الذي يسلكه ، وانما يطمأن لان مصالحه قد تحققت . وان اصابته فتنة من مصيبة او خسارة او هزيمة تراه ينقلب على وجهه ، ويرتاب في دينه . قال الله تعالى : **{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللـه عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }** (الحج /١١)

٢ / وأصل التحريف امالة الشيء عن حقه (كما قال القفال) (١) واستدل بقوله سبحانه : **{ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللـه وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }** (الانفال/ ١٦)

ويقال قلم محرّف ، اذا كان رأسه مائلا غير مستقيم . (١)

٣ / والتحريف الذي مارسه اليهود كان تحريف الكلم عن مواضعه ، وذلك بتأويل الكلم عن معانيه الصحيحة الى التطبيقات الباطلة . وفي ذلك يقول الرازي في بيان احد وجهي التحريف الثاني ؛ ان المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة ، والتأويلات الفاسدة ، وحرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية . (٢)

ولعل قوله سبحانه { **لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ**} دليل على ذلك . وسوف نعود انشاء الله الى التدبر في معنى{**لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ**} عند تفسير آية اخرى . قال الله تعالى : **{ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَواضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللـه بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً }** (النساء/٤٦)

---

(1) تفسير الرازي حول الآية / الجزء ٣ / ص ١٣٤

(١) تفسير الرازي حول الآية / الجزء ٣ / ص ١٣٤

(٢) المصدر / ج ١٠ / ص ١١٨

ونستفيد من الآية عدة بصائر :

الف : انه كان من اليهود قوم يحرفون الكلم عن مواضعه ، فإذا بهم يستخدمون الكلام في غير ما وضع له . وهذا نوع من الالتواء والنفاق ، ولعل مثل ذلك قولهم سمعنا وعصينا . والمفروض ان يقولوا سمعنا واطعنا ، لان من يسمع الحق وجب عليه طاعة المبعوث به وهو الرسول ، لا عصيانه . كذلك قولهم **{ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ }** فإن من حق من يسمع ان يستمع اليه ، أوليس الجدال بالتي هي احسن يقتضي ان نقول ليسمعنا الاخر ويقول لنسمعه ، فكيف قالوا اسمع غير مسمع ؟ وكذلك قولهم راعنا وهو كلام يقوله الذي يريد تطبيق الحق ، ولكنهم كانوا يرفضونه جملة وتفصيلا ، ولم يكن طلبهم بالرعاية غير وجل منهم وكسباً للوقت .

باء : ان اليهود (ومن يتبعهم من المنافقين) يستخدمون الكلام غطاء لنفاقهم ، وهدفهم القلبي الطعن في الدين . وانما الكلام الحق هو الذي يعبر عن القلب ، فإذا قالوا سمعنا كان عليهم ان يقولوا اطعنا ، وإذا قالوا اسمع فعليهم ان يقولوا انظرنا (لنطبق الدين على مهل) .

جيم : ان هذا التحريف نابع من كفرهم الذي يقتضي لعنة ، ومن اللعنة انهم صدوا عن الايمان

الا قليلا .

٤ / ومن التحريف لوي اللسان بالكتاب ، ليحسبه الناس من الكتاب وما هو من الكتاب . ولوي اللسان وضع الكلمة في غير موضعها ، مما يعطي تفسيرا مختلفاً عن حقيقتها . قال الله تعالى : **{ وإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللـه وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللـه وَيَقُولُونَ عَلَى اللـه الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** (آل عمران/٧٨)

٥ / ومن التحريف ما حذر منه الكتاب عندما امر المؤمنين بان يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، فلأن هذه الفريضة مستصعبة حذرهم من ان يلووا او يعرضوا . ولعل اللوي هو التهرب من الواجب بتفسير القسط او العدل تفسيراً باطلاً ، او تطبيق الآية في غير

موضعها الصحيح . اما الاعراض فهو مخالفة الآية بصراحة ، قال اللـه تعالى : { **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللـه فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللـه وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** } (آل عمران/١٣٥)

٢ / لماذا التحريف ؟

للتحريف عوامله المتمثلة في الكفر والنفاق وقسوة القلب .

١ / وقد سبق الحديث عن الكفر في الآية (٤٦ / النساء) ، اما عن النفاق فيقول اللـه تعالى : { **يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذَا فَخُذُوهُ وإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللـه فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللـه شَيْئاً أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللـه أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** } (المائدة/٤١)

ونستفيد من الآية البصائر التالية :

الف : ان الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم هم ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه . فالنفاق سبب من اسباب التحريف .

باء : من صفات هؤلاء المحرفين قولهم ؛ ان اوتيتم هذا فخذوه ، وان لم تؤتوه فاحذروا ، فهم يخلقون إفكاً ويضعون بآرائهم معياراً ثم ، يريدون الدين ان يأتيهم بذلك الافك وحسب ذلك المعيار . ولعل هذا هو بالذات مثل لتحريفهم . فهم لا يريدون تطبيق دين اللـه على انفسهم واراءهم ، بل توثيق الدين لآراءهم واهواءهم . فالمحرّف يتبع رأيه ويفسر الدين حسب ذلك الرأي ، بخلاف المؤمن المطيع .

جيم : ان مرض قلوب هؤلاء (كل منافق مفتون بمرض في قلبه كالكبر والحسد والحمية والضغينة) ساقهم الى تحريف الدين (وتفسيره باراءهم) .

دال : عاقبة هؤلاء خزي في الحياة الدنيا ، حيث لا يبلغون اهدافهم التي من اجلها حرفوا دين اللـه . اما في الاخرة فلهم عذاب أليم ، حيث لا تنفعهم ظواهر الدين التي خدعوا انفسهم بها .

٢ / وقسوة القلب علة التحريف ، والذين ينقضون الميثاق تقسوا قلوبهم ، فلا تنتفع بضياء الوحي، فإذا بهم يحرفون الكلم عن مواضعه . قال اللـه تعالى : { **فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَتَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللـه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** } (المائدة/١٣)

ونستوحي من الآية الحقائق التالية :

الف : قسوة القلب لعنة ، وهي تجعل القلب مغلقاً تجاه نور الحق ، فيحرف صاحبه الدين (لانه لا يريد ان يتبعه) .

باء : ان من ابتلي بقسوة القلب ترك جانباً من الدين ، ولعله الذي يخالف مصلحته او حميّته ، او اراءه السابقة .

جيم : لعل هذا لون من التحريف ، ان يؤمن المرء ببعض الكتاب ويكفر ببعض . فيؤمن بما يوافق اراءه ومصالحه او لايخالفهما ، ويكفر بالبقية الباقية .

٣ / والتحريف كان بعد ان عقلوا كلام اللـه وعلموه . (ربما كان بمعنى الفهم والحفظ ، ثم العلم بأنه حق) . قال اللـه تعالى : { **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللـه ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** } (البقرة/٧٥)

ونستفيد من الآية وسياقها البصائر الآتية :

الف : ان التحريف كان يرتكب بعد الاستماع والعقل والعلم . فقد كان المحرفون قد عقدوا العزم عليه مسبقاً ، وهذا يدل على مدى الاجرام الذي ارتكبوه بحق الدين والامة .

باء : كانوا يتظاهرون بالايمان ، ولكنهم يتواصون بكتمان الحقائق التي تؤيد الرسالة .

ولعل هذا من اقسام التحريف ، راجع الاية - ٧٦ - من سورة البقرة .

جيم : وكانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند اللـه بحثاً عن المصالح الماديـة . ولعـل هذا مـن اقسـام التحريـف ، وهـو الـذي يتم باصـدار الفتـاوى الباطلـة ، وافتراءها على اللـه سبحانه . وهذا ما نتلوه في الآية - ٧٩ - من سورة البقرة .

دال : ومـن التحريـف تحويل الديـن الى جملة اماني تدغدغ احلام العوام ، (مثل قصـة الفداء

وشفاعة الاصنام ، وشراء قسائم الجنة) . وهذا ما نتلوه في الآية - ٧٨ - من سورة البقرة -.

٣ / عقبى التحريف

في الآيات السابقة تلونا عقبى المحرفين ؛ فكانت اللعنة (التي ادت الى انغلاق قلوبهم) ، وان اللـه اراد فتنتهم ولم يرد ان يطهر قلوبهم . والخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الاخرة ، كانت هذه العواقب نهاية المحرفين لكتاب اللـه .

بصائر الآيات

١ / امالة الحق عن موضعه تحريف ، وقد قامت اليهود بتحريف الكلم عن مواضعه ، وذلك بالسبل التالية :

الف : تطبيق الكلمة على غير معناها ، وذلك بالتأويلات الباطلة ، والحيل اللفظية . ولعل منه قولهم سمعنا وعصينا ، وكان الحق ان يقولوا سمعنا واطعنا .

باء : من التحريف لوي اللسان بطريقة يوحي انه من الكتاب وما هو من الكتاب .

جيم : مـن التحريـف جعل الاراء مقياساً لقبـول او رفض الكتـاب . فـإذا وافـق الكتـاب آراءهـم

قبلوه ، والا رفضوه .

دال : ومنه الايمان ببعض الكتاب ، والكفر ببعضه (حسب المصالح والاهواء) .

هاء : ومن التحريف كتمان الحق الذي يخالف مصالحهم .

واو : تحويل الدين الى جملة اماني ، كأمنية انهم لا يعذبون الا اياماً قليلة .

زاء : ومنه كتابة الكتاب (ثقافة وافكار وفتاوى) ونسبته الى الله ، وما هو من الله (افتراء على الله) .

٢ / للتحريف اسبابه ؛ قسوة القلب ، والنفاق ، والكفر .

٣ / عاقبة التحريف اللعنة (فيصد عن الايمان) وعدم تطهير قلوبهم ، والخزي في الدنيا ، والعذاب العظيم في الاخرة .

فقه الآيات

على العلماء بالله ان يكونوا اول مسِّلمين للوحي ، ولا يتبعون الهوى في حكم الله ، سواء في فهمه او تطبيقه على المصاديق او في نقله للناس . ونستفيد من ذلك الاحكام الشرعية التالية :

الف : على العالم ألاّ يضع لنفسه مقاييس يزن بها دين الله ، فإن الدين ليس بالقياس . فمن وضع معياراً وجعله حاكما على الدين ، وقال للناس ان كان دين الله موافقاً لهذا المعيار فاتبعوه والا ردوه ، كان محرّفاً للدين .

باء : على العالم ألاّ يحدث الناس باراءه بطريقة يوحي اليهم انها من عند الله ، فإنه من الافتراء على الله سبحانه . بل يحدث الناس بما يعلم يقيناً انه من عند الله سبحانه ، ولا يحدثهم بالجهل .

جيم : وفي تطبيق الحكم الشرعي على الوقائع ؛ على العالم ان يكون حذراً الا يدخل رأيه وهواه في التطبيق ، بل يتبع مناهج الدين في معرفة الحقائق الخارجية . فاذا وضع الكلام في غير موضعه ، واوّل الحكم بغير علم ، او اتباعاً للهوى فقد حرّف الدين .

دال : لا يجوز كتمان الحق عن اهله اتباعاً للهدى ، بل يجب بيان الدين كله والشهادة به لله دون لي اللسان ، وان بيان بعض الحقيقة ، فإنه قد يكون من التحريف الحرام شراعاً .

اطمئنان القلب

الطمأنينة درجة سامية :

١/ من القيم الحق التي يسعى المؤمن نحو تحقيقها قيمة السكينة الايمانية ، حيث يبلغ الفؤاد درجة الطمأنينة . بالايمان ، ولان السكينة من عند الله ، فقد طلب النبي ابراهيم عليه السلام من ربه ذلك ، حيث قال الله تعالى : { **وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللـه عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } (البقرة/٢٦٠)

٢ / وهكذا بحث المؤمنون من بني اسرائيل عن الحق والشواهد عليه ، لكي تطمئن قلوبهم ثم يصدقوا بالحق . (وكانت دعوتهم بنزول المائدة فضيلة ، وقد استجابها الله سبحانه . وهكذا كل دعاء او كل سعي تكون عاقبته السكينة والطمأنينة ، دعوة صالحة وسعي ميمون) . قال الله تعالى : { **قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ** } (المائدة/١١٣)

الطمأنينة من عند الله :

١ / انى لهذا القلب المتقلب في كف الهوى والشهوات والريب والشكوك ، ان يطمئن الا عندما ينزل الله عليه ذلك ، مثلما انزلها على اهل بدر ، وحيث قال الله تعالى : { **إِذْ**

يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الاَقْدَامَ } (الانفال/١١)

بلى ؛ في حرب بدر فوجيء المسلمون بمواجهة جيش يفوقهم عدة وعددا ، فكانوا بحاجة الى روح الايمان (اطمئنان القلب) ، لكي لا يبقى القلب مترددا بين الأنا والحق ، وانما يتمحور كليا حول الحق . ثم ليؤمن بأن النصر من عند الله ، وليس من عند نفسه . ويعرف الله باسمائه الحسنى ، والتي منها ان الله عزيز حكيم . ويصف القرآن الحالة النفسية لهؤلاء الذين استجابوا للحق وصفا دقيقا ، حيث اطمئنت نفوسهم وانسجمت حالة النفس مع ظواهر البيئة المحيطة ، وتحررت من سجن الانا واتصلت بنور الحق ، فاطمئنت .، وانعكس الاطمئنان على الجوارح ، فنامت العيون ، ونزل الماء من السماء ، وطهر ليس فقط اجسادهم ، وانما ايضا طهرت نفوسهم من وساوس الشيطان ، وقلوبهم من الانهيار ، واقدامهم من التزلزل .

٢ / ومرة اخرى انزل الله السكينة على المؤمنين ، فاذا بايمانهم يزداد نورا وعزما . قال الله تعالى : { **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ** } (الفتح/٤)

٣ / اذا كان المرء مؤمنا بالله ثم ذكره ، فانه يزداد ايمانا حتى يطمئن قلبه (ويطرد الوساوس الشيطانية عنه) . قال الله تعالى : { **الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** } (الرعد/٢٨)

ونستوحي من هذه الاية ، ان ذكر الله ينفع كل قلب ، وليس قلوب المؤمنين فقط . (حيث بدء الحديث خاصا بالمؤمنين ، لانهم الاكثر انتفاعا بذكر الله ، ثم عم غيرهم) .

الطمأنينة هي الهدف :

١ / والهدف من الايمان هو طمأنينة القلب . وهكذا لو بقي الفؤاد مطمئنا ، فلا يهم لو ان الفرد تظاهر بغير ذلك عند الاكراه . قال الله تعالى : { **مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ**

إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللـه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النحل/١٠٦)

و جاء في السنة الشريفة تفسير هذه الآية .

ألف : عن القاسم بن يزيد ، قال : حدثنا عمرو الزبيري عن ابي عبد اللـه (عليه السلام) انه قال : فاما ما فرض اللـه على القلب من الايمان والمعرفة والعقد والرضا ، والتسليم بان لا اله الا اللـه ، وحده لا شريك له ، الها واحدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وان محمدا (صلى اللـه عليه وآله) عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند اللـه من نبي او كتاب . فذلك ما فرض اللـه على القلب من الاقرار والمعرفة وهو عمله ، وهو قول اللـه عز وجل : **{ مَن كَفَرَ بِاللـه مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللـه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }** . وقال : **{ أَلاَ بِذِكْرِ اللـه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }** بذكر اللـه تطمئن القلوب) فذلك ما فرض اللـه عز وجل على القلب من الاقرار والمعرفة ، وهو عمله ، وهو رأس الايمان . (١)

باء : عن ابي بكر عن ابي عبد اللـه (عليه السلام) قال : قال بعضنا : مد الرقاب احب اليك ام البراءة ؟ فقال : الرخصة احب الي . اما سمعت قول اللـه في عمار **{ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ }** (٢)

٢ / ومثل هذا الشخص مثل الذي يتقي بطش الكفار ، فيتخذ منهم اولياء ظاهرا ولكنه برىء منهم . قال اللـه تعالى : **{ لاَيَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللـه فِيْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللـه نَفْسَهُ وإِلَى اللـه الْمَصِيرُ}** (آل عمران/٢٨)

تأييد اللـه للمؤمنين اطمئنان لقلوبهم :

(١) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ٨٨
(٢) المصدر

١ / كيف يبعث اللـه روح السكينة ليـؤيد بها قلوب المؤمنين ؟ من وسائل ذلك تنزل الملائكة - كما حدث في واقعة بدر - . قال اللـه تعالى : { **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللـه إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللـه إِنَّ اللـه عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } (الانفال/٩ - ١٠)

٢ / ولكن التأييد الالهي ، والسكينة والطمأنينة وتنزل الملائكة ، كل ذلك ما كان لينزل على المؤمنين الا بعد صبرهم وتقواهم ، (وحاجتهم الى ذلك) . قال اللـه تعالى : { **بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالاَفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللـه إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ** } (آل عمران/١٢٥-١٢٦)

٣ / والرسول اول من ينزل عليه السكينة ، (لانه اقربهم الى اللـه سبحانه ، وهو وسيلة التأييد النازل على غيرهم) . قال اللـه تعالى : { **ثُمَّ أَنْزَلَ اللـه سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ** } (التوبة/٢٦)

٤ / هكذا كان التأييد الالهي (وبالتالي السكينة) للمؤمنين ، بعد ان عقدوا العزم على التسليم والتصديق والجهاد ، فلما علم اللـه منهم ذلك ، انزل عليهم نصره . قال اللـه تعالى : { **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** } (الفتح/١٨)

٥ / قال اللـه تعالى : { **فَأَنْزَلَ اللـه سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا** } (التوبة/٤٠)

كيف تزداد الطمأنينة ؟

عند تلاوة الكتاب والاستماع الى آيات اللـه ، والكفر بالطاغوت واجتناب المشركين ، وعند مواجهة اعداء الدين يزيد اللـه المؤمنين سكينة واطمأنانا .

١ / من خصائص المؤمنين ، زيادة ايمانهم بتلاوة آيات ربهم (في الكتاب) . قال اللـه تعالى : { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللـه وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** } (الانفال/٢)

٢ / وكذلك يزدادون ايمانا عندما تنزل سورة من القرآن (بالاستماع اليها والتدبر فيها ، وكذلك بالتسليم لها واتباع ما فيها) . قال اللـه تعالى : **{ وإِذَا مَآ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانـاً فَأَمَّـا الَّـذِينَ ءَامَنُـوا فَـزَادَتْهُمْ إِيمَانـاً وَهُـمْ يَسْتَبْشِـرُونَ }** (التوبة/١٢٤)

٣ / عند مواجهة الطاغوت ، وتحدي الالهة التي تدعى من دون اللـه ، يزيد اللـه ايمان المؤمنيـن ، ويـربط علـى قلوبهـم (بتثبيتهم وربمـا بـانزال السكينة عليهـم) كمـا فعـل باصحاب الكهف . حينما تبرأوا من قومهم الكفار . قال اللـه تعالى : **{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَـاَهُم بِـالْحَقِّ إِنَّـهُمْ فِتْيَـةٌ ءَامَنُـوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَـا عَلَـى قُلُـوبِهِمْ إِذْ قَـامُوا فَقَـالُوا رَبُّنَـا رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالاَرْضِ لَـن نَـدْعُوَاْ مِـن دُونِـهِ إِلَهـاً لَقَـدْ قُلْنَـآ إِذاً شَـطَطاً }** (الكهف/١٣-١٤)

٤ / (وعندما يفتح اللـه للرسول فتحـا مبينـا ، وينصـره نصرا عزيزا ، وعندما يبايع المؤمنون الرسول) ينزل اللـه سكينته علـى المؤمنين ، ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم . قال اللـه تعالى : **{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانـاً مَعَ إِيمَـانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وَكَانَ اللـه عَلِيماً حَكِيماً }** (الفتح/٤)

٥ / والذين لايوادون من حاد اللـه ولو كانوا من الأقربين ، هم الذين كتب اللـه في قلوبهم الايمان . (وهكذا يعرف الايمان بالبراءة من اعداء اللـه أنى كانوا) . قال اللـه تعالى : **{ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُـونَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَـآدَّ اللـه وَرَسُـولَهُ وَلَوْ كَانُـوا ءَابَآءَهُـمْ أَوْ أَبْنَآءَهُـمْ أَوْ إِخْـوَانَهُـمْ أَوْ عَشِيرَتَهُـمْ أُوْلَئِـكَ كَتَـبَ فِـي قُلُوبِهِـمُ الإِيمَـانَ وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنْهُ}** (المجادلة / ٢٢)

بصائر الآيات

١ / السكينة من القيم التي يسعى المؤمن نحوها ، كما دعا النبي ابراهيم (عليه السلام) ربه ان يطمئن قلبه ويريه كيف يحيي الموتى ، وطالب بنوا اسرائيل النبي عيسى (عليه السلام) ليدعو ربه بالمائدة تنزل عليهم لتطمئن بها قلوبهم .

٢ / والله ينزل السكينة على القلب المؤمن عند الهزاهز ، كما فعل في غزوة بدر وغيرها . وبذكر الله تطمئن القلوب .

٣ / والطمأنينة هي المقياس ، فلا ضير عند طمأنينة القلب ان يتفوه المرء عند الاكراه بغير الايمان .

٤ / وبالصبر والتقوى انزل الله عند لقاء الاعداء الملائكة بالسكينة ، والتي خص بها الرسول اولا ثم عم المؤمنين ، لانه علم ما في قلوبهم (من التسليم والعزم على القتال) .

٥ / ويزداد المؤمنون ايمانا (وسكينة) بتلاوة الكتاب (والتسليم لاياته النازلة) ، وعند القيام

لله (في مواجهة الطاغوت) وتوحيد الله سبحانه ، وبالبراءة من اعداء الله حتى لو كانوا اباءهم أوابناءهم او عشيرتهم .

فقه الآيات

١ / ينبغي للمؤمن ان يسعى نحو السكينة ، وزيادة الايمان ، وبالذات عند تراكم غيوم الشك والغفلة على قلبه ، وذلك بالنظر في ايات الله سبحانه ، وبالاستزادة من آيات تدبيره ، وبالضراعة الى الله ليزداد سكينة وايمانا .

٢ / وبتلاوة كتاب الله ، وادامة ذكره ، والقيام له ، والتسليم لما نزل في كتابه ، والقتال في سبيله ، بكل ذلك لابد ان نسعى لزيادة الايمان والسكينة ، وهكذا بالبراءة من اعداء الله .

٣ / ومن مصاديق السعي نحو السكينة الامور التالية :

الـف : كلمـا شـعرت بضـعف ايمانـك او ازديـاد وسـاوس الشـيطان فـي قلبـك ، فعليـك بتخصيص اوقات اضافية لتلاوة الكتاب ، ولذكر اللـه بالصـلاة والدعاء ، وبزيـارة القبور والاعتبار بالموتى ، والسير في اثار الغابرين في المتـاحف أوالمنـاطق الاثريـة والاتعـاظ بوضعهم ، وارتياد مجالس الوعظ ، والحضور عند العلماء الربانيين .

باء : ان مداهنة الطغاة ومجالسة الاغنياء ، وارتيـاد مجـالس اللهو والغنـاء ؛ ان كل ذلك يسـبب فـي ضـعف الايمـان ، وقلـة السكينـة . وعلينـا مقاومتـه بالقيـام ضـد الطـاغوت ، ومجالسـة المستضـعفين ، وارتيـاد جلسـات المجاهـدين ، والتواجـد فـي المسـاجد وزيـارة المراقد المشرفة .

جـيم : الانتمـاء الـى خـط جهـادي اصـيل فـي الامـة او تأييـده فـي مواجهـة الظـالمين ، والاستعداد للقيام ضد الجبابرة تحت راية اولياء اللـه المخلصين ؛ كل ذلك يساهم في سكينة النفس .

دال : قد يكون سبب الشكوك تراكم الذنوب ، فالاستغفار منها واصلاح النفس من اثارها ، يساهم في نزول السكينة بمشيئة اللـه تعالى .

٤ / اذا تعرض المؤمن لخطر جدي يجوز له ان يتقي الطغاة تقاة ، ويعطيهم بلسانه ما يخالفه ، شريطة ان يبقى مطمئنا بالايمان . فلا يسمح للشك بان يغزو قلبه ، بعد التظاهر بالكفر او بمخالفة الحق . ولذلك فانه ينبغي لمن يتقي ان يكون له من البرامج الخاصة ما يواجه به الشك ؛ فيتلو المزيد من الايات ، والذكر والزيارة والدعاء ، ويمتن علاقته السرية بالمؤمنين ، ويلعن في نفسه الطغاة والظالمين ويتبرء منهم .

في رحاب الاحاديث

١ / عن معلي بن خنيس ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : قال الله تبارك وتعالى : لو لم يكن في الارض الا مؤمن واحد ، لاستغنيت به عن جميع خلقي ، ولجعلت له من ايمانه انسا لا يحتاج الى احد . (١)

٢ / عن عبيد بن زرارة قال : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : ما من مؤمن الا

وقد جعل الله له من ايمانه انسا يسكن اليه ، حتى لو كان على قلة جبل لم يستوحش الى من خالفه . (٢)

٣ / يبين الامام ابو الحسن (عليه السلام) ان روح الايمان تحضر المؤمن عندما يحسن ، وتغيب عنه لدى اساءته . ونعرف من ذلك كيف يمكن للانسان السعي نحو زيادة ايمانه . يقول في ذلك ابي خديجة :

دخلت على ابي الحسن (عليه السلام) فقال لي : ان الله تبارك وتعالى أيد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي ، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي . فهي معه تهتز سرورا عند احسانه ، وتسيخ في الثرى عند اساءته . فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم انفسكم ، تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا . رحم الله امرءا هم بخير فعمله ، او هم بشر فارتدع عنه . ثم قال : نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له (٣) .

---

(١) الكافي / ج ٢ / ص ٢٤٥
(٢) موسوعة بحار لانوار ج ٦٤ / ص ١٤٨ – عن المحاسن ص ١٥٩
(٣) المصدر / ص ١٩٤

الاستقامة

الاستقامة على الصراط :

قيمة الاستقامة تتجلى عند المؤمن في نهجه الفكري وعقيدته القلبية ، فتكون الاستقامة حينئذ من قيم الهدى . كما تظهر في سلوكه وعمله ، فتكون من قيم الفلاح .

وهكذا نتحدث عنها هنا ثم نكرر الحديث - انشاء الله - عندما نستعرض قيم الفلاح . ويتكامل الحديث هنا وهناك ، لان روح الاستقامة واحدة ، والنهج القرآني يهتم بجوهر الصفات وروحها ، وليس بمظاهرها الخارجية .

وهكذا معرفة الصراط المستقيم واليقين به من قيم الهدى ، اما اتباعه ومخالفة كل سبيل اخر فإنهما من قيم الفلاح .

ومن ابعاد الاستقامة ؛ التحرز من التطرف والطغيان والغلو . فلا يستخف المؤمن عاطفته ، فيقول فيما يؤمن به بما يزيد عن الحق .

ومن ابعاد الاستقامة التحرز من النقيصة وترك العمل بجزء من الحق ، خشية الناس واتباعا لاهواءهم .

الاستقامة (لا طغيان ولا نقصان) :

١ / اما الاستقامة بلا طغيان ، ولا نقصان ، فقد قال الله تعالى عنها : { **فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** } (هود/١١٢)

٢ / وعن الغلو . قال الله تعالى : { **قُل يَآ أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ**} (المائدة/٧٧)

٣ / وكذلك لا يجوز اتباع اهواءهم (وترك بعض الحق خشية منهم) . وقال الله تعالى : { **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ** } (الشورى / ١٥)

وجاء في السنة الأمر بالطريقة الوسطى .

ألف : قال الامام علي (عليه السلام) : " نحن النمرقة الوسطى ، بها يلحق التالي ، واليها يرجع الغالي " . (١)

باء : وقال الامام علي (عليه السلام) : " هلك فيّ رجلان ؛ محب غال ، ومبغض قال" . (٢)

٤ : وقد وعد الله رسوله بان يعصمه من الناس ، عندما يبلغ رسالاته جميعاً . فقال الله سبحانه : **{ يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللـه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }** (المائدة / ٦٧)

٥ / ثم امره بان يتمسك بالوحي تمسكا قويا (ولا يتركه الى هوى او عاطفة) ، لانه على صراط مستقيم . (فلا تطرف ذات اليمين ، ولا ذات اليسار) . قال الله تعالى : **{ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }** (الزخرف/٤٣)

ما هو الصراط المستقيم ؟

١ / والصراط المستقيم يتمثل في عبادة الله وحده . (فعبادة الله هي الميزان الذي يعرف به الخط المستقيم عن السبل المتفرقة ، والعبادة تعني التسليم لما امر الله به بعيدا عن الاهواء) . قال الله تعالى : **{ إِنَّ اللـه رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}** (آل عمران/٥١)

٢ / وحين يعبد الناس اهواءهم يتفرقون . فكل يعبد عنصره او قومه او وطنه ، او يتبع مصالحه

وشهواته فيختلفون . اما اذا عبد الجميع ربهم ، فانهم يجتمعون على صراط الله المستقيم . قال

الله تعالى : **{ إِنَّ اللـه هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ }** (الزحرف/٦٤)

---

(١) نهج البلاغة / الحكمة ١٠٩

(٢) نهج البلاغة / الحكمة ١١٧

٣ / وقال الله تعالى : { **وَإِنَّ اللـه رَبـِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** } (مريم/٣٦)

٤ / وقال الله تعالى : { **وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** } (يس/٦١)

٥ / وقال الله تعالى : { **وَهذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً** } (الانعام / ١٢٦)

ويتمثل الصراط المستقيم في القيم الثابتة بالتسليم للوحي ، وفي المتغيرات باتباع الذي امر الله باتباعه .

٦ / وهكذا تكون الولاية الالهية محورا لوحدة الناس ، قال الله تعالى : { **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** } (الزخرف/٦١)

٧ / والامر باتباع السبيل المستقيم (الذي يحملنا الى مرضاة الرب) يتلازم والنهي عن اتباع السبل الاخرى . (ومن لا يرفضها كيف يمكنه ان يستقيم على الصراط ؟) والسبل الاخرى لن تصل الى الله ، بل تبعدنا عنه . قال الله تعالى : { **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** } (الانعام / ١٥٣)

بصائر الآيات

١ / الاستقامة نهج المؤمن في فكره . فلا يغلو ولا يطغى ، ولا يترك الحق اتباعا للهوى ، بل يتمسك بالوحي بلا زيادة او نقصان .

٢ / وبعبادة الله ، وابتغاء مرضاته ، يضمن المؤمن استقامته . وفي الثوابت تتجلى الاستقامة في قيم الوحي ، اما في المتغيرات فبالطاعة للرسول وللولي .

٣ / وتجنب سبل الهوى ، يوفر سبيل الاستقامة باذن الله .

فقه الآيات

١ / على المؤمن ان يستقيم على النهج الالهي ، وذلك باتباع ما امر اللـه بـه من دون تحريف

او غلو او بخس . وحتى لو ضل البعض عن الاستقامة فلا يأبـه ، لانـه يرجـى ان يتـوب الى السبيل القويم بعد فترة من الوقت .

٢ / لا يجوز الغلو في الدين ، ومعيار الغلو مجانبة الحق الذي نـزل بـه الوحي . والغلـو انحراف عن الاستقامة ، ويتحقق بما يلي :

الف : الاعتقاد بان في الرسل والائمة جزء من الالوهية .

باء : اضافة محرمات الى الدين دون ان يثبت ذلك بدليل قاطع .

جيم : اضافة واجبات الى الشرع بغير علم .

دال : تقديس جيل من النـاس (كالجيل الاول) ، او قوم (كـالعرب) ، او زمن (كيوم الاربعاء من آخر السنة) من دون دليل شرعي .

٣ / وكما لا يجوز الغلو والطغيان فـي الدين ، فكذلك لا يجوز تـرك جانـب من الـدين ، فانه ضد الاستقامة :

الف : مثلا من قال بانـه لا علاقة للدين بالسياسـة او بالاقتصـاد او بـادارة المجتمـع ، فقد انحرف عن الاستقامة .

باء : من كان عدوا لاحد من الملائكة او الرسل او الائمـة الهداة (عليهم جميعـا صـلوات اللـه) ، اءو عادى آية من كتاب اللـه ، او نصا ثابتا واردا من رسول اللـه ، فقد انحرف عن سبيل الاستقامة .

٤ / على الامة ان تجعل الاستقامة على صراط اللـه المستقيم محور وحدتها ، وذلك :

الـف : بحـذف كل القيـم غيـر الالهيـة من قـاموس المجتمـع ؛ مثـل العنصـرية والقوميـة والطائفية والحميات الجاهلية ، وعبادة اللـه وحده .

باء : باتباع أولي الامر الشرعيين فيما يختلف فيه الناس .

في رحاب الاحاديث

عن بريد العجلي ، عن ابي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى : **{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ }** قال : اتدري ما يعني بصراطي مستقيما ؟ قلت : لا . قال : ولاية علي والاوصياء . قال : اتدري ما يعني (فاتبعوه) ؟ قلت لا . قال : يعني علي بن ابي طالب (صلوات الله عليه) . قال : وتدري ما يعني (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ؟ قلت : لا . قال : ولاية فلان وفلان . قال : وتدري ما يعني (فتفرق بكم عن سبيله) ؟ قلت : لا. قال : يعني سبيل علي (عليه السلام) . (١)

(١) تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٧٧٨

الصـبر

الصبر من عناصر الايمان :

في حديث شريف عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : " الصبر من الايمان كالرأسمن الجسد ؛ فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان " (١) .

وفي حديث اخر اعتبر الامام امير المؤمنين (عليه السلام) الصبر اول دعائم الايمان ، وفصله في الشوق والشفق والزهد والترقب . فما هو هذا الصبر ؟

ان روح الصبر واحدة ، ولكنها تتجلى حينا في العقيدة فتصبح قيمة معنوية ، وتلحق بقيم الهدى، . وقد تتجلى في السلوك ، فتصبح قيمة عملية ، وتلحق بقيم الفلاح تماما كما الاستقامة . وحديثنا هنا عن القسم الاول :

الف : الصبر ابتغاء مرضاة اللـه

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٨ / ص ٨١

اما الصبر كعنصر من عناصر الايمان ، فحقيقته الغاء الزمن الذي يفصل بينك وبين الحقائق الواقعة في المستقبل . فالشوق الى الجنة صبر ، والشفقة من النار صبر ، والزهد في الدنيا العاجلة رغبة في الحياة الاخرة صبر ، وترقب الموت الذي تدخل منه الى رحاب الحياة الابدية صبر . وجاء في الحديث المأثور عن الامام الباقر (عليه السلام) قال : " من صبر واسترجع و حمد الله عند المصيبة ، فقد رضي بما صنع الله ، ووقع اجره على . الله ومن لم يفعل ذلك ، جرى عليه القضاء وهو ذميم ، واحبط الله اجره ". (١)

١/ لان الصبر يعتمد على الغاء الزمن ، والثقة التامة بالمستقبل ، فان المؤمن ينظر الى ثواب الله فيصبر . قال الله تعالى : { **وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ** } (الرعد/٢٢)

٢/ وهكذا كلما ازداد ايمان الانسان بالثواب ، كلما ازداد صبرا . قال الله تعالى : { **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللـه لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** } (هود/١١٥)

٣ / ولذلك فان اهل العلم يتواصون بالصبر، طلبا لثواب الله تعالى . قال الله تعالى : { **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللـه خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الصَّابِرُونَ** } (القصص /٨٠)

باء : الصبر انتظار للفرج

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال : " بالصبر يتوقع الفرج ، ومن يدمن قرع الباب يلج ". (٢)

---

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٨ / ص ٩٦ / ح ٦٣
(٢) مستدرك سفينة البحار / ج ٦ / ص ١٤٥

١ / الـذين يعلمـون ان الحاكميـة لله ، وانـه العزيـز الحكيم ، وانـه الحكـم العـدل ؛ فـانهم يصبرون ، لان عاقبة امرهم الى اللـه ، ويعلمون انه سبحانه احكم الحاكمين . قال اللـه تعالى : { **فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللـه بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُالْحَاكِمِينَ** } (الاعراف/٨٧)

٢ / وهكذا يصبرون لعلمهم بان وعد اللـه حق ، وانه لن يخلف وعده . قال الله تعالى : { **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللـه حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَيُوقِنُونَ** } (الروم/٦٠)

٣ / وقال اللـه تعالى : { **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللـه حَقٌّ** } (غافر/٧٧)

٤ / وعلة صبرهم علمهم بأن العاقبة ستكون لمن اتقى ربه . قال اللـه تعالى : { **فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** } (هود/٤٩)

٥ / والارض لله ، وهو يورثها لمن يشاء من عباده فلماذا الجزع ؟

قال اللـه تعالى : { **قَالَ مُوسَى لِقَوْمِـهِ اسْتَعِينُوا بِاللـه وَاصْبِرُوا إِنَّ الاَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** } (الاعراف/١٢٨)

جيم : ونراه قريبا

الصابر يرى المستقبل قريبا ، بينما الجازع لا يراه الا بعيدا . قال اللـه عز وجل : { **فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً** } (المعارج/٥-٧)

وهكذا رؤية المؤمنين لوعد اللـه الذي ينجز ويتحقق ، بأنه امر قريب ، تجعلهم يصبرون صبرا جميلا (لا جزع فيه ولا تأوه ولا شكاية الى أحد) .

دال : الصبر بصيرة

ولان الصابر يلغي الزمن ، فانه يستقبل آيات الحقائق ببصيرة نافذة ، ويستعد لها بعمل دائب .

١ / قال اللـه تعالى : { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللـه إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** } (لبراهيم/٥)

فالايـات تتلـى علـى مسـامع النـاس جميعـا ، ولكـن مـن يفقههـا وينتفـع بهـا ؟ انمـا هـم الصابرون ، لانهم وحدهم الذين يخرقون حجاب الحاضر لرؤية المستقبل ، حيث ايام اللـه التي يتحقق فيها وعده .

٢ / ونعم اللـه في الخليقة ، هي الاخرى آيات لكل صبار شكور . فهم الذين يتجـاوزون اللحظة الزمانية الحاضرة الى افق المستقبل ، كما انهم لا ينظرون الـى النعم وحدها ، بل الى الذي انعم بها عليهم ، ولم انعم ؟ وكيف يحافظون عليها بالشكر ؟

قال اللـه تعالى : **{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللـه لِيُرِيَكُم مِنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }** (لقمان/٣١)

٣ / والصابر الشاكر لا يبصر ظاهر الحوادث فقط ، بل إنه ينفذ الى ما وراءها من سنن ، ومـن تلـك السـنن يهتـدي الـى خـالق السموات والارض ومـدبرهما . فـاذا ركـب سـفينة جارية في البحر كأنها جبل اشم ، يفكر كيف علم اللـه البشر صنع هذه السفينة ، وكيف سخر الريح لتسييرها .. قال اللـه تعالى : **{ وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالاَعْلاَمِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }** (الشورى/٣٢-٣٣)

٤ / وفي سنن الماضين عبرة للصابرين ، لانهم ينفذون ببصائرهم الى عمق التاريخ . فلا يمنعهم بعد الزمان عن الانتفاع بدروس الحياة الماضية ، ولماذا هلك من هلك من الامم الغابرة .

لماذا هلك - مثلا - قوم سبأ ؟ لانهم لم يشكروا النعم ، بل ظلموا انفسهم حين دعوا اللـه بأن يباعد بين اسفارهم . فمزقهم اللـه (حتى ذهبت حياتهم مثلا ، فقالت العرب : تفرقوا ايدي سبأ) . فقال اللـه تعالى : **{ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ءَامِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }** (سبأ/١٨-١٩)

٥ / والصابر الشكور يغور في بحر المجتمع ليعرف السنن (القوانين) الاجتماعية التي تسود الحياة البشرية ،. ومنها ان الانسان جبل على حب المحسن اليه . يقول اللـه تعالى :

{ وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } (فصلت/٣٤-٣٥)

هاء : الصبر زهد وترقب

١ / حين يقارن العقل بين الدنيا والاخرة ، فانه سيختار الحياة الفضلى والباقية **{ وَالأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى }** (الاعلى /١٧) . وهكذا الصابر يزهد في الدنيا ، ويختار العقبى عليها ، لانها باقية دون هذه . يقول الله تعالى : **{ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُو يَعْمَلُونَ }** (النحل/٩٦)

٢ / ونظرة الصابر الى نفسه مختلفة اساسا من نظرة الاخرين . فهو لا يملك نفسه ، ولا يملك شيئا خولت اليه صلاحية التصرف فيه ، وهو لا يبقى خالدا في الدنيا . من هنا فاذا فقد شيئا

هانت عليه المصيبة ، وصبر عليها لسببين :

اولا : لانه لم يكن اساسا يملك ذلك الشيء ملكا حقيقيا . فانه لا يملك حتى نفسه ، فكيف يملك شيئا ملكا حقيقيا (وهذا احد معاني قول المؤمن عند المصيبة (إنا لله) .

ثانيا : لانه لا يبقى في هذه الحياة طويلا ، فاذا فقد عزيزا ، عرف انه لاحق به عاجلا أم اجلاً . (وهذا معنى قوله : وانا اليه راجعون) . وهكذا يصبح ترقب الموت سببا لهون المصيبات عليه . قال الله تعالى : **{ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }** (البقرة/١٥٥-١٥٦)

وهكذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ان قولنا " إنا لله " إقرار على انفسنا بالملك ، وقولنا " وإنا اليه راجعون " اقرار على انفسنا بالهلك . (١)

بصائر الآيات

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٨ / ص ٧٩

١ / الصبر من دعائم الايمان ، (وبه يلغي المؤمن الزمن بينه وبين الحقائق الاتية) . والمؤمن يتطلع الى ثواب الله فيصبر ، ويتواصى العلماء بالصبر ، لان ثواب الله خير من زينة الحياة .

٢ / ويأمل المؤمنون الفرج من الله فيصبرون (على المكاره) ، ولانهم يعلمون ان وعد الله حق ، فلا يثيرهم استعجال من لا يوقن . ويقينهم بان الله يورث العاقبة لمن اتقى ، يدعوهم الى الصبر بالاستعانة بالله سبحانه .

٣ / ويرى المؤمن المستقبل قريبا فيصبر صبرا جميلا ، (أليس الحق واضح امامه ؟) ، ولذلك فانه يستوعب آيات الاخرة (ويخترق حجاب الزمن الذي يفصله عنه) . كذلك سائر آيات الله في الخليقة يستوعبها الصابرون بوعي ، وفي سنن الاولين وما اصابهم من دمار بكفرهم آيات يعيها الصابرون ، وهكذا سنن الله في المجتمع يفقهها الصابرون (افضل من غيرهم) .

٤ / وبالمقارنة بين الدنيا والاخرة لا يختار الصابرون على الاخرة شيئا ، ويزيدهم وعيهم هذا
يقينا . فاذا اصابتهم مصيبة استعانوا بهذا الوعي ، وقالوا : " إنا لله وإنا اليه راجعون " فاطمأنت نفوسهم .

فقه الآيات

١ / على المؤمن ان يستحضر - في وعيه - الحقائق التي تأتي مستقبلا فيزداد شوقا الى ثواب الله وشفقة من عذابه ، وزهدا في دنيا تفنى ، وترقبا لحياة تبقى . وبذلك ترتفع الحجب التي تستر عنه آيات الحق ، وهكذا يبلغ درجات من الايمان سامية ، ويصبح كما يريد الله سبحانه في الموارد التالية :

الف : يصبر عند المصائب ، ويتذكر ان الدنيا ليست النهاية ، وانما البشر هو لله ، ويعود الى ربه عاجلا ام اجلا ، ويسترجع بكلمة الصبر ، انا لله وانا اليه راجعون .

باء : يصبر على اغراء الدنيا . فإذا رأيت اهل الغنى فلا تغرك حياتهم ، ولا يستخفنك مالديهم من زينة ، فتترك بعض القيم من اجلها ، بل قل : ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا . فاجتهد في الله .

جيم : واذا فاتك من مناصب الدنيا نصيب (ولم تدرك النصر او الفتح) ، فاصبر . فإن الله لا يضيع اجر المحسنين ، وليكن صبرك ابتغاء وجه ربك .

دال : كما تصبر انت فأوصي اخوانك بالصبر .

٢ / من اعظم الصبر اجرا ، الصبر على اذى الطغاة والظلمة . وعلى المؤمن ان يتطلع الى يوم الفتح ، ولا يعيش في حاضر المآسي فيستبد به القنوط . وفيما يلي تفصيل القول :

الف : الصبر في المواجهة حتى يحكم الله ، وعدم التنازل للاعداء .

باء : على القيادة الرسالية ألاّ تستشير الجبناء والضعفاء ، الذين لا يعتنون بنصر الله . فلا تسمع كلامهم في التراجع عن القيم الالهية .

جيم : على المؤمن ألاّ يشك في صدق وعد الله له بالنصر ، حتى ولو كانت الظروف المحيطة به صعبة .

دال : وليكن المؤمن مستعينا بعد الله بالتقوى ، حتى لا يضره مكر اعداء الدين .

٣ / حين تنظر الى نعم الله سبحانه ؛ استوعبها شكرا ، حتى اذا اصابك مكروه كنت قادرا على استيعابه ايضا .

٤ / اذا زوي عنك شيء من نصيب الدنيا ، فلا تحزن ؛ لان ثواب الله خير ، والله يجزي الصابرين بأحسن ما كانوا يعملون . ومن هنا فإن اصابك مكروه في الدنيا او مصيبة فارجع الى يقينك بالله سبحانه وبالاخرة ، واقر على نفسك بانك مملوك ولست بمالك . وانما خرج من صلاحيتك شيء بحكمة الله ، وانت - بدورك - هالك وتلحق الهالكين . فعليك بالصبر ، واياك والجزع .

سعة الصدر

١ / اذا شرح الله صدر الانسان للاسلام والتصديق بالحق ، فانه يمضي في طريق الهدى . قال الله تعالى : { **فَمَن يُرِدِ اللـه أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَدُ فِي السَّمَآءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللـه الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ** } (الانعام/١٢٥)

وهنا تصبح المفارقة واضحة ؛ بين قلب المؤمن ، وقلب الكافر . فالمؤمن يستقبل الحقيقة بانشراح ، ويسلم لها باطمئنان . بينما يضيق قلب الكافر بالحقيقة ، ويصاب بالحرج . أرأيت الذي يغتصب على صعود السماء كيف يضيق نفسه ، ويعتصر قلبه ؟ كذلك الكافر اذا عرض عليه الحق .

ألف : عن حمدان بن سليمان النيسابوري قال : سألت ابا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : { **فَمَن يُرِدِ اللـه أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً**} قال : من يرد الله ان يهديه بايمانه في الدنيا الى جنته ، ودار كرامته في الاخرة ، يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون الى ما وعده من ثوابه ، حتى يطمئن اليه . ومن يرد ان يضله عن جنته ودار كرامته في الاخرة لكفره وعصيانه له في الدنيا ، يجعل صدره ضيقا حرجا ، حتى يشك في كفره ، ويضطرب من اعتقاده قلبه ، حتى يصير كأنما

يصعد في السماء . { **كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللـه الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ** } (١)

باء : لما نزلت هذه الآية (الانعام / ١٢٥) سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن شرح الصدر ما هو ؟ فقال : نور يقذفه الله في قلب المؤمن ، يشرح له صدره وينفسح . قالوا : فهل لذلك امارة يعرف بها ؟ قال (صلى الله عليه وآله) : نعم ؛ الانابة الى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت . (٢)

---

(١) تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٧٦٥
(٢) المصدر / ص ٧٦٧

٢ / وهكذا يدعو المؤمن ربه ان يشرح صدره ، (ويوسعه لاستقبال الحق ، والتسليم لـه وما يوجبه هذا التسليم من البلاغ والاداء) . قال اللـه تعالى حكاية عن النبـي موسـى (عليـه السلام) حين حمله الرسالة الى فرعون : **{ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي }** (طه/٢٥)

ولما شرح اللـه صدر الرسول ، حمله رسالته العظيمة . وقال اللـه تعالى : **{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }** (الشرح/١)

ومن شرح اللـه له صدره ، أوتي نور اللـه (هدى اللـه) . بينمـا الـذي قسـى قلبـه ، (ولـم يستقبل الحق ولم ينفتح عليه) ، كان له الويل . قال اللـه تعالى : **{ أَفَمَن شَرَحَ اللـه صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكْرِ اللـه أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِين }** (الزمر/٢٢)

من هذه الاية نستوحي ان القلب الذي شرحه اللـه يخشع لذكر اللـه ، ويخشـع للحـق الـذي من عنده ، ولا تحجبه العصبية او الحمية عن قبول الحق . وهذا احد ابعاد شرح الصدر .

بصائر الآيات

يستقبل المؤمن الحق بشرح الصدر ، بينمـا لا ينفتح القلب القاسـي علـى نـور الهدى ، ويـدعو المـؤمن ربـه ان يشـرح صـدره (كلمـا حمـل رسـالة) ، والخشـية ميـراث شـرح الصدر .

فقه الآيات

١ / القلب وعاء ، وخير القلوب اوعاها . وينبغي للمؤمن ان يتطلع نحو سعة الصـدر ، وانشراح القلب ، حتـى يستقبل نـور اللــه ، ويخشـع لـذكره ، ويتحمـل امانتـه ، ولا يضـيق بأذى الكفار والمنافقين عند ابلاغ الدعوة ، والتصدي للقيادة .

٢ / ولان قسوة القلب تتنافى وسعة الصدر وانشراحه ، فان على المؤمن ان يحذر تلك القسوة التي تصيب القلب من الغفلة ، والذنب ، واكل الحرام ، وما اشبه .

اليقيــن

ما هو اليقين ؟

أرأيت الذي كان يكذب بالقيامة ؛ ارأيت حين يبعث من قبره فيرى اهوالها بأم عينيه ، ويتحسس بها بكل جوارحه ؟ كيف لا يبقى لديه ادنى شك بحقيقة يوم الدين ؟ كذلك اليقين ، انه العلم الذي لا ريب فيه ، وشهود آفاق الحقيقة والتسليم لها دعنا نقرء معا الايات التي جاءت فيها كلمة اليقين ، لنعرف ابعاد معناها .

١ / قال اللـه تعالى : **{ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ }** (المدثر/٤٦-٤٧) كان تكذيبهم بيوم الدين مستمرا ، حتى شهدوه ووجدوه حاضرا عندهم .

٢ / وحين يعبد المؤمنون ربهم عبادة خالصة ، تتساقط عن افئدتهم حجب الشهوات والغفلة والشكوك ، فيصلون الى درجة اليقين . قال اللـه تعالى : **{ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ }** (الحجر/٩٩)

(اليقين هنا قد يكون الموت ، حيث تجد كل نفس حقائق الدين ، او درجة الشهود العيني للحقائق او ما يشملهما) .

٣ / وكذلك الجحيم لمن كذب بها في الدنيا ، ثم رآها واصطلى بنارها ، واحاط به عذابها . هناك علم بها علم اليقين ، بل اندمج معها حتى كانت له عين اليقين . قال اللـه تعالى : **{ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ }** (التكاثر/٥-٧)

٤ / قال اللـه تعالى : **{ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ }** (الواقعة/٩٢-٩٥)

٥ / ومثل اخر لليقين من قصة الطير ، حين ذهب (الهدهد) الى سبأ ، ووجد ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس . فلما عاد الى سليمان ، عاد بنبأ يقين ، لانه شاهده بنفسه . قال

اللـه تعالى : { **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** } (النمل/٢٢)

٦ / هذا عن اليقين ، اما عن خلاف اليقين (عدم اليقين) فله امثلة شتى ابرزها ؛ عدم ايمان الناس بآيات اللـه . قال اللـه تعالى : { **وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ** } (النمل/٨٢)

٧ / (أرأيت الاعمى كيف لا يبصر النور الباهر ؟ كذلك الذي حرم اليقين . ، يحرم من التسليم بأوضح الحقائق) فمن خلقهم ؟ ومن خلق السموات والارض ؟ هل هم خلقوا انفسهم ، ام انهم خلقوا من غير شيء ، ام ماذا ؟ لا تفسير لانكارهم ، الا عدم وجود يقين عندهم . قال اللـه تعالى : { **أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ** } (الطورِ/٣٦)

٨ / (والتصورات المعتمدة على الخيال ، هي التي تملأ قلوبهم بدل اليقين . فلذلك) نعرف اليقين بما يقابله من الظن . قال اللـه تعالى : { **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللـه حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** } (الجاثية /٣٢)

٩ / (وصاحب اليقين مطمئن النفس ثابت الرأي ، بينما المحروم منه ابن الهوى والشهوات يميل مع كل ريح . ولذلك) نهى اللـه نبيه من الاستماع الى الذين لا يوقنون (واتباع اهواءهم)، فقال اللـه تعالى : { **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللـه حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَيُوقِنُونَ** } (الروم/٦٠)

١٠ / ومثل اخر لخلاف اليقين نجده عند بني اسرائيل ، الذين اتبعوا الظن فزعموا انهم قتلوا عيسى بن مريم . قال اللـه تعالى : { **مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً** } (النساء/١٥٧)

وفي السنة الشريفة فسر اليقين بالمعاينة ، حيث جاء في الرواية المأثورة عن الامام

الصادق (عليه السلام) انه قال في قول الله : { **كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** } (التكاثر/٥) قال المعاينة . (١)

واعتبر اليقين غنى ، حيث روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال : كفى باليقين غنى ، وبالعبادة شغلا . (٢)

كما انه الدرجة السامية بعد الاسلام والايمان والتقوى ، حيث قال الامام ابو الحسن (عليه السلام) : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة . وما قسم في الناس شيء اقل من اليقين . (٣)

ولانه عزيز ، فإنه خطرات على القلب (حين يشاهد القلب الحقائق معانيه) . وهكذا روي : كفى باليقين غنى وبالعبادة شغلا ، وان الايمان بالقلب ، واليقين خطرات . (٤)

وتتجلى حقيقة اليقين عند المؤمن بالتوكل على الله والتسليم له . ففي رواية مأثورة عن الامام الباقر (عليه السلام) انه قال :

قلت : فأي شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله ، والتسليم لله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض الى الله .(٥)

وقد فسر التوكل - بدوره - باليقين في حديث مروي عن الامام الصادق (عليه السلام ، حيث قال : ليس شيء إلا وله حد . قال قلت : جعلت فداك فما حد التوكل ؟ قال : اليقين . قلت : فما حد اليقين ؟ قال : ان لا تخاف مع الله شيئا . (٦)

وهكذا فان الكنز الذي اخبر عنه القرآن في قصة النبي موسى (عليه السلام) مع العالم ، كان بضع كلمات من الحكمة ، وكان محتواها اليقين . هكذا أنبأنا الامام الصادق (عليه السلام) في تفسير قول الله عز وجل { **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا** } (الكهف/٨٢) فقال : اما إنه ما كان ذهبا ولا فضة ، وإنما كان

---

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٧ / ص ١٧٦
(٢) المصدر / ص ١٧٦
(٣) المصدر / ص ١٣٦
(٤) المصدر / ص ١٧٨ عن فقه الرضا (ع)
(٥) المصدر / ص ١٣٨
(٦) المصدر / ص ١٤٣

اربع كلمات : لا إلـه إلا أنـا ، من ايقن بـالموت لـم يضـحك سنه ، ومن ايقن بالحسـاب لـم يفرح قلبه ، ومن ايقن بالقدر لم يخش إلا اللـه . (١)

إن مـن ايقـن بـالحق وعـرف ان الآخـرة بمـا تعنـي مـن مـوت وحسـاب لاريـب فيهـا ، يستوعب قلبه همها ، فلا يضحك بملأ فيه ، ولا يفرح بما يملك . كما ان من ايقن بقدر اللـه وقضاءه يعلم ان الأجل يحرسه ، ولا مناص له من قضاء اللـه النازل به ، فلا يخشى أحدا .

ومن هنا ترى الامام أمير المؤمنين يقول لقنبر مولاه حين خرج معه يحرسـه : " ويحك أمن أهل السماء تحرسني او من أهل الأرض ؟ فقال : لا ، بل من أهل الأرض . فقـال : ان اهل الأرض لايستطيعون لي شيئا ، إلا باذن اللـه من السماء " . (٢)

وإذا أردت ان تنظر الـى اليقين كيف يتجلى في سلوك الانسان . فتعال نستمع الـى هذه الرواية ، التي ينقلها الامام الصادق (عليه السلام) ، حيث يقول : إن رسول اللـه (صلى اللـه عليه وآلـه) صلى بالناس الصبح فنظر الـى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرا لونه ، قد نحف جسمه ، وغارت عيناه في رأسه . فقال رسول اللـه : كيف اصبحت يا فلان ؟ قال : اصبحت يا رسول اللـه موقنا . فعجب رسول اللـه من قولـه . وقال له : إن لكل يقين حقيقة ، فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إن يقيني يا رسول اللـه هو الذي أحزنني ، واسهر ليلي ، وأظمأ هواجري . فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر الى عرش ربي وقد نصب للحساب ، وحشر الخلائق لذلك وانا فيهم ، وكأني أنظر الى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الأرائك متكون ، وكأني أنظر الـى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون . وكأني الآن اسمع زفير النار يدور في مسامعي .

فقال رسول اللـه : هذا عبد نور اللـه قلبه بالايمـان . ثم قال لـه : ألزم ما انت عليـه . فقال

---

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٧ / ص ١٥٢
(٢) المصدر / ص ١٥٨ .

الشاب : ادع الله لي يا رسول الله ان ارزق الشهادة معك . فدعا له رسول الله ، فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبي فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر . (١)

هذا هو اليقين ، وهو درجات تتسامى حتى تبلغ بصاحبه مستوى يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . كما قال الامام امير المؤمنين (عليه السلام) . رزقنا الله اليقين ودرجاته ، آمين .

بين اليقين ودرجات الكمال :

لان اليقين درجة متقدمة عن الاسلام والايمان والتقوى ، فان المتقين يحظون بنصيب منه .

١ / فالقرآن هدى للمتقين ، الذين يتصفون بجملة صفات سامية منها (بل أصلها) يقينهم بالاخرة ، حيث يقول ربنا تعالى : { **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** } (البقرة/٤)

٢ / كما ان للمؤمنين نصيبا من اليقين . قال تعالى : { **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** } (النمل/٣)

(ونستوحي من جملة الايات ان سائر صفات الحسن والكمال ناشئة من اليقين ، وان تسامي الانسان فيها يتصل بمدى يقينه) .

بين الصبر واليقين :

متى يتجلى يقين المؤمن ؟ عند المصائب والفتن . فكلما تسامى في درجات اليقين ، كلما ازداد صبرا عند الشدائد .

١ / لقد دعا النبي موسى فرعون وقومه الى الله سبحانه ، فلما سأله فرعون عن رب العالمين الذي يدعوه اليه ، أجابه بأنه رب السموات والأرض وما بينهما . واضاف : "

---

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٧ / ص ١٥٩ .

إن كنتم موقنين " . ولم يستجب من اولئك القوم لدعوة موسى ، إلا السحرة بعد ان رأوا آية العصى ، فبلغوا درجة اليقين فصبروا على عذاب فرعون الشديد لما عرفوا من الحق . فقال الله تعالى : { **قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لاَ ضَيْرَ إِنَّآ إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ** } (الشعراء/٤٩-٥٠)

٢ / ومن فقد اليقين انهار في مواجهة الشدائد . فاذا أصيب في الله بأذى لم يتذكر عذاب الله الذي أعد للمشركين ، فاتبع الطغاة خشية منهم او طمعا . قال الله تعالى : { **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ** } (العنكبوت/١٠)

٣ / ومن هنا كان الصبر واليقين معا ، وهكذا تجد المؤمنين يسألون ربهم بأن يهب لهم من اليقين ما يهون به عليهم مصيبات الدنيا . ذلك انهم علموا يقينا ان قدر الله كائن . ولقد وجاء في حديث مأثور عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال : " لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان ما اخطأه لم يكن ليصيبه ، وان الضار النافع هو الله عز وجل " . (١)

ويروي سعيد بن قيس الهمداني قائلاً : نظرت يوما في الحرب الى رجل عليه ثوبان (٢) ، فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقلت : يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع ؟! فقال نعم يا سعيد بن قيس ؛ إنه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية . معه ملكان يحفظانه من ان يسقط من رأس جبل او يقع في بئر ، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء . (٣)

كيف نبلغ اليقين ؟

---

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٧ / ص ١٥٤
(٢) اي من دون لامة الحرب المعهودة
(٣) المصدر / ص١٥٤

بعد ان يتسنم الانسان درجات الاسلام والايمان والتقوى ، ويتجاوز العقبات التي تعترض
طريق كل درجة من هذه الدرجات المتسامية ، يوفق باذن الله لبلوغ درجات اليقين .
وهكذا نعرف ان ما تمنع المعرفة من حجب فكرية وعملية هي الأخرى تمنع اليقين ، كما ان وسائل المعرفة (النظرية والعملية) هي وسائل اليقين ايضا .

ونستوحي من آيات اليقين في القرآن عدة بصائر ، جديدة لكيفية الوصول الى درجات اليقين ، وهي التالية :

الف : في البدء يجب ان نتحدى سلطان الجبت والطاغوت ، كما فعل إبراهيم (عليه السلام) حين تبرء من أبيه وقومه وما يعبدون من دون الله ، فأراه الله ملكوت السماوات والأرض ليكون من الموقنين (الانعام / ٧٥) .

باء : النظر في آيات الله المخلوقة في النفس البشرية وفي الآفاق (الذاريات / ٢٠ - ٢١) والنظر في كل ما في السموات والأرض وما بينهما (الدخان / ٧) ، وبالذات فيما بث في الأرض من دابة (من سائر الأحياء) (الجاثية / ٤) .

جيم : النظر (والتأمل) في آيات الله النازلة في القرآن الكريم . فالقرآن هدى ورحمة لمن ايقن (الجاثية / ٢٠) . فالله سبحانه قد بين الآيات لقوم يوقنون (البقرة / ١١٨) ، وهو يفصل الآيات لتكون وسيلة لليقين (الرعد / ٢) . ومن تدبر في آيات الله واحكام شريعته ايقن انها أحسن حكما (المائدة / ٥٠) . وفي آيات القرآن دلالة على صدقها ، كما ايقن اهل الكتاب بصدق القرآن عند بيان عدة ملائكة اصحاب النار (المدثر / ٣١) .

دال : العبادة هي الأخرى وسيلة بلوغ اليقين ، حيث جعل القرآن اليقين هدف العبادة (الحجر/٩٩) .

هاء : وعلى الانسان ان يسعى لتحصيل اليقين ؛ وذلك بالدعاء الخالص الى الله سبحانه كما فعل ابراهيم (عليه السلام) حينما طلب من الله سبحانه ان يريه كيف يحيي الموتى (البقرة/٢٦٠) ، وكما طلب المؤمنون من النبي عيسى بأن ينزل الله عليهم مائدة من

السماء ليزدادوا ايمانا . (المائدة /١١٢ - ١١٣) ، وكما أرى اللـه سبحانـه عزير كيف يتم احيـاء الموتى (البقرة /٢٥٩) .

وهكذا كان الامام علي بن الحسين (عليهما السلام) يطيـل القعود بعد المغرب ، يسـأل اللـه

اليقين . (١)

واليقين يجعل القلب يستقبل آيات الحقائق وشواهدها وأدلتها بانفتاح ، ولذلك فهو ينتفع بها من دون القلب المحروم من اليقين .

١ / ففي خلقة البشر ، وخلقة سائر المخلوقات آيات (عظيمـة) ، ولكن القلب الموقن هو الذي ينتفع بها ، قال اللـه تعـالى : { **وَفِـي خَلْقِكُمْ وَمَـا يَبُثُّ مِن دَآبَّـةٍ ءَايَـاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُـونَ** } (الجاثية/٤)

٢ / وهكذا آيـات اللـه فـي الخليقـة ، كمـا آيـات اللـه فـي نفس البشر تنفع الموقنين (لان قلوبهم مستعدة لقبول الحق) . قـال اللـه تعـالى : { **وَفِـي الأَرْضِ ءَايَـاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِـي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ** } (الذاريات/٢٠-٢١)

٣ / وكما آيات الفطرة كذلك آيـات الـوحي (التـي تعكسـها) ، انمـا تنفـع الموقنين . فـالقرآن بصـائر وهدى ورحمة .. (فهو رؤية ومنهج للتفكير ، وهو هدى وعرفان للحقائق ، وهو رحمـة وبركـة ونعمـة لهم) . قـال اللـه تعـالى : { **هَذَا بَصَـآئِرُ لِلنَّـاسِ وَهُدًى وَرَحْمَـةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** } (الجاثية/٢٠)

٤ / والموقنون يفقهون حقائق الحياة . وكذلك فهم لا يجادلون في مسائل غريبة ، كما يفعل الجاهلون الذين يقولون : لولا يكلمنا اللـه .(ولا يعلمون ان اللـه اعلم حيث يجعل رسالته) ، او يطالبون بآيات خاصـة (ولا يفقهون ان المشكلة فيهم لا فـي الايـات) . وقـال اللـه تعـالى : { **وَقَـالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللـه أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** } (البقرة/١١٨)

---

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٧ / ص ١٧٦

٥ / وهدف القرآن في بيان آيات الله ، تسامي المؤمنين الى درجة اليقين بلقاء الله . قال الله تعالى : { **يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ** } (الرعد/٢)

٦ /وحيث رفض ابراهيم الخليل ما كان يعبد قومه وتحداهم ، أراه الله ملكوته ليصبح من الموقنين ، (فكفر بعبادة الكوكب والقمر والشمس ، واستغاث بالله ليهديه . فهداه ورزقه اليقين) . قال الله تعالى : { **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**} (الانعام/٧٥)

٧ / والموقون يفقهون ابعاد حكم الله ، ويبصرون جماله وحسنه . (بينما الاخرون لا يفرقون بين حكم الله ، وحكم الطاغوت) . قال الله تعالى : {**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** } (المائدة/٥٠)

٨ / ولما علم موسى بن عمران (عليه السلام) ان اعظم الايات لا تنفع غير الموقن ، قال لفرعون الذي سأله من رب العالمين ؟ : { **قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُوقِنِينَ** } (الشعراء/٢٤)

٩ / وحين بين ربنا حكمة عدد ملائكة النار ، جعل يقين اهل الكتاب (وزيادة ايمان المؤمنين) من تلك الحكمة ، فقال تعالى : { **وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلآئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ** } (المدثر/٣١)

١٠ / وقد سعى النبي ابراهيم الى بلوغ درجات اليقين ، حين دعا ربه ان يريه كيف يحيى الله الموتى . فأراه فازداد سكينة واطمئناناً . قال ربنا تعالى : { **وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ وعَزِيزٌ حَكِيمٌ** } (البقرة/٢٦٠)

١١ / كما ان المؤمنين سألوا ربهم عبر النبي عيسى (عليه السلام) بأن ينزل الله عليه مائدة لتطمئن قلوبهم . وقال الله تعالى : { **إِذْ قَالَ الْحَوارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ**

يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمآءِ قَالَ اتَّقُوا اللـه إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ } (المائدة/١١٢-١١٣)

عقبى اليقين :

١/ اليقين والصبر هما ركنا الأمانة ، والصبر ميراث اليقين . وقد امتحن اللـه تعالى نبيه ابراهيم (عليه السلام) بكلمات ، ثم جعله للناس اماما . قال اللـه تعالى : **{ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ }** (البقرة/١٢٤)

٢/ وقال تعالى : **{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** (السجدة /٢٤)

وقد سبق ان اليقين ذروة درجات السمو ، وانه اعز شيء ، واقل ما قسم بين العباد ، وانه لاغنى كاليقين . وجاء في حديث مأثور عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : " ان العمل الدائم القليل على اليقين افضل عند اللـه من العمل الكثير على غير يقين ". (١)

وقد سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلا من الحرورية يتهجد ، فقال : نوم على يقين خير من صلاة في شك " . (٢)

وهكذا اليقين معيار تسامي طاعات الفرد في الاخرة . اما في الدنيا فإنه يورث الروح والراحة ، حيث جاء في حديث مأثور عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : " ان اللـه بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ". (٣)

---

(١) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٧ / ص ١٤٧
(٢) المصدر / ص ١٨١
(٣) المصدر / ص ١٤٣

ونختم حديثنا بكلمة جامعة للنبي (صلى اللـه عليه وآله) انه قال : " خير ما ألقي في القلب اليقين " . (٤)

بصائر الآيات

١ / اليقين هو العلم الذي لا ريب فيه ، ومعاينة الحقيقة ، والتسليم لها . أما التصورات النابعة من التخيل ، فهي الظنون التي تقابل اليقين كما الظن بقتل عيسى (عليه السلام) .

٢ / واليقين هو الدرجة الاسمى في معارج الكمال بعد الاسلام والايمان والتقوى ، وما هو الا

خطرات . وعناصر اليقين ؛ التوكل على اللـه ، والتسليم له ، والرضا بقضاءه ، والتفويض اليه .

٣ / واليقين بالآخرة علامة الايمان والاحسان والتقوى (وصفات الكمال ناشئة من اليقين) .

٤ / ودرجات الصبر في المواجهة وعند المصائب وعلى الصعاب ، ناشئة من اليقين بقضاء اللـه والتسليم له .

٥ / وبالبراءة من الشرك وتحدي سلطان كل جبار ، ثم النظر في آيات اللـه النازلة ، او في تجليات اسماء اللـه في خلقه او في النفس ، وبالعبادة ، وبالدعاء الى اللـه ليرزقه نور اليقين ؛ بكل ذلك يتسامى المؤمن في درجات اليقين .

٦ / وعقبى اليقين الامامة ، وقبول العمل ، ونوم الموقن خير من صلاة الشاك ، واليقين يورث الروح والراحة ، وهو خير ما ألقي في القلب .

فقه الآيات

---

(٤) المصدر / ص ١٧٣

ينبغي للمؤمن ان يجتهد ليبلغ درجة اليقين ، او ليتلقى خطرات اليقين ، وذلك بالوسائل التالية :

الف : يطهر قلبه من ادران الشرك . فلا يخضع لكل من غلب من سلطان جائر ، او مجتمع فاسد ، او ذي قرابة ضال .

باء : يسعى جاهدا لانتزاع حب الشهوات من نفسه ، او لا اقل لتخفيفها .

جيم : يسأل ربه دائما ان يرزقه نور اليقين ، وان يريه من آياته ما يزيده يقينا .

دال : ينظر في آيات الله سبحانه في خلقه ، وفي نفسه ، ويكون دائم التفكر في عظيم قدرة الله ، وبالغ حكمته ، وحسن صنعه ، ولطف تدبيره ، وسابغ نعمه عليه ، وجميل اياديه عنده .

هاء : ان يتلو آيات القرآن اناء الليل واطراف النهار بتأمل وتدبر ، ويتلقى نورها بصفاء قلبه حتى يزداد يقينا ورضا .

الغفـــلة

ما هي الغفلة ؟

من خلال سياق الايات التي استخدمت فيها كلمة " الغفلة " نفقه معانيها ، وبالذات عندما استعملت هذه الكلمة في قضايا حياتية نتعامل معها ونتعايش ظروفها .

١ / مثلا عندما جاءت الكلمة في سياق الحديث عن المعركة ، والتحذير القرآني من الغفلة فيها عن الاسلحة ، حيث قال الله تعالى : **{ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَيْلَةً وَاحِدَةً }** (النساء/١٠٢)

٢ / وهكذا عند الحديث عن يوسف الصديق ، حين أراد اخوته الذهاب به الى الصيد ، فنهاهم أبوهم عن الغفلة . قال الله تعالى : **{ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}** (يوسف/١٣)

٣ / وعندما يحدثنا ربنا سبحانه عن دعاء الاموات ، يقول اللـه تعالى : **{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللـه مَن لاَ يَسْتَجِيبُ لَـهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَـةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـافِلُونَ }** (الاحقاف/٥)

فالأموات في غفلة عن هؤلاء الأحياء ، الذين يتوسلون بهم ويزعمون أنهم يسمعونهم أو يستجيبون .

ونستـوحي من سياق هذه الآيات ، أن الغفلة تقابل الذكر والانتبـاه ، وتعني عـدم التوجـه إلى

ما من شأنه الاهتمام به والتوجه إليه ، كالسلاح في المعركة ، والطفل في أرض مسبعة ، ودعوة المضطر عند الحاجة .

مراتب الغفلة :

وللغفلة مراتب هي التالية :

١ / الغفلة البسيطة ، وهي التي لا يزال الفرد غير منتبه إلـى الحق ، وإنمـا لا يبـالي بـه ، لأنه لم يذكره به أحد ؛ ومثاله الذي يملك رصيدا ، وهو غافل عنه .

٢ / الغفلة الطارئة ، وهي التي تحدث بعد الذكر ، كما إذا نسي الانسان أنه يملك مـالا أو ذهل عن سلاحه في المعركة أو انشغل بالصيد وغفل عن أخيه في أرض بها ذئاب .

٣ / الغفلة الخاطئة ، وهي التي تعمد الانسان فيها فصرف نظره عن آيات الحق ، كغفلـة الكفار عن اللـه والاخرة بعد تذكرتهم بها عبر الرسل (عليهم السلام) .

ونحن نذكر هذه المراتب - بإذن اللـه - تفصيلا ، ومن ثم نبين أحكامها - إنشاء اللـه - .

الغفلة البسيطة ؛ عذر معذور :

١ / والقرى الغافلة التي لم يرسل اليها نذير ، معذورة عند اللـه . فلا يعذبها اللـه حتـى يبعث اللـه في أمها رسولا . قال اللـه تعـالى : **{ ذَلِكَ أَن لَـمْ يَكُن رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ }** (الانعام/١٣١)

٢ / وكانت الجزيرة العربية قبل الاسلام مثلا للقرى الغافلة ، وانما بعث الله رسوله لانذارهم ، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يعيش بينهم وكأنه منهم . قال الله تعالى : **{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }** (يوسف/٣)

٣ / وقال الله تعالى (وهو يصف قوم الرسول بالغفلة) : **{ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ }** (يس/٦)

٤ / ونستوحي من هذه الاية ؛ أن الأمم تبقى غافلة ، حتى يبعث الله اليهم رسولا ينذرهم .

وهكذا يبعث الله الرسل ليقطع عذرهم ، ويتم الحجة عليهم ؛ بالاضافة إلى الحجة البالغة التي أتمها ربنا على خلقه في عالم الذر ، حيث أركز في فطرتهم معرفة الله ، وأشهدهم على أنفسهم وأخذ الاقرار منهم . وقال الله تعالى : **{ وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }** (الاعراف/١٧٢)

الغفلة الطارئة :

١ / الجهل والغفلة والنسيان صفات ذاتية للبشر ، ولولا التعلم والتذكر لعاد الانسان الى طبيعته التي أركز فيها وهي الغفلة . وهكذا ينبغي أن يذكر الانسان ربه آناء الليل وأطراف النهار ، لكي لا يعود إلى حالته الأولى . قال الله تعالى : **{ وَاذْكُر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ والآصَالِ وَلا تَكُن مِنَ الْغَافِلِينَ }** (الاعراف/٢٠٥)

٢ / ومن هنا فإن كثيرا من الناس يغفلون عن آيات الله سبحانه (غفلة طارئة أو غفلة خاطئة) . قال الله تعالى : **{ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ }** (يونس/٩٢)

٣ / ولعل النسيان شعبة من الغفلة ، وهو من عمل الشيطان . وفي قصة يوسف الصديق (عليه السلام) مثل لذلك ، حيث أنسى الشيطان رفيق سجنه الذي نجى من أن

يذكره عند ربه . فقال اللـه تعالى : { **فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ** } (يوسف/٤٢)

ومن هذه الاية نستوحي أن الغفلة والنسيان من الشيطان ، بينما الذكر والهدى من الرحمن جل جلاله .

الغفلة الخاطئة :

١ / أما الغفلة التي لا يعذر اللـه عباده فيها ، فهي التي تسبقها التذكرة ، ويسبقها التكذيب . فهي غفلة مقصودة ، إذا تعمدها الانسان زاد اللـه في غيه ، وسلب منه نور هدايته . وتبدء هذه الغفلة بتجاهل آيات اللـه وصرف النظر عنها (وبالتالي عدم الاستماع الى داعي اللـه ولا النظر في آيات اللـه بسبب الرضا بالدنيا) . يقول اللـه تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** } (يونس/٧-٨)

٢ / ثم يكذب هؤلاء بآيات اللـه ، فيصرفهم اللـه عن آياته (ويسلب منهم نور الهدى) . قال اللـه تعالى : { **سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لاَيُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** } (الاعراف/١٤٦)

٣ / وكذلك الذين يكفرون بعد الايمان ويشرحون بالكفر صدرا ، يسلب اللـه منهم وسائل المعرفة ويطبع على قلوبهم . قال اللـه تعالى عنهم : { **وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللـه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الاَخِرَةِ وَأَنَّ اللـه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللـه عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** } (النحل/١٠٦-١٠٨)

٤ / ولان هؤلاء لم يستفيدوا من ضياء عقولهم ، ولا من نور الرسالة التي انذروا بها ؛ فهم كالانعام (في افتقاد العقل) ، بل هم اضل من الانعام سبيلا (في افتقارهم الى غرائز الانعام

السليمة) ، قال اللـه تعالى : { **سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ** } (الاعراف/١٧٧)

٥ / ثم يقول اللـه تعالى : { **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَيَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَيُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَيَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** } (الاعراف/١٧٩)

٦ / وعلينا مقاطعة هؤلاء الذين كذبوا بآيات اللـه وأغفل اللـه قلوبهم (وافرغها من فطرة الهدى ومن نور الوحي) ، لأنهم يتبعون أهواءهم أنى سارت بهم ركائبها . فلا يستقرون على رأي ، ولا يستمرون على خطة ، بل كان أمرهم فوضى . قال اللـه تعالى : { **وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً** } (الكهف/٢٨)

عقبى الغفلة الخاطئة :

١ / وعاقبة هذه الغفلة في الدنيا هي ما سلف ؛ من سلب نور الهدى ، والطبع على الفؤاد ،

ثم انزال العذاب بهم كما فعل بآل فرعون . قال اللـه تعالى : { **فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** } (الاعراف/١٣٦)

٢ / اما في الاخرة ، فإن عاقبتهم النار والحسرة . فإذا شاهدوا النار وعلموا أنهم مواقعوها ، داخلهم ندم عظيم . لماذا غفلوا عن هذا الأمر الخطير (وأشتغلوا بالدنيا الزائلة) ؟ ولكنهم عرفوا أن الغفلة كانت منهم وبسبب تقصيرهم ، إذ أتم اللـه عليهم الحجة بالنذر فاعترفوا أنهم كانوا ظالمين . قال اللـه تعالى : { **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** } (الانبياء/٩٧)

٣ / صحيح ان الاخرة غيب ، الا ان آياتها وشواهدها قائمة . وقد أوتي البشر وسائل لمعرفتها لو انه أراد ذلك حقا . أما في يوم القيامة فإن الغيب يضحى شهودا ، وتصبح حواس البشر أشد نفاذا ، وأحد مضاء من هنا . يقول اللـه تعالى : { **لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** } (ق/٢٢)

بصائر الآيات

١ / الغفلة تعني : عدم التوجه الى ما ينبغي التوجه اليه عقلا وشرعا ، كالسلاح في المعركة ، والطفل في ارض مسبعة ، ودعوة المستغيث عند المهلكة .

٢ / والغفلة الساذجة عذر مقبول اذا لم يسبقه نذير ، كغفلة القوى الظالمة قبل بعث الرسل اليها . وتلك رحمة من الله سبحانه ،حيث ان الرسول حجة بالغة عليهم بعد ميثاق عالم الذر ، والفطرة والعقل .

٣ / الغفلة من ذات البشر . وعلى الانسان ان يذكر ربه دائما ، لكي لا يعود اليها . ولا يعذر البشر على الغفلة التي تلحق الذكرى ، مثل الغفلة عن آيات الله .

٤ / وبسبب الغفلة والتكذيب بآيات الله يتكبر الكفار في الارض بغير الحق ، ولا يتخذون سبيل الرشد سبيلا فيصرفهم الله عن اياته .

٥ / ومن شرح بالكفر صدرا واستحب الحياة الدنيا وغضب الله عليه ، يطبع الله على قلبه

وهو من الغافلين .

٦ / والغافلون هم كالانعام ، بل اضل سبيلا ؛ لانهم لا يفقهون بقلوبهم ، ولا يبصرون باعينهم ، ولا يسمعون باذانهم .

٧ / ولا يجوز اتباع من اغفل الله قلبه عن ذكر الله ، واتبع هواه ، وكان امره فرطا .

٨ / الله سبحانه ينتقم ممن كذب بآياته ، وكان عنها غافلا ، ولهم في الاخرة الويل بغفلتهم التي تلاشت يومئذ ، فإذا بأبصارهم حادة نافذة .

فقه الآيات

١ / يجب الحذر من الاعداء ، ولايجوز الغفلة التي تؤدي الى غلبتهم ، كالغفلة عن السلاح والمتاع في الحرب (النساء / ١٠٢) .

ومن ذلك نستوحي :

الف : لايجوز إهمال الثغور التي ينفذ منها العدو ، بل تجب المرابطة فيها مادام احتمال الهجوم واردا .

باء : يجب اهتمام المسلمين بالأمن وقضايا الاستخبارات العسكرية ، لكي لايغافلهم العدو .

جيم : كذلك النظام الاسلامي يجب ان يتمتع بما يصون البلاد من الجواسيس الذين يستغفلون الأمة بخططهم المعادية .

دال : بل ينبغي ان يكون للنظام الاسلامي اجهزة التجسس ، التي تعلمهم اوضاع الاعداء ومدى قوتهم .

هاء : كذلك ينبغي انشاء مراكز دراسات استراتيجية ، تجعل المسلمين على علم بما يجري عند الآخرين من أعدائهم او ممن يمكن ان يتحولوا الى اعداء . والهدف منها الحذر وعدم الغفلة ، لكي لاياغتوا .

ذال : وعلى العلماء والدعاة الى الله ألاّ يغفلوا عن المبادئ الهدامة والشبهات الوافدة والثقافات الجاهلية ، بل يرصدوها دائما حتى يواجهوها في الوقت المناسب . فان اماتة البدعة

من مسؤولياتهم الجسيمة .

٢ / لا تجوز الغفلة عما يجب حفظه من النفس والعرض والمال ، اذا كان في الغفلة عنها خوف تعرضها لمهلكة ، خوفا عقلائيا (يوسف / ١٣) وتفصيل القول فيما يلي :

ألف : من غفل عن صحته غفلة يخشى ان تؤدي الى وفاته او نقص عضو منه ، فانه شارك في هلاك نفسه .

ومن هنا ينبغي ان يجري كبار السن او المصابون بمرض عضال (كالسكري وضغط الدم وارتفاع الدهونات في الدم او مرض القلب او تكسر الخلايا وما أشبه) ان يجروا فحوصات دورية لكي لايباغتهم المرض .

باء : كذلك يجب على الوالدين ان يراقبوا سلوك المراهقين من ابنائهم ان خشيا انحرافهم . وعلى الزوجين ان يراقبا سلوك الطرف الآخر ، لكي لايباغتهم الانحراف .

جيم : ينبغي على الانسان ان يتمتع بالاقتصاد في المعيشة ، والحكمة في ادارة وضعه الاقتصادي ، لكي لاينهار فجأة ويبتلي بالعجز المالي .

٣ / الغفلة البسيطة عذر موجه . فمادام الحكم الشرعي لم يبلغ صاحب العلاقة ، فانه معذور في تجاوزه . ولذلك لايعاقب من هو غافل عن قبح الظلم الذي ارتكبه (الجاهل القاصر) . (الانعام / ١٣١) ونستفيد من ذلك :

ألف : ضرورة انذار المجرمين قبل انزال العقوبة بهم .

باء : التفريق بين الجاهل الغافل (القاصر) وغيره في الموقف منه ، وصدور الحكم حوله .

٤ / على المؤمن ان يحذر الشيطان ، ولايغفل عن ذكر الله ، لكي لايضله العدو الغوي بهمزاته عن سواء السبيل ، وبالذات في طرفي النهار (الاعراف / ٢٠٥) .

وهكذا ينبغي حضور المساجد عند الصباح وعشيا ، والجلوس عند أهل الذكر ، ومداومة التردد على الهيئات الدينية وبيوت العلماء وما أشبه .

٥ / يحرم الغفلة عن آيات الله ، مثل شواهد عظمته ودلائل حكمته وتجليات اسماءه الحسنى

سبحانه . وكذلك براهين الساعة واشراطها ، وحجج الانبياء والأئمة وخلفائهم أهل الذكر ..

الف : فاذا ضعف يقينك ، فابحث عمن يذكرك بربك ، وتطلع في آيات الله في الآفاق وفي

نفسك ، وزر المقابر وآثار الغابرين ، وروع قلبك بمصيرهم الذي قد ينتظرك قريبا .

وهكذا يعيد الله اليك بفضله نور المعرفة ، وروح التقوى ، وحقيقة الايمان واليقين .

باء : لاتطمئن الى الحياة الدنيا ، ولا تأمن عذرها واستدراجها ، ولا تتكبر عن آية حتى ولو تجلت لك في بعوضة وما فوقها .

٦ / يحرم التكبر في الأرض ، والاستعلاء على الناس ، واستضعاف فريق منهم ، والسخرية بهم .

٧ / يحرم الاعراض عن سبيل الرشد بأي سبب كان ، ولو بسبب شنآن الذين اتبعوه من قبل ، كما يحرم اتخاذ سبيل الغي سبيلا (الاعراف / ١٤٦) . ومن ذلك نعرف ما يلي :

ألف : إذا كنت منافسا او مخالفا لجماعة سياسية او لطائفة عرقية . او لتجمع مهني او ما أشبه ، ثم رأيتهم اتخذوا موقفا سليما من شخصية منهم او من غيرهم ، او من قضية فلا تأخذك العزة بالإثم ، ولا تقل مادام اولئك القوم سبقوني فلا اتبعهم لانه عار علي . لا ؛ نار جهنم اولى بالاتقاء من عار الدنيا .

باء : لا تغفل عن ادلة الحق وآيات الصدق ، بسبب موقفك المسبق من الذين يطرحونها عليك ، او يبثون الدعوة اليها في المجتمع . وبالتالي لا تتخذ موقفا من حديث ، متأثرا بالذين يدعون اليه .

٨ / الاطمئنان بالحياة الدنيا والزعم بانها نهاية المسير ، وان بها السعادة والفلاح ، تسبب الغفلةوقسوة القلب . وعلى الانسان ان يحذر هذا الاطمئنان (النحل / ١٠٦ - ١٠٨) .

٩ / لايجوز اتباع الغافلين الذين لايذكرون الله (إلا قليلا) ، ويتبعون اهواءهم ، وتراهم لايستقرون على خط واحد ، بل يتقلبون مع اتجاه الرياح . انما يجب ان نسأل أهل الذكر ، وان نتبع اهل الرسالة ، ونطيع الذين يستقيمون على الصراط (الكهف / ٢٨) .

في رحاب الاحاديث

١ / قال الامام الصادق (عليه السلام) : ان كان الشيطان عدوا فالغفلة لماذا ؟ وان كان الموت حقا فالفرح لماذا ؟ (١)

٢ / قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : اذكروا الله في كل مكان ، فانه معكم . واكثروا ذكر الله عز وجل اذا دخلتم الاسواق ، وعند اشتغال الناس ، فانه كفارة للذنوب ، وزيادة في الحسنات ، ولا تكتبوا في الغافلين . (١)

٣ / قال علي (عليه السلام) في حديث دعائم الايمان : ومن غفل غرته الاماني ، واخذته الحسرة ، اذا انكشف الغطاء ، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب .(٢)

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ١٥٣ – عن الخصال / ج ٢ / ص ٦١
(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ١٥٤
(2) سفينة البحار الطبعة القديمة / ج ٢ / ص ٣٢٣

العمى عن الحق

لأن القرآن كتاب الحق ، فإنه يبصر الانسان بالحق ، ويشهده إياه ، ويباشر علمه به ، حتى ليكاد يندمج معه . وهكذا تتلو علينا آياته الكريمة أبعاد الجهل من خلال ما نحسه من حقائق الجهل ، ومنها العمه والعمى . والعمى حقيقة مشهورة ومعروفة لدينا تماما ، فالذين فقدوا أبصارهم ليسوا بنادرين من بين البشر ، (والقرآن يذكرهم من خلال بيان أحكامهم او أخبارهم). ومن خلال معرفتهم ، ومعرفة أبعاد النقص والعجز والمآسي التي يواجهونها ، نستطيع أن نعرف أبعاد عمى البصيرة ، وما يورثه من النقص والعجز والمآسي . وهكذا نتدرج في فهم آيات الذكر وفقه حقائقها من المحسوس إلى المعقول (حسب ما نعتقده أنه منهج قرآني) . فما هو عمى البصر ؟ وما هي أحكامه وأخباره ؟

عمى البصر :

١ / بالرغم من أن عمى البصر عاهة ، إلا أن الشرع لا يعتبر المصاب في عينه مسؤولا عن نقصه ، بل يقول بكل صراحة أنه لا حرج عليه . قال الله تعالى : **{ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللـه**

وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً } (الفتح/١٧)

٢ / ويعاتب القرآن ذلك الذي عبس وقطب وجهه حينما جاءه الأعمى ، وذلك في قول الله تعالى : **{ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَآءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى }** (عبس/١-٤)

٣ / ويربط بين العمى في البصر (في الاخرة) وبين العمى في البصيرة (في الدنيا) ، لعلنا نفقه معنى الثاني بالأول يقول الله تعالى : **{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى }** (طه/١٢٤-١٢٦)

عمى البصيرة ؛ جهل وجهالة :

١ / وعمى البصيرة فقد للعلم والعقل . فهو جهل وجهالة ، أوليس العلم عين الانسان الناظرة ؟ أوليس العقل رؤية وبصيرة ؟ من هنا قال الله تعالى : **{ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ }** (الرعد/١٩)

ومن هذه الاية نستوحي ؛ من ينكر الوحي مصاب في بصيرته ، كما الذي لا يرى ضوء الشمس ، مصاب في بصره .

٢ / وكذلك يصف القرآن الذين لا يؤمنون بآيات الله ، بالصمم والعمى ، ويصفهم بأنهم لا يعقلون ، قال الله تعالى : **{ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ }** (البقرة/١٧١)

٣ / ومرة اخرى يصف القرآن الكفار والمنافقين بالعمى ، وذلك في قول الله تعالى : **{ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَيَرْجِعُونَ }** (البقرة/١٨)

أسباب العمى والعمه :

حين يستحب الانسان الحياة الدنيا على الاخرة ، ولا يؤمن بلقاء اللـه ، ويزين لـه عملـه ويحسب انه لايبتلى ، ويستهزء بآيات اللـه ، ويعود الـى الكفر بعد الايمـان ، ويعيش فـي سكرة الدنيا ، يسلبه اللـه بصيرته ويذره في طغيانه ، بل ويمـده فـي ذلك الطغيـان . هذه هي البصائر

التي نستفيدها من آيات الذكر حول أسباب العمى ، وسنتلوها معا بإذن اللـه .

١ / الهدى مـن عند اللـه ، ومـن لا يرزقه اللـه نعمـة الهدى يبقى فـي متاهـات العمـى . والذي لا يرجـو لقاء اللـه هـو الذي يتركه لشأنه ، فيطغـى ويصيبه العمـى والعمـه ، يقول اللـه تعالى : { **فَنَذَرُ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** } (يونس/١١)

٢ / إنهم يعيشون في حدود الدنيا ، حيث لا يتجاوز علمهم وهمهم الحياة العاجلة ، فتحيط بهم سكرة النعم ، وتعمه بصائرهم بها . يقول اللـه تعالى : { **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** } (الحجر/٧٢)

٣ / وانهم - بكفرهم بالاخرة - يفقدون معيار الهـدى ، حتـى يقيموا بـه أنفسهم وأعمـالهم ، وإنما يعبدون ذواتهم وأهواءهم . ولذلك فإن أعمالهم تزين لهم ، وهذا سبب طغيانهم وعملهم . يقول اللـه تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ** } (النمل /٤)

٤ / ومن أسباب العمى . أمن الفتنة ، فالذين يحسبون أنهم لا يفتنون يسقطون فـي الفتنـة من حيث لا يشعرون ، (لأنهم لا يحذرون مكر اللـه ولا فتنـة الدنيا وشهواتها) ، فيصم سمعهم وتعمى ابصارهم . يقول اللـه تعالى : { **وَحَسِبُوا اَلا تَكُونَ فِتْنَـةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا** } (المائدة/٧١)

٥ / ومـنهم الـذين يسقطون فـي الفتنـة ، ثـم يتـوب اللـه عليهم ، ولكـنهم - بعد التوبـة - يعودون إلى العمى . قال اللـه العزيز : { **ثُمَّ تَابَ اللـه عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللـه بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** } (المائدة/٧١)

٦ / والاستهزاء بآيات اللـه وبرسالاته ، يستوجب غضب اللـه ، حيث يسلب نوره من المستهزئين ويتركهم في طغيان العمه . قال اللـه الجبار : { **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءامَنُوْا قَالُوا**

ءامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللـه يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (البقرة/١٤-١٥)

٧ / وقال اللـه تعالى : **{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }** (الانعام/١١٠)

٨ / وقال اللـه تعالى : **{ مَن يُضْلِلِ اللـه فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }** (الاعراف/١٨٦)

٩ / وحين يفقد الانسان النور فإن النعم لا تزيده عن ربه الا بعدا ، لأنه يطغى بها ويعمه بدل أن يشكر ربه عليها ، ويسلم للحق . قال اللـه تعالى : **{ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }** (المؤمنون/٧٥)

مسؤولية العمى :

١ / والفرد - بذاته - يتحمل مسؤولية عماه ، لأن اللـه سبحانه يوفر له كل فرص الهداية ؛ من فطرة سليمة ، وعقل مضيء ، ورسالة ورسول . ولكنه حين يكفر بها جميعا ويستهزء بها ، فإن فطرته تعاب ، وعقله يحتجب ، ويجعل اللـه بينه وبين رسالاته حجابا مستورا . وهكذا تعود نتائج عماه إلى نفسه ، لانه هو المسؤول عنها . يقول اللـه تعالى : **{ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ }** (الانعام/١٠٤)

٢ / وهكذا فإن الرسول ليس مسؤولا عن عماهم ، لأنه لم يكلف هداية من اختار الضلالة (حتى سلب نور العقل) . قال اللـه تعالى : **{ وَمَآ أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ }** (الروم/٥٣)

٣ / وقال اللـه تعالى : **{ وَمِنْهُم مَن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمِيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ }** (يونس/٤٣)

٤ / وقال اللـه تعالى : **{ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ }** (الزخرف /٤٠)

٥ / الرسول يتحدث إلى من يسمع ، ويبصر من يبصر . أما من فقد سمعه وبصره (بسوء اختياره وبطغيانه وسكرته) ، فإن الرسول لا يسمعه ولا يبصره ، بل يبقى هكذا من الدنيا الى الآخرة ، حيث يبعث أعمى (وهذا جزاء نسيانه آيات الله وتكذيبه بها) . قال الله تعالى : **{وَمَن كَانَ فِي هذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً }** (الاسراء/٧٢)

لا يستوي الأعمى والبصير :

١ / أعظم ما في العقل أن يميز بين النور والظلام ، بين الجنة والنار ، بين النعمة والعذاب ..

وهكذا يثير القرآن العقول - المرة بعد الأخرى - إلى تلك الحقيقة الواضحة ، والتي هي أصل معرفة حقائق كثيرة تغيب - عادة - عن وعي الناس ؛ تلك هي التمايز التام بين الظل والحرور ، بين الظلمات والنور ، وبين الأعمى والبصير . يقول الله تعالى : **{ قُل لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ }** (الانعام/٥٠)

٢ / ويتدرج القرآن الكريم من التمايز التام بين الأعمى والبصير ، لتذكيرنا بحقيقة التمايز بين الايمان والكفر . يقول الله تعالى : **{ وَمَا يَسْتَوِي الاَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ }** (غافر/٥٨)

فالمسيء (الكافر بعقيدته أو سلوكه) هو الأعمى الذي ترك في الظلام ، بالرغم من وجود الضياء من حوله . بينما البصير هو المؤمن الذي اعترف بالحقائق ، وتعايش معها .

٣ / ويعرفنا الله تعالى بالتمايز بين الأعمى والبصير ، من خلال معرفة التمايز بين الظلمات والنور . فإن النور الذي لا يرى ، مثله كمثل الظلمات . يقول الله تعالى : **{ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ * وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ * وَمَا**

يَسْتَوِي الأَحْيَآءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ اِنَّ اللـه يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } (فاطر/١٩-٢٢)

٤ / ويقول اللـه تعالى متسائلا ومستثيرا عقل كل انسان ووجدانه : **{ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللـه قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِم نَفْعاً ولاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الاَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِم قُلِ اللـه خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ }** (الرعد/١٦)

كذلك ظلمات الجهل لا تستوي ونور العلم . فمن يعلم بأن الرسالة حق انزل من عند اللـه ، يعيش في ضياء الرسالة . بينما الكافر أعمى ، يلفه ظلام الجهل . فلا يستويان .

عقبى العمى في الدنيا والاخرة :

١ / وعاقبة العمى عن آيات اللـه في الدنيا عذاب ، وفي الآخرة عمى ، فانظر إلى آل فرعون كيف أغرقوا في اليم ، جزاء تكذيبهم بآيات اللـه ، وانهم كانوا قوما عمين . يقول اللـه تعالى :

{ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ } (الاعراف/٦٤)

٢ / أما في الآخرة ، فإن اللـه يحشرهم عميا وصما وبكما ، جزاء تكذيبهم بآيات اللـه في الدنيا . يقول اللـه تعالى : **{ وَمَن يَهْدِ اللـه فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً }** (الاسراء/٩٧)

٣ / ومن هنا فان المؤمنين (عباد الرحمن) لا يخرون على آيات اللـه صما وعميانا (كما يخر غيرهم) ، بل يصدقون بها ويبصرونها (ويستقبلون مسؤوليتهم تجاهها برحابة صدر) . يقول اللـه تعالى : **{ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً }** (الفرقان ٧٣)

بصائر الآيات

١ / لا حرج على من اصيب في عينه ، ولكن العمى حقا عمى البصيرة في القلب . ويعتب القرآن على من عبس وتولى ، عندما جاءه الاعمى .

٢ / وبفقد العلم والعقل (الجهل والجهالة) تعمى البصيرة ، ومن انكر الوحي كان اعمى ، ومن آمن به كان بصيرا ، والكافر اصم أبكم .

٣ / الهدى من الله ، ومن لا يرزقه الله الهدى يذره في العمه ، بسبب استحبابه الحياة الدنيا، فتحيط بهم سكرة النعم فيعمهون . وهكذا تراهم بكفرهم وعدم رجاءهم لقاء الله ، تزين لهم اعمالهم فيعمهون .

٤ / وحين يأمن المرء الفتنة يعمى .

٥ / وبسبب الاستهزاء ، يسلب المرء النور فيعمه ، وكذلك الذي يكفر بعد الايمان . ومثل هؤلاء يزدادون عمى بالرحمة ، وكشف الضر عنهم .

٦ / والعمى مسؤولية الانسان نفسه ، لان الله يتم حجته عليه بتوفير البصائر. ووليس الرسول يهدي الاعمى عن ضلالته ، وانما الرسول يهدي باذن الله تعالى المسلمين السامعين
لآيات الله .

٧ / والاعمى عن الحق في الدنيا ، يحشر اعمى في الاخرة .

٨ / وبالتمايز بين الاعمى والبصير ، يتمايز الكفر عن الايمان في وعي العاقل . كذلك بالتمايز بين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الاحياء والاموات . فالاعمى هو ذلك المشرك الذي يجعل لله شركاء ، ولا يرى ان الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار .

٩ / وعاقبة اعمى القلب (الضال عن السبيل) في الدنيا ، قد تكون عذاب الاستيصال (كما اغرق آل فرعون) . اما في الاخرة فان اعمى القلب يحشر اعمى ابكم اصم ، ومأواه جهنم .

١٠ / ومن هنا فان المؤمن يستقبل آيات اللـه ، ولا يخر عليها اعمى واصم .

فقه الآيات

١ / لذوي العاهات جملة احكام نستفيدها من آيات الذكر :

الـف : لـيس علـيهم حـرج فـي تـرك الفريضـة التـي لا تتناسـب وعـاهتهم . فـالاعمى والاعرج والمريض لا حرج عليهم لو تركوا الجهاد ، وكذلك المريض حين يفطر شهر رمضان ، ولكن الأعمى والأعرج يصومان . والوظائف الاجتماعية الأخرى التي تحول عاهة الشخص دون القيام بها ساقطة عنهم هي الأخرى ، دون ان يلحق بسمعتهم أذى ، لان ما غلب اللـه عليهم فاللـه أولـى بالقدر . وقد جاءت الآيـة (الفتح / ١٧) فـي سياق الحديث عن تخلف البعض عن الجهاد ، الا ان اطلاق اللفظ يشمل كل فريضـة يتركها هؤلاء لعدم قدرتهم على ادائها .

بـاء : ان لهم من الحقوق مـا لغيرهم ، ولا يسبب عدم قدرتهم علـى الجهاد فـي نقص قدرهم ، كما لايجوز لهم ترك ما فرض عليهم مما يقدرون عليه بسبب هذا النقص ، كمـا نفهم من خاتمة الآية (الفتح / ١٧) .

جيم : لايجوز الاستهانة بهم بأي حـال ، بل ولا تفضيل غيرهم عليهم ، كمـا فعل الذي عاتبه حين تولى عن الاعمى واهتم بـالغني . انمـا المعيـار التزكيـة والتذكر . ونستفيد من هذه الآية ضرورة رفع الحيف عن ذوي العاهات ، لكي لايشعروا بالضيم او بـالهوان فـي المجتمع ؛ مثلا .. انشاء مدارس خاصـة بهم ، وتأسيس مرافق خدمات تتناسب واياهم . كذلك بناء المؤسسات التي تخفف عن آلامهم او ترفه عنهم .

٢ / لايجوز الاعراض عن ذكر اللـه المتمثل في رسول اللـه وفي الأئمة الهداة من بعده ، كما في الصلاة والحج وسائر الفرائض التي تذكر باللـه .

٣ / ولايجوز نسيان آيات اللـه . (بالاستهانة بها وعدم تذكرها) (طـه / ١٢٤ - ١٢٦)

.

ومن ذلك نستوحي عدة تعاليم حياتية كالتالي :

الف : ضرورة استدامة ما يذكر الانسان بربه ودينه واولياء اللـه وسيرتهم ، من إقامة مجالس وهيئات ، وحضور دروس ، ومطالعة كتب ، والاستماع الى احاديث ، وما الى ذلك . وهكذا مداومة الحج والعمرة وارتياد المساجد ، وزيارة اضرحة الاولياء وقبور المؤمنين .

باء : الانتماء الى جمع المؤمنين ، والسكنى في ديار الايمان ، ومصاحبة العلماء الذين يذكر باللـه منظرهم ويزهد في الدنيا عملهم ويزيد في الفقه منطقهم .

٤ / يستحب رجاء لقاء اللـه سبحانه بذكر الموت ، والحساب واستجلاء البصيرة بلقاء اللـه سبحانه والوقوف بين يديه للحساب ، حتى يكون للانسان واعظ وزاجر من نفسه (يونس/ ١١) .

٥ / وعلى الانسان ان يحذر سكرات الحياة الدنيا . فاذا اسبغ اللـه عليه بنعمة الشباب والعافية والغنى والسلطة ، فليحذر من سكرة كل اولئك النعم ، فانها تعمي بصيرته (الحجر/ ٧) .

٦ / وعليه ألاّ يأمن مكر اللـه ، وما يتعرض له كل انسان من فتنة (المائدة / ٧١) .

٧ / وعليه ان ينظر الى الحوادث ببصيرة الايمان ، وعبر رؤى القرآن ، فيفسرها بها . وإذا عرض عليه أمر لايعلم الموقف منه ، فليعرضه على القرآن والسنة حتى يعرفه بهما (الانعام / ١٠٤) .

٨ / وليعلم ان الهداية مسؤوليته هو ، فلا ينتظر احدا يكرهه عليها ، بل يسعى نحوها بنفسه سعيا جديا ، وليجتهد في سبيل معرفة الحق (يونس / ٤٣) .

٩ / والتفكر في حقائق الحياة ، يرشدنا الى الحق . وعلينا ان نميز دائما بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين الظلمات والنور . فان التجلي بقدرة التمييز يهدينا الى معرفة خبايا الحياة ، ويجعل قراراتنا اقرب صوابا (غافر / ٥٨) و (فاطر / ١٩ - ٢٢) و (الرعد / ١٦) .

١٠ / علينا ان نحذر العمى ، وبالذات عندما تتلى علينا آيات اللـه ، فان علينا ان ننفتح عليها
بافئدتنا حتى لا نخر عليها صما وعميانا ؛ بل نتدبر في تفسير معانيها وتطبيقها على انفسنا ، وما يحيط بنا من واقع ، وفي الاتعاظ بها .

في رحاب الاحاديث

ألف : فقد روي عن ابي بصير ، عن ابي عبد اللـه (عليه السلام) في قول اللـه عز وجل : { **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً** } . قال : يعني ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) . قلت : {**وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** } . قال : يعني اعمى البصر في الاخرة ، اعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال : وهو متحير في القيامة يقول : { **قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا** } . قال : الايات الائمة (عليهم السلام) ، { **وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** } يعني تركتها ، وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الائمة (عليهم السلام) ، فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم . (١)

باء : عن ابي بصير قال : سمعت ابا عبد اللـه (عليه السلام) يقول : من مات وهو صحيح موسر لم يحج فهو ممن قال اللـه عز وجل : { **وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** } قال :قلت : سبحان اللـه اعمى ! قال : نعم اعماه اللـه عن طريق الحق . (٢)

---

(1) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ٤٠٦
(2) المصدر / ج ١ / ص ٤٠٦

ترك التفقه

الفقه هدفا :

١ / الفقه هو هدف تصريف الآيات في القرآن . قال اللــه تعالى : { **انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** } (الانعام/٦٥)

٢ / وهكذا انما يستفيد من آيات القرآن المفصلة ، الذين يفقهون . (أما غيرهم ، فكأن الآيات لا تعنيهم) . قال اللــه تعالى : { **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** } (الانعام/٩٨)

ظاهر الحياة الدنيا معروف لكل ابن انثى ، اما غيبها وحقائقها وسنن اللــه فيها فعلى الانسان أن يسعى لفقهها بالتذكر والتفكر وبالتدبر في آيات اللــه . (وهذا هو هدف تفصيل الآيات القرآنية) .

ما هو الفقه ؟

١/ من خلال التأمل في سياق الايات التي استخدمت فيها هذه الكلمة ، نعرف بعض ابعادها . فالذين لا يفهمون ، المراد من القول هم الذين لا يفقهون ، قال الله تعالى : { **حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً** } (الكهف/٩٣)

ترى هؤلاء - الذين كانوا يعيشون في وسط آسيا ، حينما توغل فيها ذو القرنين - كانوا لا

يفقهون لغة (من لغات أهل الشرق الاوسط ، بل أي لغة) .

٢ / وكذلك نحن لا نفهم معنى تسبيح سائر ما في العالم . قال الله تعالى : { **وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** } (الاسراء / ٤٤)

٣ / ويضيق النبي ذرعا بقوم لا يفهمون ما يقول لهم . يقول الله تعالى : { **فَمَالِ هَؤُلآءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً** } (النساء/٧٨)

٤ / وهكذا يدعو النبي موسى (عليه السلام) أن يحل الله عقدة لسانه ، لكي يفقهوا قوله (ويعرفوا ما يقول لهم) . قال الله تعالى :{ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي** } (طه/٢٧-٢٨)

٥ / والاختلاف بين حر القيض ونار جهنم واضح ، وانما ويحتاج إلى فقه (وفهم) . قال الله تعالى : { **قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** } (التوبة/٨١)

٦ / وهكذا أمر الله بعض المسلمين بالتفقه في الدين ، (حتى سمي علم أحكام الدين بالفقه) . قال الله تعالى : { **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** } (التوبة / ١٢٢)

٧ / ويصف القرآن الحكيم بعض المسلمين بعدم الفقه إلا قليلا ، (لأنهم لم يفقهوا لسبب منعهم من الانطلاق إلى مغانم ليأخذوها) واتهموا القيادة بالحسد . قال الله تعالى : { **سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ قُل لَن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهِ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً** } (الفتح/١٥)

فالفقه هو فهم المراد من الكلمات . (ولعله الى ذلك يرجع تفسير الفقه عند البعض بالفهم العميق ، او غور العلم) .

لماذا كانوا لا يفقهون ؟

١ / والسؤال ؛ ما هي حجب الفقه عند البشر ؟ أحد أهم الحجب الكفر ؛ فمن كفر بآيات الله صرف الله قلبه عن فقهها . قال الله تعالى : { **وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**
هَلْ يَرَاكُم مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ } (التوبة/١٢٧)

٢ / وهكذا كان كفرهم بآيات الله ونهيهم عنها . وصدهم ، حجابا لهم دون فهمها وفقهها . قال الله تعالى : { **وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَآءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ** } (الانعام/٢٥)

٣ / والاعراض عن آيات الله (بعد أن يذكر بها) ، ونسيان ما قدمت يداه (من الذنوب) ، يجعل الفرد في حجاب الضلالة . فإذا بقلبه في كن مغلق ، وإذا في أذنه وقر . فلا يعقل ، ولا يسمع شيئا . قال الله تعالى : { **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً** } (الكهف/٥٧)

٤ / والكفر العملي هو الاخر حجاب عن فقه آيات الله . فالذين رضوا بان يكونوا مع الخوالف (النساء ذوي الأعذار) ويتركوا الجهاد ، هؤلاء يحجبهم الله تعالى عن الحق . يقول الله تعالى : { **رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لايَفْقَهُونَ** } (التوبة/٨٧)

٥ / والمنافقون الذين اتخذوا ايمانهم جنة ، فآمنوا ثم كفروا ؛ هم أيضا طبع على قلوبهم ، (لأن فرصة الاستجابة للهدى لا تتكرر) ، فهم حجبوا عن الفقه . قال الله تعالى : { **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوْا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ** } (المنافقون/٣)

عاقبة الذين لا يفقهون :

١ / وعاقبة الذين لا يفقهون جهنم التي ذرأهم الله لها ، وانهم أضل من الأنعام سبيلا ، وأنهم هم الغافلون . قال الله تعالى : { **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَيَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَيُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَيَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَالاَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** } (الاعراف/١٧٩)

٢ / اما عاقبتهم في الدنيا فهي الهزيمة أمام المؤمنين ، (لأن وعي المؤمنين بالحقائق يجعلهم مستقدمين على الكفار الجهلة بها بإذن الله) . قال الله تعالى : { **يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ مِاْئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَيَفْقَهُونَ** } (الانفال/٦٥)

٣ / وقال الله تعالى : { **لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ** } (الحشر/١٣)

بصائر الآيات

١ / فهم مراد القول فقه ، ومن هنا فنحن لا نفقه بتسبيح الاشياء ، وسأل موسى (عليه السلام) ربه ان يحل عقدة من لسانه حتى يفقهوا قوله .

٢ / والفقه قيمة مطلوبة ، وانما صرف الله الآيات لعلهم يفقهون . فمن يفقه ، هو الذي صدقت له آيات الذكر .

٣ / وامر الله طائفة من كل فرقة من المسلمين ليتفقهوا في الدين .

٤ / وقد يحجب الله قلوب قوم ان يفقهوا آيات الله (بسبب كفرهم) .

٥ / والاعراض عن آيات الله ، ونسيان ما قدمت يداه ، يجعل الفرد في ضلال . كذلك التقاعس عن الجهاد يجعله مطبوع القلب ، فهو لا يفقه . وهكذا الكفر بعد الايمان .

٦ / وعقبى عدم الفقه جهنم ، والهزيمة ، والخوف ، والانصراف عن آيات الله .

فقه الآيات

بتأويل الآيات التي تليت ، وبتطبيقها على الحوادث والمتغيرات الواقعة في حياتنا ، نستوحي جملة احكام بعضها مفهومة نصا ، وبعضها ظهورا ، وبعضها استلهاما من لحن القول . ونحن نشير الى مصدرها من الآيات بذكر ، ارقامها دون اعادة تلاوتها :

١ / يحرم الاعراض عن ذكر الله ، وعن آياته ؛ بل يجب الاستماع اليها ، والتدبر فيها ،

والتفقه بها . وانما صرفت للناس الآيات بهدف التفقه . فاذا انزلت سورة او صدر حكم شرعي ، فلا يجوز الانصراف (من دون توجه اليهما) او الاعراض عنهما (التوبة / ١٢٧) و (الانعام/ ٢٥) .

وبالذات عند توجيه الخطاب الى الفرد نفسه فيذكر بالله وآياته ، فان الاعراض يعتبر من اشد المحرمات . (وهذا الاعراض قد يكون بسبب الغرور ، وزعم عدم الحاجة الى الموعظة ، ونسيانه لذنوبه . (الكهف / ٥٧) .

ونستلهم من هذه القيمة (قيمة التفقه في الآيات) أهمية تفسير القرآن ، واذاعة هذا التفسير عبر وسائل التربية والتعليم ، واجهزة الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية ، لكي تتوفر للناس جميعا فرصة التفقه في آيات القرآن . (الانعام / ٦٥) .

ونستفيد من آية كريمة ضرورة تحسين بيان آيات الله ، حتى يتم فقه الناس لها . كذلك الاهتمام بالبلاغة في الانذار والتبشير (طه / ٢٧ - ٢٨) ممن لا يكادون يفقهون حديثا (الكهف / ٩٣) و (النساء / ٧٨) ، وتختلف اهمية التفقه حسب طبيعة الكلام .

٢ / والتفقه في حقائق الحياة مطلوب ، حتى يتميز الحق والباطل ، والأهم والمهم ، والأشد ضررا من غيره (التوبة / ٨١) .

٣ / ولا يجوز تبديل كلمات الله ، (وهذا من ابعاد فقه تلك الكلمات) . ومن هنا فلا يجوز الجدال في احكام الله سبحانه ، (او محاولة تحريفها حسب المصالح والأهواء) (الفتح / ١٥) .

٤ / على الانسان ان يستخدم مشاعره وعقله من اجل الفهم . ونستلهم من ذلك ان تعطيل أية جارحة او جانحة تنفع البشر امر منهي عنه . وحتى تعطيل أية وسيلة للكشف عن الحقائق يعتبر خطأ . وهذا الأمر يدعونا الى توفير وسائل المعرفة جميعا ، وبالذات ما ينتهي الى معرفة الاحكام او موضوعاتها ، او معرفة ضرورات الحياة ، وهي اليوم تشمل كافة الحقول تقريبا (الاعراف/١٧٩) .

٥ / والتفقه في احكام الدين واجب كفائي على الامة ، فلابد من قيام البعض بهذا الواجب ان امكنهم في بلادهم ، والا فبالنظر الى حيث تتوفر فرصة التفقه في الدين .

ونستوحي من هذه القيمة عدة امور :

الف : ان التفقه في الدين احد قيم التجمع المسلم ، مادامت الحاجة لم تتشبع بمن فيهم الكفاية . وتقدير ذلك اما الى علم الفرد ، او الى ولي الأمر .

باء : على الناس توفير وسائل التفقه في الدين ان لم يكن الأمر ممكنا من دونها ، مثل توفير المدارس والمدرسين ووسائل التعليم .

جيم : لايجوز لدولة تتوفر فيها فرصة التفقه في الدين ان تمنع طلبته من الدراسة فيها (التوبة/١٢٢) .

٦ / التفقه في الكلام مطلوب ، وبالذات في كلام الدعاة الى الله .

٧ / ضرورة الاعداد التربوي للحرب ، وذلك بالتعبئة الروحية ، ورفع مستوى الجنود عقائديا . (فان المؤمنين انتصروا في المعارك بفضل فقههم) ، وانهزم الاعداء بسبب عدم فقههم (الانفال/ ٦٥) و (الحشر / ١٣) .

في رحاب الاحاديث

ألف : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : " ايها الناس ؛ لا خير في دين لا تفقه فيه ، ولا خير في دنيا لا تدبر فيها ، ولا خير في نسك لا ورع فيه " . (١)

باء : عن ابان بن تغلب ، عن ابي عبد اللـه (عليه السلام) قال : " لوددت ان اصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا " . (٢)

جيم : عن بشير الدهان قال : قال ابو عبد اللـه (عليه السلام) : " لا خير فيمن لا يتفقه من اصحابنا يا بشير . ان الرجل منهم اذا لم يستغن بفقهه احتاج اليهم (اي المخالفين) ، فاذا احتاج اليهم ادخلوه في باب ضلالتهم ، وهو لا يعلم " .(٣)

دال : قال رسول اللـه (صلى اللـه عليه وآله) : " افضل العبادة الفقه ، وافضل الدين الورع " . (١)

هاء : عن حماد بن عثمان ، عن ابي عبد اللـه (عليه السلام) قال : " اذا اراد اللـه بعبد خيرا فقهه في الدين " . (٢)

واو : عن مفضل بن عمر ، قال : سمعت ابا عبد اللـه (عليه السلام) يقول : " عليكم بالتفقه في دين اللـه ، ولا تكونوا اعرابا . فانه من لم يتفقه في دين اللـه ، لم ينظر اليه يوم القيامة ، ولم يزك له عملا " (٣)

---

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ١ / ص ١٧٤
(2) الكافي / ج ١ / ص ٣١
(3) المصدر / ص ٣٣

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ١ / ص ٢١٧
(2) الكافي / ج ١ / ص ٣٢
(3) المصدر / ص ٣١

الجهل

ماهو الجهل ؟

ليس العاقل من يملك قدرة التعقل ، ولكنه الذي يستفيد من هذه المقدرة . كذلك الجاهل ليس الذي يفقد العقل ، ولكنه الذي لا يستضيء بنوره . ومن خلال التدبر في جملة الموارد التي جاءت فيها كلمة الجهل في كتاب الله تعالى ، نفقه هذه الحقيقة . واليك طائفة منها :

١ / البحث عن إله غير الله ، لكي يعبد معه - سبحانه - عين الجهل ؛ كما سعى إليه بنوا إسرائيل بعد عبورهم البحر ، حيث نهرهم النبي موسى (عليه السلام) ونعتهم

بالجهل . قال اللـه تعـالى : { **قَـالُوا يَامُوسَـى اجْعَلْ لَنَـآ إِلَـهـاً كَمَـا لَـهُـمْ ءَالِـهَـةٌ قَـالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلآءِ مُتَبَّرٌ مَاهُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ** } (الاعراف/١٣٨-١٣٩)

٢ / كما ان الدعوة إلى عبادة غير اللـه من أسوء ألوان الجهل . قال اللـه تعالى : { **قُلْ أَفَغَيْرَ اللـه تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** } (الزمر/٦٤)

٣ / والتكذيب بالرسالة (وما فيها من إصلاح الجاهلية ، وما فيها من المساواة والعدالة) إن ذلك التكذيب جهل كبير . قال اللـه تعالى : { **وَيَا قَوْمِ لآ أَسْـأَلُكُم عَلَيْـهِ مَـالاً إِنْ أَجْـرِيَ إِلاَّ عَلَـى اللـه وَمَـا أَنَـاْ بِطَـارِدِ الَّـذِينَ ءَامَنُـوا إِنَّـهُم مُلاَقُوا رَبِّـهِمْ وَلَكِنِّـي أَرَاكُمْ قَوْمـاً تَجْهَلُـونَ** } (هود/٢٩)

٤ / وقال اللـه تعالى : { **قَالُوا أَجِئْتَنَـا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَـآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللـه وَأُبَلِّغُكُم مَآ أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمـاً تَجْهَلُونَ**} (الاحقاف/٢٢-٢٣)

٥ / وعموما الكفر بالحق جهل ، كما إن الايمان به علم . (فسواء لا تعرف شيئا او تعرفه ولكن تعمل كمن لا يعرفه ، إنك في كلتا الحالتين لا تحصل على مزايا المعرفة) .

قال اللـه تعالى : { **وَلَـوْ أَنَّنَـا نَزَّلْنَـآ إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَـةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللـه وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ** } (الانعام/١١١)

٦ / ومن أبعاد الجهل اتباع الأماني (والأحلام والانقياد للعواطف والأهواء دون العلم والعقل) . ويصف القرآن طائفة من أهل الكتاب بالأميين ، لأنهم لم يستضيئوا بنور كتابهم الالهي ، بل فسروه كما شاءت أهواءهم . (وأي أمي أكثر جهلا ممن ترك الحق إلى الباطل ، والعلم إلى الهدى ؟) قال اللـه تعالى : { **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَيَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ** } (البقرة/٧٨)

٧ / والاستهزاء بالرسالة ، (والتلاعب بالأحكام الشرعية) نوع من الجهل . وعلى الانسان أن يستعيذ باللـه تعالى ، لكي يعصمه من خلط الحق والباطل في مجال الأحكام الشرعية . وقد اتهم بنوا إسرائيل النبي موسى (عليه السلام) بأنه يتخذهم هزوا ، حين أمرهم بذبح بقرة . فاستعاذ باللـه أن يكون من الجاهلين ، (الذين يأمرون الناس بأشياء لا

أساس لها من الدين) . قال الله تعالى : { **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** } (البقرة/٦٧)

٨ / وكذلك استعاذ النبي يوسف بالله ، لكي يصرف عنه كيد النسوة ، ولا ايصبوا اليهن فيكون من الجاهلين . قال الله تعالى : { **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِنَ الْجَاهِلِينَ** } (يوسف/٣٣)

ونستوحي من هاتين الايتين ؛ ان الارتفاع الى درجة العلم ، والتخلص من الجهل ، بحاجة الى عزم راسخ وتوكل على الله . وليس كل من يدعي علما بعالم ، ولا كل من يتبرء من الجهل قادر على التخلص منه بسهولة .

٩ / وقوم لوط حين تركوا السبيل السوي لقضاء وطرهم ، وأخذوا يأتون الرجال شهوة من

دون النساء ، نعتهم القرآن بالجهل . (أليس عقلهم وفطرتهم كان يهديهم الى ان النساء اطهر لهم مما ينحرفون اليه ؟ أوليس الذي يترك عقله جاهل ، حتى ولو شق الشعر من العلم ؟) قال الله تعالى : { **أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** } (النمل/٥٥)

١٠ / وكذلك نعت القرآن اخوة يوسف بالجهل ، إذ خالفوا فطرتهم السوية التي تدعوهم الى المحافظة على أخيهم الصغير الضعيف ، فإذا بهم يلقونه في غيابت الجب بلا ذنب إرتكبه . قال الله تعالى : { **قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ** } (يوسف/٨٩)

١١ / ومن أبعاد الجهل ، طلب مالا يكون . (والعاقل يعرف حدود صلاحيته فيسعى في حدودها ، بينما الجاهل يقوده الهوى والأماني إلى طلب المستحيل) . ونهى الله تعالى عباده من أن يتمنوا جبر الناس حتى يجتمعوا على الايمان ، (لأن سنة الله تأبى ذلك) . وقال الله تعالى : { **وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ** } (الانعام/٣٥)

العصر الجاهلي :

والجاهلية عصر يسود فيه الجهل في أكثر الحقول ، فإذا بالظن يخلف العلم ، والحمية تخلف التقوى ، وقانون الجور يسود بدل حكم الله ، والتبرج يخلف العفة .. وكل تلك الأبعاد تعود إلى حقيقة واحدة ، هي ترك العقل والعلم إلى الهوى والظنون .

١ / ولعل جذر مشاكل العصر الجاهلي إتباع الظن ، وتفسير الكتاب بالأماني (كما سبق في آية كريمة) . وقال الله تعالى (وهو يصف قوما اتبعوا الباطل) : { **وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللـه غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الاَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الاَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ** } (آل عمران/١٥٤)

٢ / وقيمة القيم عند المجتمع الجاهلي هي الحمية (العصبية التي من دونها لا تقوم له قائمة ، وهي التي من أجلها يعيشون ومن أجلها يموتون ؛ حمية العشيرة والقبيلة أو حمية الأرض والوطن أو حمية الحزب والطائفة) . بينما المجتمع الاسلامي قائم على أساس الحق وكلمة التقوى . قال الله تعالى : { **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللـه سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللـه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** } (الفتح/٢٦)

والحمية ميراث الكفر ، بينما التقوى ميراث الايمان . والحمية أساس الباطل لأنها تعطي الشرعية للهوى ، بينما التقوى أمل كل خير .

٣ / وتتحول الحمية إلى منظومة تشريعية شاملة لكافة الحقول ، مما تشكل حكم الجاهلية . بينما الاسلام منظومة متكاملة من الأحكام الالهية . قال الله عز وجل : { **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللـه حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** } (المائدة/٥٠)

وقد روي عن السكوني ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) انه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " من كان في قلبه حبة خردل من عصبية ، بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية " . (١)

---

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٧٠ / ص ٢٨٤ – عن الكافي / ج ٢ / ص ٣٠٨

روي عن منصور بن حازم ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) انه قال : " من تعصب او تعصب له فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ". (٢)

٤ / ومن مظاهر حكم الجاهلية تشجيع الميوعة في المجتمع ، وان النساء هناك يتبرجن بلا رادع . (وحين تتبرج المرأة فإن الرجل يغوى ، وينتشر الفساد الخلقي) . وقد نهى الله تعالى نساء النبي (وكل النساء) من هذا التبرج ، الذي نسبه الى العصر الجاهلي .قال الله تعالى : **{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى }** (الأحزاب / ٣٣)

الموقف من الجهل :

١ / والانسان بطبعه ظلوم جهول ، (وانما عليه ان يتحدى هذا الطبع الذي يجهله) . يخالف الحق (ظلوم) ، ولا يعمل وفق العقل (جهول) . فإن الأمانة التي احتملها كبيرة (ولن يؤديها إلا بالتوكل على الله وبعزم راسخ وارادة لا تلين) . قال الله تعالى : **{ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }** (الاحزاب/٧٢)

٢ / وعليه ان يتبين في امـوره ، ولا يعتمد على قول الفاسق ، (لانه ليس بثقة) فإنه يورث الندم . قال الله تعالى : **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }** (الحجرات/٦)

٣ / بل على الانسان ان يتأكد من كل خطوة قبل أن يسعى بها . (فكل خطوة تحمل في طياتها امكانية الزلة ، إلا إذا خطاها البشر بعلم) . من هنا أمرنا الله أن لا نتبع مالا علم لنا به . اذ قال الله تعالى : **{ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ الْسَّمْعَ وَالْبَصَرَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }** (الاسراء/٣٦)

(2) المصدر / ص ٢٨٣ – عن الكافي ج ٢ / ص ٣٠٧

٤ / وعليه أن يتوب فورا إذا ارتكب عملا نابعا عن الجهل . (اذنب ذنبا اتباعا لهوى او غضب) . فإن من تاب وأصلح يتوب الله عليه ، (ويصلح نفسه ويطهر حياته من آثار ذلك الذنب) . قال ربنا الرحمن : **{ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }** (الانعام/٥٤)

٥ / وقال الله تعالى : **{ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }** (النحل/١١٩)

٦ / ولا يجوز تأخير التوبة الى حين الموت ، فإن التوبة ليست له . قال الله تعالى : **{ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ }** (النساء / ١٧ - ١٨)

الموقف من الجاهلين :

١ / والموقف من الجاهلين الاعراض عنهم وعدم ابتغائهم ولا إتباعهم . أما عن الاعراض عنهم ، فقد جاء في صفات المؤمنين قول الله تعالى : **{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً }** (الفرقان /٦٣)

٢ / وقال الله سبحانه : **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}** (الأعراف / ١٩٩)

٣ / وعن ابتغائهم يقول الله تعالى : **{ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ }** (القصص /٥٥)

فالنبي لا يسعى نحو جذب الجاهلين بأية قيمة ، حتى ولو كانت على حساب المبادئ . فإذا لم يستجيبوا لتلك المبادىء ، فإنه ينبذهم نبذا .

٤ / وهكذا لا يجوز إتباع الذين لا يعلمون ، فإن في اتباعهم الضلالة والغواية . قال الله تعالى : **{ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ }** (يونس/٨٩)

ونستوحي من هذه الآية ؛ ان المؤمن بحاجة الى الاستقامة ، لتحدي ضغوط الجاهلين ، حتى يرفض سبيلهم ولا يتبعه .

بصائر الآيات

١ / ليس الجهل فقدان العقل ، بل عدم الاستضاءة بنوره . وعين الجهل البحث عن إله غير الله او الدعوة الى عبادة غير الله او التكذيب بالرسالة او الكفر عموما .

٢ / ومن الجهل اتباع الاماني ، والاستهزاء باحكام الدين ، والصباوة (الى النساء) والفاحشة والحسد ، والمطالبة بتغيير سنن الله تعالى .

٣ / والجاهلية عصر يسوده الجهل (بالمعنى الاوسع للكلمة) ؛ فاذا بالظن يخلف العلم ، والحمية تخلف التقوى ، واحكام الله تستبدل بقوانين ظالمة ، والتبرج يخلف عفة النساء .

٤ / والانسان ظلوم جهول بطبعه . فهو يخالف الحق بظلمه ، ويتبع الهوى بجهله .

٥ / وعلى الانسان ان يتبين في اموره ، ولا يعتمد على قول الفاسق فيندم ؛ بل عليه ألاّ يقف ما ليس له من علم ، فان احاسيسه وتفكيره في اطار مسؤوليته .

٦ / وعليه ان يتوب فور ما يرتكب جهالة حتى يتوب الله عليه ، ولا يجوز ان يؤخر التوبة الى حين الوفاة .

٧ / وينبغي الاعراض عن الجاهلين (بالسلام عليهم توديعا ، وترك المراء معهم ، وعدم
ابتغائهم) .

فقه الآيات

١ / لايجوز ابتغاء الحكم الجاهلي ، واتباع قيمهم ومناهجهم ، واساس مجتمعهم ودولتهم . (الاعراف / ١٣٨) . وتفصيل القول في ذلك ، ما نتلو عليك :

الف : الجاهلية تتبع الهوى ، وتقوم حياة المجتمع الجاهلي على اساس الحمية (العصبية) ، وعلى المسلمين اقامة بنيانهم على اساس التقوى ، ونبذ كل حمية (عصبية) ، واتباع الحق في مواقفهم وعلاقاتهم .

فاذا كان الكفار يقيمون تجمعهم ومجتمعهم على أساس العنصرية ، ويستضعف بعضهم بعضا ، كما كان نظام فرعون قديما ، ونظام الصهاينة اليوم . فان المسلمين لايتخذون إله العنصرية من دون الله (الاعراف / ١٣٨) .

وإذا كان بعض الجاهليين يتعصبون لقومهم وينادون بالقومية ، (كما كان النظام النازي سابقا). فان المسلمين ينادون بشعار لا إله إلا الله .

وإذا كانت الأرض والاقليم والوطن قيمة اساسية في بعض المجتمعات الجاهلية ، فان قيمة المسلمين الحق والامة القائمة على اساسه .

وهكذا لايجوز للمسلمين تقليد الجاهلية في اقامة دولتهم ومجتمعهم .

باء : والدولة القائمة على اساس الحمية مرفوضة عند المسلمين ، لانها سلطة جاهلية (الفتح/٢٦) و (المائدة / ٥٠) .

جيم : وكذلك السلطة القائمة على اساس القوة ، فهي مرفوضة . وقد طالب الجاهليون النبي (صلى الله عليه وآله) ان يتقاسم السلطة معهم إذا هم نصروه ، فنعتهم القرآن بالجهل (آل عمران/١٥٤) .

٢ / الثقافة الجاهلية قائمة على اساس الظنون والاماني ، ولا يجوز للمسلم ان يعتمدها في

حياته . وتفصيل ذلك فيما يلي :

ألف : انهم اتخذوا الدين اماني ، فقالوا لايعذبنا الله إلا اياما معدودة . والمسلم يتبع الحجة في دين ربه (البقرة / ٧٨) .

باء : اتخذ كبراؤهم الناس هزوا ، ولا يجوز لعلماء المسلمين ان يتخذوا الناس هزوا ؛ يغرونهم بالاماني ، او يأمرونهم بما ليس في الدين من الخرافات (البقرة / ٦٧) .

جيم : ومن الجهل ان يدعو الانسان ربه بما يخالف سننه في خلقه ؛ مثلا ان يدعو لهداية الناس بالكره (الانعام / ٣٩) ، او يدعو لنجاة من ليس من أهل النجاة (كما دعا نوح ربه بنجاة ابنه فوعظه الله بأن لايكون من الجاهلين) (هود / ٤٥ - ٤٦) .

٣ / الهوى هو محور التجمع الجاهلي ، بينما كلمة التقوى هي اساس التجمع الايماني .

ولا يجوز للمسلمين ان يجعلوا اهواءهم في علاقاتهم ، والتي تتمثل فيما يلي :

الف : الحسد الذي يدعو الناس الى التنابز بالالقاب ، والتعالي على بعضهم ، والتعاون على الإثم والعدوان . كل ذلك مرفوض ، بينما التعارف والتحابب والتعاون على البر والتقوى هو شعار التجمع الايماني (يوسف / ٨٩) .

باء : المسلون يتبعون الحق والدعاة اليه ، ولا يتبعون الفاسق فيما يحمل اليهم من انباء (هدفها إشاعة الفحشاء والبغضاء) (الحجرات / ٦) .

جيم : على المسلمين ان يطهروا قنوات المعرفة عندهم ، فلا يخطوا ولا خطوة واحدة إلا بعلم (الاسراء / ٣٦) .

ومن هنا فان اجهزة التجسس ونقل الاخبار ، لابد ان تكون نظيفة من الفاسقين والمعقدين ، والباحثين عن السلطة .

٤/ الاحكام الشخصية في النظام الجاهلي تميل مع الشهوات الجامحة ، بينما النظام الالهي قائم على اساس التقوى وضبط الشهوات . وفيما يلي تفصيل القول :

الف : التبرج الجاهلي مرفوض في الاسلام ، وعلى المرأة ان تتزين بالحجاب والعفاف ، وان تستقر في البيوت (الاحزاب / ٣٣) .

باء / وعلى الرجال ان يكتفوا بنساءهم ، ومن اشد المنكرات الشذوذ الجنسي عندهم كما كان عند قوم لوط الجاهليين. (النمل / ٥٥)

جيم : وتحرم الصباوة على الفتيان ، والفتيات والبحث عن تفريغ الشهوات بعيدا عن عصمة الزوجية (يوسف / ٣٣) .

في رحاب الاحاديث

١ / في كشكول الشيخ البهائي عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال : " اربع من خصال الجهل ؛ من غضب على من لا يرضيه ، وجلس الى من لا يدنيه ، وتفاقر الى من لا يغنيه ، وتكلم بما لا يعنيه " . (١)

٢ / عن السكوني ، عن جعفر عن ابيه (عليهما السلام) قال : قال امير المؤمنين (عليه السلام) : " ان قلوب الجهال تسفزها الاطماع ، وترتهنها المنى ، وتستعلقها الخدائع " . (٢)

(1) سفينة البحار / ج ١ / ص ١٩٧
(2) الكافي / ج ١ / ص ٢٣

العجب من الحق

١ / حين يواجه المرء حدثا عظيما لم يألفه ، يمتلىء عجبا . (والعجب هنا حالة فطرية ، ولكنه قد يصبح شذوذا اذا كان سببا للاستهزاء والانكار) . وقد عجب الرسول (صلى الله عليه وآله) بالقرآن الكريم ، وما فيه من آيات عظيمة وبلاغة نافذة ، ولكن المشركين (لم يستوعبوا القرآن فطفقوا) يستهزئون به . (وهذا هو الفرق بين عجب مطلوب ، وآخر مرغوب عنه) . قال الله تعالى : **{ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُونَ }** (الصافات/١٢-١٣)

٢ / وكذلك الجن عجبوا من القرآن ، حينما سمعوه . (فهم استوعبوه وحملوه رسالة الى قومهم) . فقال الله تعالى عنهم : **{ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً }** (الجن/١)

٣ / ويتساءل السياق القرآني في خاتمة سورة النجم ، عن تعجب الناس من حديث الاخرة واهوالها ، وكيف أنه عجب يؤدي إلى الضحك (واللامبالاة والاستهزاء) بدل أن يؤدي إلى البكاء (والجدية والاستعداد) ، ويأمرهم بالسجود والعبادة (لأنهما يرفعان البشر إلى حيث الاستعداد للاخرة) . قال الله تعالى : **{ أَزِفَتِ الأَزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّه كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا }** (النجم/٥٧-٦٢)

٤ / ومن أشد ما يثير عجب البشر قضايا العقيدة ، (التي هي الحقائق الكبرى والتي لا يستوعبها البشر بسهولة) . وأبرزها توحيد الله ، ثم الايمان بالاخرة والرسالة . أما عن التوحيد فيقول الله تعالى : **{ أَجَعَلَ الأَلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }** (ص/٥)

٥ / وأما عن الاخرة ، فإن الكفار لم يستوعبوا قدرة اللـه تعالى على إعادة البشر إلى الحياة بعد أن أصبح ترابا . والحقيقة ان العجب ، إنما هو منهم . كيف لم يفقهوا هذه الحقيقة بعد أن شاهدوا آيات اللـه في الخليقة ؟ من هنا يقول اللـه تعالى : { **وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** } (الرعد/٥)

٦ / أما عن الرسالة ، فإن عجبهم (الذي جعل البعض منهم يكفرون بها ، إنما كان) من أن يبعث اللـه واحدا منهم نذيرا . فقال اللـه تعالى : { **أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** } (الاعراف/٦٣)

ولا ريب ان العجب يتبدد عندما يعرف الانسان تكرار هذه الحقيقة عبر التأريخ ، وإن الانسان بحاجة إلى هذا الانذار ، وإن تلك الحقيقة منسجمة مع سائر حقائق الخليقة .

٧ / وقال اللـه تعالى : { **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ** } (يونس/٢)

وإذا تدبرنا في سياق الآيات في قصة الانذار ، نجد كيف أن هذا العجب يتبدد مع معرفة حقائق الخلق وسنن اللـه فيه ، ومعرفة اسماء اللـه الحسنى من القدرة والحكمة والرحمة . ولكن الكافرين لم يستوعبوا الحقيقة ، فتراهم يتهمون النبي رأسا بالسحر . (وهذا بالذات هو المنزلق الذي ينبغي أن يتجنبه الانسان عند مواجهة الحقائق) .

٨ / ومن هنا فإن القرآن في سورة (ص) يبدد هذا العجب ، ببيان جملة حقائق تتصل بالخليقة ، ومنها تجليات أسماء اللـه الحسنى في الخلق . ويقول اللـه تعالى : { **وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** } (ص/٤)

وقول اللـه تعالى : { **وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ** } . جاء في تفسير علي ابن ابراهيم :

نزلت بمكة لما اظهر رسول اللـه (صلى اللـه عليه وآله) الدعوة ، اجتمعت قريش الى ابي طالب

فقالوا : يا ابا طالب ؛ ان ابن اخيك قد سفه احلامنا ، وسب آلهتنا ، وافسد شبابنا ، وفرق جماعتنا ، فان كان الذي يحمله على ذلك العدم ، جمعنا له مالا حتى يكون اغنى رجل في قريش ، ونملكه علينا . فأخبر ابو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك فقال : " لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، ما اردته " . ولكن يعطوني كلمة يملكون بها العرب ، وتدين لهم بها العجم ، ويكونون ملوكا في الجنة . فقال لهم ابو طالب (عليه السلام) ذلك . فقالوا : نعم ؛ وعشر كلمات . فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " تشهدون ان لا اله الا الله ، واني رسول الله " ، فقالوا : ندع ثلاثمأة وستين الها ، ونعبد الها واحدا ؟ . فأنزل الله سبحانه **{ وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ }** . (١)

وهذا النوع من العجب نابع من سذاجة التفكير ، وعدم خشية العذاب ، والغرور بالحياة الدنيا . ومن تفوق على هذه الصفات السيئة في ذاته ، فإنه لا يتعجب من حقيقة الانذار .

٩ / وإذا نظرنا الى آيات الله في الخلق ، عرفنا قدرة الرب التي لاتحد . فلا نتعجب من بعض آياته في الخلق ، مثل قصة اصحاب الكهف والرقيم . قال الله تعالى : **{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَباً }** (الكهف/٩)

في الخرايج والجرايح عن المنهال بن عمرو قال : والله انا رأيت رأس الحسين (عليه السلام) حين حمل وانا بدمشق ، وبين يديه رجل يقرأ الكهف حتى بلغ قوله : **{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَباً }** ، فأنطق الله تعالى الرأس بلسان ذرب طلق قال : أعجب من اصحاب الكهف ، حملي وقتلي . (٢)

١٠ / كذلك القصص الخارقة التي وقعت في التاريخ ، مثل كرامة الله لابراهيم (عليه السلام) ، حيث رزقه الله ولدا من عجوز عقيمة ، وكان يومئذ شيخا كبيرا . قال الله تعالى : **{ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا**

(1) تفسير نور الثقلين / ج ٤ / ص ٤٤٢ – ٤٤٣
(2) المصدر / ج ٣ / ص ٢٤٣

أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللـه رَحْمَةُ اللـه وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّـهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ } (هود/٧٢-٧٣)

فحين تكون رحمة اللـه وبركاته على اهل هذا البيت ، فلماذا العجب من ولد يخلقه اللـه بين امرأة عجوز وبعل شيخ ؟

بصائر الآيات

١ / العجب هو الحالة التي تطرء على الانسان ، عند مواجهته حدث لم يألفه .

٢ / ومن العجب ما هو مطلوب ، حين يؤدي الى التسليم ، كما عجب الرسول بالوحي ، والجن عندما سمعوا القرآن . ولكن من العجب ما هو غير مطلوب ، حين يؤدي الى الاستهزاء ، كما يعجب الناس من اهوال القيامة .

٣ / وقضايا العقيدة من اشد ما تثير العجب . فقد اعتبر الكفار الدعوة الى التوحيد شيئا عجابا ، وكان من عجيب قولهم : كيف يعيد اللـه البشر بعد ان يكون ترابا ، وان الكفار عجبوا من الرسالة كيف تهبط على رجل منهم .

٤ / ويتبدد العجب بالتدبر في اسماء اللـه الحسنى (القدرة الواسعة ، والحكمة البالغة ، والوعد والوعيد) . فمعرفة اللـه باسمائه وسننه تخرج البشر من جهله الذي يدعوه الى العجب .

فقه الآيات

١ / على المؤمن ان يعظم الحقائق ، ويسلم لها ، ولا ضير من ان يتعجب بها ، ان لم يكن يألفها ، (الصافات /١٢-١٣) .

٢ / ولكن لايجوز استنكار الحقيقة والاستهزاء بها ان لم يكن يألفها ، بل عليه ان يسجد لعظمة اللـه حتى لاينكر حقيقة لغرابتها عليه (النجم /٥٧-٦٢) .

٣ / ولا يجوز انكار فضل انسان الهي استصغارا له - والعياذ بالله - كما فعل المجرمون ، فانكروا فضل الانبياء (عليهم السلام) (يونس/٢) .
٤ / واذا انبأت بخبر عجيب من آيات الله في الخلق او كراماته الظاهرة عند اولياءه (عليهم السلام) ، فلا تستنكر عجبا ، فانه بمثابة الشك في قدرة الخالق التي لاتحد (الكهف/٩) .

الريب

ما الريب وما الشك ، وماهي علاقتهما بالكفر ، ومدى مسؤولية البشر عنهما ، ولماذا لاريب في الحقائق الكبرى (الله - الدار الاخرة - الرسول - الأجل) ، وكيف يبدد القرآن شك الغافلين ؟ ؟

حول هذه المحاور نتدبر آيات الذكر . والمحور الأول ، في معنى الريب والشك الذين يبدوان مترادفين ، ولكن بينهما بعض الفروق .

ابعاد كلمتي الريب والشك :

يبدو ان الشك اصله التداخل بين امرين او امور مختلفة ، بينما الريب هو اختلاط الامر عند الانسان . والشك المريب ، هو الشك الذي يخلط الوجوه عندك .

وريب الدهر ، صروفه . وقال ابن فارس عن الشك : " يدل على التداخل من ذلك قولهم شككته بالرمح وذلك اذا طعنته فداخل السنان جسمه " .(١)

وقال عن الريب : " والريب مارابك من امر ، فيقول رابني هذا الامر اذا ادخل عليك شكا وخوفا " . (٢)

فالشك مرحلة ما قبل الريب . والشك اقرب الى حالة عقلية ، بينما الريب اقرب الى الحالة النفسية .

١ / ومن خلال التأمل في القضايا الحياتية المعاشة وابعاد الشك او الريب فيها ، نستطيع ان نعرف ابعاد هذه الكلمات في الحقائق الكبرى ، والقضايا العقائدية . مثلا قصة الشهادة في الوصية التي يجب ان تكون من قبل اثنين ذوي عدل من المؤمنين ، اما عند وفاة المرء في السفر وعدم وجود عدول المؤمنين ، فاثنان من غيرهم ، وعليهما ان يقسما من بعد الصلاة بالله ألاّ نشتري به ثمنا ، حتى ولو كان ذا قربى ، وألاّ نكتم الشهادة . ترى ان السياق القرآني يستخدم كلمة " ان ارتبتم " (شككتم) . قال الله تعالى : **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّآ إِذاً لَمِنَ الآثِمِينَ }** (المائدة / ١٠٦)

٢ / كذلك في قضية الطلاق بالنسبة الى اليائسة من المحيض ، اذا شك في امرها وهل هي حامل ام لا ، هناك ايضا استخدم القرآن كلمة " ارتبتم " أي داخلكم الريب وتوقع وجود الحمل . قال الله تعالى : **{ وَالاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ وَالاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ }** (الطلاق / ٤)

الريب مسؤولية البشر :

(1) مقاييس اللغة / ج ٣ / ص ١٧٣ / طبعة قم – ايران
(2) المصدر / ج ٢ / ص ٤٦٣

والانسان مسؤول عن الريب الذي يداخله ، بسبب خور عزمه وضعف ارادته ، وخوفه من وعي الحقيقة ، وعدم استضاءته بنور عقله . كما انه هو المسؤول عن ضلالته وكفره ، وان الله قد اتم عليه حجته وأقام له ما يكفيه من البراهين ، ونصب له ما يهديه من الادلة ، واعطاه من العقل ما يبدد كل ريب يداخل قلبه . ولكنه يتربص ويرتاب بسوء اختياره . وهكذا يكون من

مسؤولية كل فرد تبديد الريب عن نفسه ، والسعي نحو الايمان .

١ / وحين يلتقي المنافقون بالمؤمنين في يوم القيامة يسألونهم قبسا من نورهم ، فيقول المؤمنون : ارجعوا الى الدنيا والتمسوا نورا . فيقول المنافقون : كنا نحن معكم . فيجيب المؤمنون : بلى ؛ ولكنكم ضللتم بسوء اختياركم ، حيث تعرضتم للفتن (والشهوات) ولم تبادروا الى التوبة والايمان ، واخترتم الريب ، وغرتكم الأماني . يقول الله تعالى : { **يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَآءَ أَمْرُ اللـه وَغَرَّكُم بِاللـه الْغَرُورُ** } (الحديد/١٤)

٢ / وعن المنافقين الذين تراهم في الحرب يستأذنون الرسول (ويتهربون من الحرب) ، يقول الله تعالى : { **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بِاللـه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ** } (التوبة/٤٥)

٣ / والمبطلون يفتشون عن اي تبرير (او ثغرة في جدار البرهان) ، لكي ترتاب قلوبهم . ومن هنا فان الرسول (صلى الله عليه وآله) ما كان يتلو من قبل الرسالة كتابا ولا يخطه بيده ، لكي لايجد المبطلون تبريرا لريبهم . قال الله تعالى : { **وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** } (العنكبوت/٤٨)

ان الريب لو كان له ما يبرره حقا ، لكان العقلاء يداخلهم الريب . ولكن باعتبار انه لم يكن صحيحا ، ارتاب المبطلون وحدهم . مما يدل ان الارتياب من فعل الانسان ، وليس من طبيعة القضية المطروحة للنقاش .

٤ / وحين جعل الله اصحاب النار تسعة عشر ، فانما فتن بذلك الناس . فاما الكفار فقد سقطوا في الفتنة ، واما المؤمنون فقد ازدادوا ايمانا (ولم يرتابوا) . قال الله تعالى : { **وَمَا**

جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلآئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللـه بِهَذَا مَثَلاً } (المدثر / ٣١)

اننا نستوحي من هذه الاية ؛ ان مسؤولية الريب على عاتق الانسان ، فمن اكمل فكره وعقله

وآمن ، هداه اللـه الى اليقين (فلا يرتاب) . ومن كان في قلبه مرض ، ارتاب واخذ يتساءل ما

هذا المثل .

٥ / وهكذا كان من صفة المؤمنين ، انهم لايرتابون ، لان الايمان حقا نفي للشك والريب . قال اللـه تعالى : **{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللـه وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ**

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللـه أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (الحجرات/١٥)

٦ / وقد يكون عمل من اعمال الانسان ، سببا لاثارة الريب في نفسه ، كما أصبح بنيان مسجد الضرار ريبة في قلوب المنافقين . قال اللـه تعالى : **{ لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللـه عَلِيمٌ حَكِيمٌ }** (التوبة/١١٠)

٧ / وقد عكس اعراضهم عن حكم الرسول ؛ عكس ريبهم ، ومرض قلوبهم ، وخوفهم من حكم الرسول . قال اللـه تعالى : **{ أَفِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللـه عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** (النور/٥٠)

٨ / وعلى الانسان ان يبدد شكه ولايرتاب ، ومن هنا فان اللـه تعالى نهى عن الريب في الرسالة (وهكذا الريب من فعل الانسان) . قال اللـه تعالى : **{ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الاَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ}** (هود/١٧)

وهكذا ينبغي ان يتفكر الانسان في آيات الله التي تهديه الى الحقائق ، ومن ثم يبدد الشكوك والوساوس الشيطانية التى ترتاده .

٩ / وهكذا يتحدى القرآن الذين ارتابوا في الرسالة ، ويأمرهم بأن يأتوا بمثل القرآن . (وبسبب عجزهم سوف يعرفون صدق الرسالة ، وانها من عند الله تعالى . وهذا نوع من تبديد الريب الطارئ على الانسان) . قال الله تعالى : { **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُمْ مِنْ دُونِ اللـه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } (البقرة/٢٣)

١٠ / ومن ذلك ان الله تعالى يأمرنا بالسؤال ، لكي يبدد الشك (ان كانت هناك نية خالصة لدى الفرد) . يقول الله تعالى : { **فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّآ أَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** } (يونس/٩٤)

١١ / وكذلك يخبرنا الله تعالى بآية خلقه ، وشهادة ذلك على قدرته المطلقة (مما يدعونا الى النظر والتدبر لتبديد الشك) . يقول الله تعالى : { **يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ** } (الحج / ٥)

عقبى الارتياب :

ولان الارتياب مسؤولية البشر ، فان عقبى المرتاب العذاب . وان صفة الريب من صفات الكفار ، التي يستوجبون بها العقاب .

١ / فحين يلقى الكفار في نار جهنم ، يعلن عن سبب عذابهم . قال الله تعالى : { **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ** } (ق/٢٤-٢٥)

وهكذا جاء الريب الى جانب صفات الكفر والعناد ، ومنع الخير والاعتداء ، وهي كلها صفات سيئة للغاية .

٢ / وحتى في الدنيا ، فان عاقبة الريب الضلالة . قال الله تعالى : **{ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّآ جَآءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللـه مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللـه مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ }** (غافر/٣٤)

٣ / وكذلك حذر الله تعالى ، الذين يشكون في ذكر الله (الكتاب) من عقابه . قال الله تعالى : **{أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ }** (ص/٨)

الحقائق لاريب فيها :

يزعم الانسان انه حين يكفر بحقيقة يتخلص من مسؤوليتها ، ولا يدري ان مسؤوليته تتضاعف في تلك الحالة . ذلك ان من اعظم مسؤوليات الانسان امام الحقائق ، هو الايمان بها والاعتراف ، وان اكبر الظلم هو انكار الحق . ومثل الانكار الشك ، فاذا ارتاب البشر في حقيقة ، انبعاثا من عامل نفسي ، فانه يزداد اثما ، اذ الحقائق لاريب فيها . وانما الانسان الذي يرتاب فيها ، يرتكب خطيئة كبرى ، لانه لايستضيء بنور العقل الذي زود به ، ولا يستقبل آيات الحقائق الظاهرة . وانما يكفر ويرتاب ، ولايزداد الا ضلالا واثما .

ولعل تأكيد القرآن الحكيم على عدم وجود مبرر للريب في الحقائق الكبرى (الايمان بالله واليوم الاخر والرسالة) ، يهدف - فيما يهدف - انتزاع هذه الفكرة الخاطئة التي يوحي بها

الشيطان الى البشر ، وهي ؛ ان التشكيك في الحقائق طريق الفرار من مسؤولية الايمان بها .

١ / ومن هنا قطع الانبياء حبل الجدل ، الذي كانت بعض الأمم تحاول التمسك به في أمر الالوهية ، فنفوا الشك في الله . قال الله تعالى : **{ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللـه شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً قَالُوا إِنْ**

أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } (ابراهيم/١٠)

٢ / والقرآن بذاته نفي للريب ، وهو يثير العقل ويجليه ، ويطهر النفس من حجبها المانعة عن وعي الحقائق ، ويقيم الحجج حتى تشهد النفوس الزكية الحقائق مشاهدة . واذا شك أحد في الكتاب ، فانما بسوء اختياره ، كمن سد عينه عن ضوء الشمس . قال الله تعالى : **{ الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلمُتَّقِينَ }** (البقرة/١-٢)

فالكتاب هدى ، والهدى نقيض الضلالة ، وهو ينفي الشك نفيا قاطعا ويورث اليقين . ولكن الذي اتقى (الخطايا ، والتي تحجب الانسان عن الحق) ، هو الذي يستفيد . اما الفاجر فيكون عليه عمى ويزيده ضلالة .

٣ / وقال الله تعالى : **{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ }** (السجدة/٢)

٤ / وقال تعالى : **{ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللـه وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ }** (يونس/٣٧)

وحين يكون الكتاب من رب العالمين ، فانه لايكون فيه ريب . وكذلك حين يصدق الرسالات السابقة ويفصل الحقائق تفصيلا ، انه ينفي الريب ، ويورث الهدى واليقين ، لمن كان له اهلا .

٥ / وكذلك الساعة (يوم القيامة) لاريب فيها . ان كل حقائق العالم تشهد بحكمة الله وقدرته ، ومسؤولية البشر - وبالتالي - بامكانية العودة وضرورته . قال الله تعالى : **{ اللـه لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ }** (النساء / ٨٧)

٦ / وقال تعالى : **{ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ }** (آل عمران / ٢٥)

٧ / وقال الله سبحانه عن لسان المؤمنين : **{ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ}** (آل عمران / ٩)

٨ / وقال تعالى : **{ قُل لِمَن مَا فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ }** (الانعام / ١٢)

٩ / وبالرغم من ان الاخرة لاريب فيها ، فان الكافرين يصرون على انكارها عتوا ، كما ينكرون سائر الحقائق الواضحة . ليس لنقص في شواهد الاخرة وآياتها ، وانما لعناد منهم ، وحجاب يحيط بقلوبهم . قال الله تعالى : { **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللـه حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** } (الجاثية/٣٢)

ترى كيف ان هؤلاء حولوا ما لاريب فيه ، الى مادة للظن وما أورثهم يقينا .

الشك في الحقائق الكبرى ضلالة :

١ / والشك في الحقائق الكبرى ، ضلالة كبرى ، ناشئة من الكفر بها . (والكافر لايسلم للحق انى كانت آياته واضحة ، وقصة الانبياء والامم اكبر شاهد) . قال الله تعالى : { **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللـه جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِ وإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ** } (ابراهيم/٩)

لقد كفروا بالرسالة ، ثم شكوا في مفرداتها . انهم قد خالطهم الخوف والتردد ، وخشوا من عاقبة قبول الدعوة ، ولم يكن لشكهم اي تبرير عقلي ، بل كان نابعا من كفرهم وجحودهم وعنادهم .

٢ / وكذلك قوم صالح ، حين حمل النبي صالح اليهم رسالة ربه ، راعهم ترك آلهتهم ، فاعتذروا بالشك في أمره . (وحتى الناقة التي اخرجها لهم ، وكانت آية مبصرة لم تجدهم نفعا ، بل عمدوا اليها فعقروها . لعلهم ارادوا - بذلك - تبرير شكهم النابع من شركهم بالله) . قال الله تعالى : { **قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَآ أَتَنْهَانَآ أَن نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْه مُرِيبٍ** } (هود/٦٢)

٣ / وقد بين ربنا شك هؤلاء في الاخرة ، ثم بين - مباشرة - كفرهم بها ، مما يهدينا الى ان سبب شكهم هو كفرهم . قال الله تعالى : { **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِنْهَا عَمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً وءَابَآؤُنَآ أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ** } (النمل/٦٦-٦٧)

٤ / ويبدو ان احد اسباب الشك في الرسالات ، اتباع المصالح ، والذي يسبب الاختلاف بين الناس . فاذا دعوا للتحاكم الى الحق والى الرسول شكوا ، والحقيقة انهم لم يؤمنوا حتى يشكوا ، بل تظاهروا بالايمان . قال اللـه تعالى : **{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ }** (هود/١١٠)

٥ / وان الاختلاف الذي ينشأ في الجيل الثاني بعد الرسالة ، انما هو ناشئ من هذا الشك المريب . قال اللـه تعالى : **{ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيَاً بَيْنَهُمْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)** (الشورى/١٤)

ترى كيف نشأ اختلافهم بعد ان جاءهم العلم ؟ وانما كان الاختلاف بسبب البغي (وظلم بعضهم لبعض ، ومحاولة التعالي من قبل بعض على البعض الاخر) . وهكذا كان الشك المريب دليلا على عدم رسوخ الايمان في نفوسهم . ذلك الايمان الذي يتحدى المصالح والاهواء ، ويورث التحابب والتآلف .

٦ / وهكذا يخبرنا اللـه عن بني اسرائيل ، كيف كانوا يضمرون الشك قبل موت النبي يوسف (عليه السلام) ، فلما هلك زعموا ان اللـه لن يبعث من بعده رسولا . ويذكرنا القرآن بان اللـه يضل المسرف المرتاب ، (مما يدل على ان سبب ضلالة المسرف المرتاب هو اسرافه وارتيابه ، وهما ناشئان من سوء اختياره ، وانهما يوجبان الضلالة) قال اللـه تعالى : **{ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّآ جَآءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللـه مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللـه مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ }** (غافر/٣٤)

بصائر الآيات

١ / الاختلاط بين امرين شك ، وبين الامور ريب . وهكذا الشك حالة قبل حالة الريب ،

بينما الريب اشد من الشك اختلاطا .

٢ / وانما الانسان مسؤول عن شكه بسبب خور عزمه وتهيبه من الحقيقة ، بعد ان اتم الله حجته عليه ، واتاه نورا يعرف به الحق . ولكنه تربص وارتاب ، وفتن نفسه بسوء اختياره .

٣ / يلتقي المنافقون يوم القيامة بالمؤمنين فيسألون قبسا من نور ، فيحملهم المؤمنون مسؤولية شكهم في الدنيا .

٤ / وعند لقاء العدو ترتاب قلوب المنافقين ، ويفتش المبطلون عن اي تبرير حتى يكفروا بالرسالة ، (كما لو كان الرسول يخط شيئا بيمينه . وهكذا كان مصدر ريبهم فتنة النفس وخداع الذات) .

٥ / وقد يمتحن الله عباده فيجزيهم بأمر غير مألوف ، فيرتاب الكفار ، بينما يزداد المؤمنون ايمانا . وهكذا المؤمنون هم الذين لا يرتابون ، بينما المنافقون جعلوا بنيانهم ريبة في قلوبهم . وقد عكس اعراضهم عن حكم الرسول ، ريبهم ومرض قلوبهم وخوفهم من حكم الرسول .

٦ / وعلى المؤمن ان يبدد ريبه ، (وان يبحث عن الحجة . وهكذا) يتحدى القرآن الذين ارتابوا في الرسالة بان يأتوا بمثله ، (واذ هم فشلوا فعليهم الايمان) .

٧ / والسؤال هو وسيلة من وسائل تبديد الريب ، وهكذا يبدد الريب النظر في آيات الله .

٨ / وعقبى الارتياب في الدنيا الضلالة وربما العذاب ، وفي الاخرة جهنم .

٩ / الحقائق الكبرى لا ريب فيها ، ولا يتخلص البشر من مسؤوليتها بالشك ، بل تتضاعف مسؤوليته ان افتعل الريب حتى يبرر كفره بها .

١٠ / وقد تساءل الرسل استنكارا : **{ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}** (ابراهيم/١٠) .

١١ / والقرآن ينفي الريب . أليس يثير دفائن العقل ، ويطهر القلوب من حجبها ، ويقيم الحجج ، ويذكر بالحقائق حتى يشهدها العقل ؟ فهو اذا لا ريب فيه .

١٢ / والكتاب من رب العالمين ، وفيه تصديق الذي بين يديه وتفصيل . الكتاب فهو لا ريب فيه ، (لان من عرف الله باسماءه ، عرف انه لو انزل كتابا لكان مثل هذا الكتاب . ومن عرف
الكتب السابقة ، عرف ان هذا الكتاب انما هو تصديق ما فيها وتفصيلها) .
١٣ / والساعة لا ريب فيها . (فقد كتب الله على نفسه ذلك ولن يخلف الله وعده ، وكل حقائق الحياة تشهد بها ، والكافرون انما يصرون على انكارها عتوا) .
١٤ / ومن اسباب الشك المفتعل ؛ الكفر بالوحي ، واتباع الاباء ، والبغي .

فقه الآيات

١ / لكي لا تضيع الحقوق ، شرع الدين الشهادة بالقسم ، حيث امر بان يستحلف اللذان يتهمان بكتمان الوصية ، وذلك عند اقامة الصلاة (حيث حضور الناس وحيث الجو الايماني) (المائدة / ١٠٦) . ونستفيد من الآية عدة بصائر :
الف : ضرورة التحري عن الحقيقة ، وقطع الشك باليقين .
باء : ايقاظ وجدان الناس عبر الاستحلاف .
جيم : الاكتفاء بغير المسلمين (من أهل الكتاب) عند فقدان المسلمين ، بل عند فقدان ذوي العدل من المسلمين .
٢ / من اجل قطع الشك باليقين ، والمحافظة على قيمة الرحم ، امر القرآن الحكيم بالعدة لمدة ثلاثة اشهر للمرأة التي يئست من المحيض او التي لم تحض في صورة الريبة ، (والشك في وجود حمل عندها) . وهذه الريبة تكون في حالتين ، وتنعدم في عدة حالات ، ونذكر فيما يلي تفصيل الأمر :
الف : إذا اقتربت المرأة الكبيرة من حالة اليأس ، بحيث لاتعلم هل ان انقطاع الدم عنها كان بسبب يأسها او بسبب الحمل ، وهذا بالطبع يكون عند الدخول بها .

باء : اذا كانت المرأة صغيرة ولم تر الدم حتى الان ، وكانت مدخول بها ، ولم تعرف ان عدم رؤيتها للدم كان بسبب الحمل ام بسبب آخر كالصغر او اية علة اخرى .

جيم : إذا لم تكن المرأة مدخولا بها ، فلا عدة عليها ، لانه لا ارتياب في أمرها .

دال : إذا كانت صغيرة (دون التاسعة) او كبيرة (فوق الستين) بحيث نعلم يقينا انها ليست

حاملا ، فلا تحتاج الى العدة .

وبالتالي محور حكم العدة الارتياب حسب المفهوم من الآية الكريمة ، وهي تدل على ضرورة قطع الارتياب بالعدة ، والله العالم .

٣ / من المحرمات الشديدة ، هي المهلكات التالية :

الف : فتنة النفس بان يخدع الانسان نفسه ، وذلك عندما تخور عزيمته لاداء فريضة مكتوبة عليه (مثلا الجهاد بالمال او بالنفس) ، فلا يزال يسول لنفسه ويزين لها الفرار من الواجب ، حتى يقنعها بان تلك الفريضة غير واجبة . (مثل ان يلتقط شواهد واهية من هنا وهناك على عدم وجود تلك الفريضة ، او يتبع من لايوجبها) .

باء : التربص ؛ بان ينتظر الانسان ويتردد في الاقدام على فعل واجب حتى يفوت وقته وهذا مما نهى عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ قال : " لاتجعلوا علمكم جهلا ، ولا يقينكم شكا . إذا علمتم فاعملوا ، وإذا ايقنتم فاقدموا " .

جيم : الارتياب ؛ بان يشكك الانسان نفسه في الحق ، لما فيه من صعوبة ، ويبحث عن الشبهات التي تثار ضده (التوبة / ٤٥) .

دال : الغرور بالاماني ؛ بان يعيش الانسان في احلام النجاة من النار ببعض الاعمال الظاهرية ، كأن يترك الايمان بالرسول او خليفته ثم يبني مسجدا حتى يغطي على خطيئته عند الناس او عند نفسه ، او يترك الجهاد ويبالغ في أحكام الصلاة ، أو يتشبث ببعض الاقوال الضعيفة التي تمنيه بالخلاص من النار كما فعل اليهود والنصارى .. كل ذلك من المهلكات التي ادخلت المنافقين النار (الحديد / ١٤) .

٤ / نستوحي من آية كريمة (العنكبوب / ٤٨) ان على الداعية الى اللـه ألاّ يعمل عملا يؤدي الى ارتياب الناس في كلامه ، او يلحق ضررا بدعوتـه (العنكبوت / ٤٨) . علـى المؤمن ان يحفظ يقينه من هجمات الشك من اي جهة أتت . فعليه ان يتحلى بالتسليم للحق انى كان غريبا عليه ما دام عقله لايرفضه ، ولايرتاب بسبب صعوبة اوامر الشرع عليه او بسبب وساوس
الشيطان . وتفصيل ذلك فيما يلي :

الف : على المؤمن ألاّ يرتاب إذا أنبأه الوحي (القرآن) ومن يبلغ عن الوحي (النبي وأهل
بيته المعصومين صلى اللـه عليه وعليهم) ، حتى ولو كان مستبعدا عنده ، مثل عدد الملائكة
الموكلين بالنار وحكمة ذلك (المدثر / ٣١) .

باء : وكذلك على المؤمن تجنب الريب (ووسوسة الشيطان) اذا كلفه الشرع بأمر صعب ، كالجهاد بالمال والنفس (الحجرات / ١٥) .

جيم : على المؤمن ان يبدد شكه وريبه ووساوسه بالنظر في حجج اللـه تعالى ، القائمة على صدق الرسالة (هود / ١٧) .

مثلا يتفكر في معجزة القرآن ، وانه تحدى الرب به البشرية فعجزوا ان يأتوا بمثل سورة منه ، فيزداد يقينا (البقرة / ٢٣) .

دال : كذلك يطرد الريب بالسؤال ممن هو أهل السؤال ، (قرأ الكتاب من قبل وكان من أهل الذكر) (يونس / ٩٤) .

هاء : ويطرد المؤمن وسوسة الشيطان في أمر الساعة ، ويطهر قلبه من الريب فيها بالتفكر في أصل خلقته كيف كان ترابا فخلقه اللـه منه ثم من نطفة ثم من علقة (الحج / ٥)

في رحاب الاحاديث

١ / عن زرارة ، عن ابي جعفر (عليه السلام) : { **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ** } يقول : شكا الى شكهم . (١)

٢ / عن ا لكناني ، عن الصادق (عليه السلام) قال : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : " الريب كفر " . (٢)

٣ / عن ابي عبد الله بن سنان ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتعوذ في كل يوم من ست ؛ من الشك ، والشرك ، والحمية ، والغضب ،
والبغي ، والحسد . (١)

٤ / عن مفضل بن عمر قال : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : " من شك او ظن فاقام على احدهما اهبط الله عمله . ان حجة الله ، هي الحجة الواضحة " . (٢)

٥ / عن بكر بن محمد الازدي ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " ان الشك والمعصية في النار ، ليسا منا ولا الينا . وان قلوب المؤمنين لمطوية بالايمان طيا ، واذا اراد الله انارة ما فيها فتحها بالوحي ، فزرع فيها الحكمة ، زارعها وحاصدها . (٣)

٦ / عن ابي بصير ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى : { **كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَيُؤْمِنُونَ** } . قال هو الشك . (٤)

---

(1) تفسير نور الثقلين / ج ٢ / ص ٢٨٦
(2) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٩ / ص ١٢٧ – عن امالي الصدوق / ص ٢٩٢
(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٧٠ / ص ٢٦٣ – عن الخصال / ج ١ / ص ١٦٠
(2) الكافي / ج ٢ / ص٤٠٠
(3) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٩ / ص ١٢٦ – عن قرب الاسناد / ص ١٧
(4) المصدر / ص ١٢٨ – عن تفسير العياشي / ج ١ / ص ٣٧٧

٧ / وجاء في الدعاء المأثور عن الامام زين العابدين (عليه السلام) " واقشع عن بصائرنا سحاب الارتياب ، واكشف عن قلوبنا اغشية المرية والحجاب ، وازهق الباطل عن ضمائرنا ، واثبت الحق في سرائرنا ، فان الشكوك والظنون لواقح الفتن ، ومكدرة لصفو المنائح والمنن . (٥)

الامتــراء

الامتراء من ابعاد الكفر :

السكينة بالايمان ، والطمأنينة بالحق ، والتسليم النفسي لما هو صدق ؛ كل اولئك كان من تجليات الايمان ، ومن صفات المؤمنين . بينما التردد والارتياب والتوتر والعناد ، يعتبر كل ذلك من ابعاد الكفر ، ومن صفات المنافقين .

(5) مفاتيح الجنان للمحدث القمي / مناجاة المطيعين

والامتراء ، (١) هو فعل المرية في النفس ، (ممارسة الشك والتردد من قبل الانسان) . وعند مواجهة الحق يعتمد البعض (المؤمن) منهج التسليم والرضا ، بينما البعض الاخر يمارس منهج التردد والشك وعدم القبول .

فعند تجلي شواهد الحق امام المؤمنين ، يتحلون بالتوكل والاقدام . فيختارون الحق بكل صدق وشجاعة ، بينما يتردد الكفار . انها لحظة مصيرية تفصل بين الكفار والمؤمنين ، بما هو أعرض من السموات جميعا . اليست هي اللحظة التي يسعد عبرها المؤمنون بجنة عرضها

كعرض السموات والارض ، بينما يشقى الكفار بنار عظيمة لاتطفأ أبدا ؟

انها حقا لحظة الاقدام عند المؤمنين ، ولحظة الاحجام عند الكفار . من هنا جاء في السنة الشريفة : عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال : " من شك في الله وفي رسوله فهو كافر " . (١)

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال : " ان الشك والمعصية في النار . ليسا منا ولا إلينا . وان قلوب المؤمنين لمطوية بالايمان طيا ، فاذا أراد الله إنارة ما فيها فتحها بالوحي ، فزرع فيها الحكمة زارعها وحاصدها .(٢)

١ / والقرآن الحكيم ينسب صفة التردد الى الكفار يقول الله تعالى : **{ وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ }** (الحج / ٥٥)

٢ / وقد نهى القرآن المؤمنين من الامتراء (ممارسة التردد) إذا جاءهم الحق ، وامرهم بالقبول به ، والاذعان له . قال الله تعالى : **{ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ }** (هود / ١٧)

---

(1) جاء في المعجم الوسيط : امترى في الشيء شك فيه ، وتمارى القوم تجادلوا ، والمراء الجدل . (ج ٢ / ص ٨٦٦)

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٩ / ص ١٢٧
(2) المصدر / ص ١٢٦

٣ / وبالذات عند مواجهة المشكلات الاجتماعية (مثل تغيير القبلة وانتشار الشائعات المغرضة) ازدادت اهمية الاستقامة العقائدية عند المؤمنين ، ورفض التردد في الأمر الالهي . قال الله تعالى : { **الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** } (البقرة/١٤٧)

٤ / وفي قصة النبي عيسى بن مريم الذي نسج المغالون حول شخصيته غلالة من الأساطير، فردهم القرآن بكلمة الحق . نجد كيف نهى الله تعالى ، عن الامتراء في أمره ، لأنه الحق من عند الله . قال الله تعالى : { **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَبِّكَ فَلاَ تَكُن مِنَ الْمُمْتَرِينَ** } (آل عمران/٥٩-٦٠)

٥ / وقال الله تعالى عن عيسى بن مريم (عليه السلام) ايضا (وهو ينفي الأقاويل الباطلة حوله) : { **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** } (مريم /٣٤-٣٥)

٦ / وأيضا ينهى ربنا عن الامتراء في النبي عيسى (عليه السلام) بعد أن يبين أنه علم للساعة . (فهو قد خلق من غير أب ، ويهدينا إلى قدرة الرب ، وإنه يظهر قبل قيام الساعة مرة أخرى مع ظهور الامام المهدي عليه السلام) . وقال الله تعالى : { **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** } (الزخرف/٦١)

٧ / وينهى القرآن المجيد عن الامتراء عند بيان قصة النبي موسى (عليه السلام) . وقال الله تعالى : { **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِن لِّقَآئِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَآئِيلَ** } (السجدة/٢٣)

٨ / ويقول الله تعالى (ناهيا عن المرية في الحق) : { **فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ** } (هود/١٧)

فمادام الأمر حقا ، لابد ان نستيقن به ، ولا نكون في تردد حتى ولو كفر أكثر الناس به ، لأن الحق هو المعيار وليس الناس .

٩ / وعندما يجد البعض آلافا من البشر يعبدون اصناما ، قد يوسوس اليه الشيطان : إنها لو لم تكن حقا لما عبدوها . كلا ؛ إن الحق هو معيار الانسان وليس الناس ، ولا يجوز ان نمتري - ولا لحظة واحدة - في بطلان عبادة الأصنام . قال الله تعالى : { **فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ ءَابآؤُهُم مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ** } (هود/١٠٩)

١٠ / الامتراء في الحقائق الكبرى ، (حقيقة الخلقة من الطين والأجل المسمى او المحتوم مثلا) دليل ضعف الايمان (خور العزيمة ، وليس دليل عدم كفاية الحجة) . قال الله تعالى : { **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ** } (الانعام/٢)

فهذا الانسان الذي هو صنيع الله الذي خلقه من طين ، كيف يسمح لنفسه بالامتراء والتردد في العبودية لله ؟

وقد جاء في اصول الكافي ، عن زرارة ، عن حمران ، عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : سألته عن قول الله عز وجل : { **قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ** } قال : " هما اجلان ؛ اجل

محتوم ، واجل موقوف " . (١)

١١ / وكما يتردد الكفار في الالوهية ويعبدون من دون الله ، كذلك تراهم في مرية من لقاء ربهم ، والله محيط بهم وبكل شيء . قال الله تعالى : { **أَلآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِن لِقَآءِ رَبِّهِمْ أَلآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ** } (فصلت /٥٤)

ونستوحي من سياق سورة فصلت ؛ ان هذه المرية ، هي سبب الكثير من الصفات الرذيلة التي تصيب البشر ، مثل الجزع عند المصائب والبخل عند النعمة .

١٢ / ولكنهم لا يعترفون بالقيامة إلا عند مشاهدتها ، حين يأكلون من شجرة الزقوم ويسحبون إلى جهنم . هناك يقول الله تعالى : { **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ** } (الدخان/٤٩-٥٠)

---

(1) تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٧٠٤

وهذا مصير الممترين في لقاء ربهم ، عذابا وخزيا .

١٣ / أما في الدنيا ، فعاقبة الممترين العذاب الشديد ، مثل الذي نزل بقوم لوط . إذ قال الله تعالى : { **فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَومٌ مُّنكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ** } (الحجر/٦١-٦٣)

بصائر الآيات

١ / التردد والارتياب من علامات الكفر والنفاق ، والامتراء ممارسة الشك من قبل النفس . وعند سماع الحق ، يعتمد المؤمن منهج التسليم ، بينما الكافر يفتعل في نفسه الشك .

٢ / وقد نهى الوحي من الامتراء في الحق ، الذي نزل من عند الله (حتى ولو كان صعبا التسليم له) . قد يكون صعبا التسليم لحقيقة ولادة النبي عيسى من غير اب ، ولكن يجب التسليم للحق ، والا يرتاب في امره ، مما قد يدعو الى الغلو فيه . كما ان ظهور عيسى (عليه السلام) قبل القيامة ، حق لا يجوز الشك فيه .

ونهى الله تعالى من المرية في ضلالة المشركين ، وبطلان عبادتهم للالهة ، (بالرغم من عبادة البعض لها) .

٣ / والامتراء في الحقائق الكبرى ، علامة ضعف الايمان . فلقد خلق الله الانسان من طين ، ثم قضى له اجلا واجل مسمى عنده . فلماذا الامتراء (في قدرة الله وفي الاخرة) ، وتراهم يمترون في لقاء ربهم الذي احاط بكل شيء (فلماذا الامتراء ؟) .

٤ / وعاقبة الامتراء في الدنيا عذاب ، كالذي نزل بقوم لوط .

فقه الآيات

١ / الجدال في آيات الله وشواهد الحق حرام ، وعلى الانسان ان يعقد عزمات قلبه على

التصديق والتسليم ، دون مراء او هوى او تردد أو ضعف (البقرة / ١٤٧) . وتفصيل القول فيما يلي :

الف : اذا سمعت الحق وآياته وشواهد صدقه ، فلا تجادل فيه حتى لطلب المزيد من الدلائل . فان اليقين ليس بالمراء ، وانما هو نور من عند الرب يلقيه في القلب بعد توافر حسن النية وطيب السريرة .

باء : فرغ قلبك من الاحكام المسبقة تجاه الحق ، حتى لاتكون لديك عصبية او شهوة او حتى ميل الى الباطل فيحجبك عن الحق . واستعذ بالله من الحمية (العصبية) والغضب والبغي والحسد ، ولان كل هذه الصفات تحجب عن معرفة الحق .

جيم : اذا برقت شرارة الحقيقة امام ناظرك فلا تتردد ، بل اقدم وتوكل على الله في القبول بها فورا . فان الوسوسة والتربص من همزات الشياطين ، المانعة عن قبول الحق .

دال : لا تستسلم لميول نفسك ، ولا تخضع لاهوائها ، ولا تسترسل في حياتك ، بل اعزم على اصلاح نفسك والعروج في مدارج السمو .

٢ / لاتجادل فيما لاتعلم ، ولا تجعل حبك للاستطلاع حجابا عن معرفة الحقيقة . فلا تقل كيف يمكن ان يخلق الله بشرا من طين ، او من غير أب ، أو يعيده بعد ان اصبح رميما. ان هذه الشكوك هي التي اورثت الكفر والعياذ بالله (الحج/ ٥٥) و (هود/١٧) و (آل عمران/٥٩ - ٦٠)

وغيرها .

في رحاب الاحاديث

١ / جاء في الحديث عن سليم بن قيس الهلالي ، عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال : بني الكفر على أربع دعائم : الفسق ، والغلو ، والشك ، والشبهة .. الى ان

قال : والشك على أربعة شعب : على المرية والهوى والتردد والاستسلام ، وهو قول الله عز وجل :{ **فَبِأَيِ ءَالآءِ رَبِّكَ تَتَمارَى** } (النجم/٥٥)

٢ / وفي رواية اخرى : على المرية والهول من الحق والتردد ، والاستسلام للجهل وأهله . فمن هاله ما بين يديه ، نكص على عقبيه . ومن امترى في الدين ، تردد في الريب ، وسبقه الاولون من المؤمنين ، وأدركه الاخرون ، ووطئته سنابك الشيطان . ومن استسلم لهلكة الدنيا والاخرة ، هلك فيما بينهما . ومن نجا من ذلك فمن فضل اليقين ، ولم يخلق الله خلقا أقل من اليقين . (١)

٣ / وجاء في حديث آخر مأثور عن ابي عبد الله (عليه السلام) ، قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتعوذ في كل يوم من ست ؛ من الشك والشرك ، والحمية والغضب ، والبغي والحسد . (٢)

اتباع الظن

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٩ / ص ١١٧ – ١١٩
(2) المصدر / ص ١٢٦

من الحجب التي تمنع الهدى ، إتباع الظن ، بل الظن ذاته ، وبالذات ظن السوء . وجاءت كلمة (التخريص) مقارنة - في بعض الآيات - مع إتباع الظن ، وكما عبرت عنه آية كريمة بتعبير { **سَفَهَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ** } . فما هو الظن ، وما هو أبعاده وحقائقه ؟

حقائق عن الظن ومرادفاته :

هل الظن خيال وتصور او نسبة ضعيفة من اليقين ٥٠% وأكثر ؟ أو إنه إتباع الهوى ؟ أو إنه مرادف للخرص والسفه ، أم ماذا ؟

من خلال التدبر في سياق الايات التي جاءت هذه الكلمة ضمنها ، نعرف أن الظن ليس مجرد نسبة ضعيفة من اليقين (كما اصطلح عليه أصحاب الفلسفة والكلام ، ومضى عليه بعض علمائنا في الأصول والتفسير) . وليس إتباعا للهوى ، او مرادفا للسفه والخرص . إنما الظن ، تصور الشيء وتخيله . فقد يكون تصورا نابعا من الهوى والوسوسة والسفه ، فهو ظن جهل . وقد يكون تصورا نابعا من العلم واليقين والعقل ، فهو ظن علم . وهكذا جاء في حديث مأثور عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير قوله سبحانه : { **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** } (البقرة/٤٦) . انه قال : يعني انهم يوقنون انهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون ويجزون بالثواب والعقاب . والظن ها هنا اليقين . (١)

ويرى بعض أهل اللغة ؛ ان لفظ الظن يدل على معنيين مختلفين ، يقين وشك . فأما اليقين فقول القائل : ظننت ظنا أي أيقنت . قال الله تعالى : { **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم** } اراد - والله أعلم - يوقنون ، والعرب تقول ذلك وتعرفه . قال شاعرهم :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم الله في الفارسي المسرد

(1) تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٧٦ – ٧٧

اراد : ايقنوا ، وهو في القرآن كثير . ومن هذا الباب مظنة الشيء ، وهو معلمه ومكانه . قال النابغة : " فان مظنة الجهل الشباب " . (٢)

والحديث عن إتباع الظن إنما هو عن ظن الجهل . أما ظن اليقين ، فإن إتباعه ليس إتباعا للظن ، بل لليقين . وسوف نفرد - باذن الله - شعبة من حديثنا هنا للحديث عن ظن اليقين ، أما عن ظن الجهل فإنه ذو أبعاد واقسام .

بين الظن واتباع الهوى :

١ / إتباع الهوى ؛ فحين تقتضي مصلحة الانسان عملا ، أو يدعوه الغضب إلى موقف ، فإن الشيطان والنفس الأمارة يسولان له ذلك ويزينانه ، فإذا به يظنه صالحا فيتبعه . ونستلهم ذلك من قول الله تعالى : **{ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَآ أَنزَلَ اللـه بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدَى }** (النجم/٢٣)

فالآلهة المزيفة اسماء (لا حقيقة لها ، وإنما اعتبارها وشرعيتها نابعة من انهم سموها) . بينما الشرعية الوحيدة ، هي التي ينزل الله بها سلطانا مبينا . أما الظن والتخيل (والأدلة الواهية) ، فهي لا تغني من الحق شيئا . (والحقيقة انهم يتبعون ما تهوي أنفسهم ، وهوى النفس هو دافع عبادتهم ، والظن مظهره الخارجي) . وكان ينبغي لهم ، أن يتبعوا الهدى من ربهم .

٢ / ومن مفردات الظن ، التصورات الناشئة عند البشر عند الخوف ، ومثله واقع المسلمين في يوم الأحزاب إذ طفقوا يظنون بالله الظنونا (مثل قول المنافقين : ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) . قال الله تعالى : **{ إِذْ جَآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللـه الظُّنُونَاْ }** (الاحزاب/١٠)

٣ / ومن مفردات الظن ، التخيل الناشيء من الغرور ، كالذي نجده عند اليهود المحيطين بالمدينة المنورة على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) ، حيث زعموا أن

(2) ابن الفارس / مقاييس اللغة / ج ٣ / ص ٤٦٢

قلاعهم المنيعة تمنعهم من اللـه تعالى . (وكان واضحا أن ذلك الظن كان جهلا منهم بقدرة اللـه وارادته العليا) . قال اللـه تعالى : **{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِنَ اللـه فَأَتَاهُمُ اللـه مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ }** (الحشر / ٢)

٤ / ولعل الغرور كان - أيضا - وراء ظن صاحب الجنة ، الذي زعم أنها لن تبيد أبدا . قال اللـه تعالى : **{ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنقَلَباً }** (الكهف/٣٥-٣٦)

ومعلوم إن هذا الظن مجرد خيال جاهل . فاي جنة بقيت حتى تبقى هذه الجنة ، وأي انسان خلد حتى يخلد هو ، وكيف كانت الثروة في الدنيا معيارا لرحمة اللـه في الآخرة ؟ إن هي الا تصورات باطلة منشؤها الغرور وحب الذات .

٥ / ومن مفردات الظن ، هو الظن الناشئ من الغرور بشخص اخر ، كما ظن الجن أن لا أحد يكذب على اللـه سبحانـه (تعظيما لله سبحانـه ، وظنا حسنا بالأخرة . ويقال إن آدم (عليه السلام) ظن أنه لا يمكن ان يقسم احد باللـه كذبا ، فلما أقسم ابليس ، صدقه . واللـه العالم) . قال اللـه تعالى (عن لسان الجن) : **{ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللـه كَذِباً }** (الجن/٥)

٦ / ومن مفردات الظن ؛ ذلك التصور الذي ينشأ من العقد النفسية ، ومن الحقد والعصبية أو من الكراهية والتشاؤم . سوء الظن الذي ينهانا عنه ، حيث نهى ربنا - اولا - من ان يسخر قوم من قوم ، ثم نهى عن سوء الظن والغيبة والتهمة ، وبين - بعدئذ - إن أكرم الناس عند اللـه أتقاهم . ومن ذلك نستوحي إن منشأ سوء الظن قد يكون العصبيات الجاهلية والاختلافات الناشئة بين البشر ، قال اللـه تعالى : **{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً }** (الحجرات / ١٢)

٧ / ومن هنا ، فإن على الانسان أن يمارس ظن الخير ، ويرجح جانب الحب والحسن على جانب الشنآن والقبح . هكذا أمر اللـه المسلمين في التعامل مع الشائعات المغرضة ،

حيث أمر بأن يظن المؤمنون بأنفسهم خيرا ، ولا يصدقوا - بسرعة - كل شائعة في حق بعضهم . قال الله تعالى : { **لَوْلآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ** } (النور/١٢)

وفي ذلك جاءت السنة الشريفة :

ألف : عن الحسين بن المختار ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له : " ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ، ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوء وانت تجد لها في الخير محملا " . (١)

باء : عن محمد بن الفضل ، عن ابي الحسن موسى (عليه السلام) قال : قلت له : جعلت فداك ؛ الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكره له ، فأسأله عنه فينكر ذلك ، وقد اخبرني عنه ثقات ؟ فقال لي : يا محمد ؛ كذب سمعك وبصرك عن اخيك . فان شهد عندك خمسون قسامة ، وقال لك قولا فصدقه وكذبهم . ولا تذيعن عليه شيئا تشينه به وتهدم به مروته ، فتكون من الذين قال الله عز وجل : { **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم** } (٢)

ظن السوء بالله :

١ / وحين يكون الظن بالله تعالى ، فإن ذات الظن يكون ذميما ومعاقبا عليه ، لأنه يكون مخالفا لايمان الانسان بالله وبأسمائه الحسنى . قال الله تعالى : { **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّآنِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً** } (الفتح/٦)

٢ / وهكذا ظن المنافقون والمشركون بالله ظن السوء ، وزعموا أن الله لا ينصر رسوله . ودارت عليهم دائرة السوء ، حين نصر الله رسوله والمؤمنين . أما هم فقد كانوا قوما بورا (قد خسروا الرهان) . قال الله تعالى : { **بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ**

(1) تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ٩١
(2) سفينة البحار / ج ٢ / ص ١١١

وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً } (الفتح/١٢)

واكدت السنة الشريفة هذه الحقيقة ،حيث جاء فيها :

ألف : قال الامام الرضا (عليه السلام) : " احسن الظن بالله ، فان الله عز وجل يقول : انا عند حسن ظن عبدي المؤمن بي ؛ ان خير فخير ، وان شر فشر " . (١)

باء : وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " لا يموتن احدكم حتى يحسن ظنه بالله ، فان حسن الظن بالله عز وجل ثمن الجنة " . (٢)

٣ / ومن مفردات ظن السوء بالله ، الظن بأن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون . وهذا هو الذي جعلهم يصطدمون بالواقع يوم القيامة ، حيث شهدت عليهم اعضاؤهم . قال الله تعالى : **{ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ }** (فصلت/٢١-٢٢)

٤ / وكان عقبى هذا الظن السوء ، هو الذي أرداهم وأصبحوا من الخاسرين . قال الله تعالى : **{ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِنَ الْخَاسِرِينَ}** (فصلت/٢٣) ، وفد ورد في الحديث : " إياكم والظن ، فان الظن الكذب " .(٣)

٥ / ومن مفردات ظن السوء بالله ، الظن بأن الله لا ينصر رسوله . قال الله تعالى : **{ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَايَغِيظُ }** (الحج/١٥)

٦ / وكذلك من مفردات الظن ، الاعتقاد بأن الله لا يضيق على رسوله يونس بن متى ، الذي

---

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٧ / ص ٣٨٥
(2) المصدر / ص ٣٨٥
(3) تفسير نور الثقلين / ج ٥ / ص ٩٢ –عن تفسير مجمع البيان

يسميه القرآن مرة بـ (ذي النون) ومرة بـ (صاحب الحوت) . فقال اللـه تعالى : { **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**} (الانبياء /٨٧)

الظن بالساعة :

١ / الظن بالساعة وعدم اليقين بها ، يشجع الانسان على ارتكاب الموبقات . وإنما يستفيق من سبات الظن الذي خدع نفسه به ، عند مشاهدتها . قال اللـه تعالى : { **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللـه حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ** } (الجاثية/٣٢)

ونستفيد من هذه الاية ؛ لانسان مسؤول عن ممارسة ظنه ، لأن الظن فعل من أفعاله النفسية ، تي يجترحه بإرادته من أجل خداع ذاته ، والتسويل لنفسه بارتكاب الموبقات .

٢ / ويشترك الجن والانس في هذه الحالة (ممارسة الظن الباطل بالنسبة الى الاخرة) . ل اللـه تعالى : { **وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَن يَبْعَثَ اللـه أَحَداً** } (الجن/ ٧)

٣ / وكذلك ظن الكافر ، إنه لن يرجع إلى الحياة . فكانت الدنيا مبلغ علمه ، وسر بما فيها ، وتجاوز حدود اللـه فيها . فأوتي كتابه بشماله ، وحوسب حسابا عسيرا . قال اللـه سبحانه عنه : { **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَن يَحُورَ**) (الانشقاق /١٠-١٤)

٤ / وهذه الحالة (التي تسمى بحالة الفرح أوالسرور ، والتي تدعو صاحبه إلى الغرور وتجاهل الحساب ؛ هذه الحالة) تصيب الكافر والمنافق والفاسق عند النعمة ، فيبطر بها بعد النقمة ، والمؤمن - وحده - يعصم منها بنور اللـه تعالى .

من هنا ترى إن السياق القرآني ينسب هذه الحالة الى كل إنسان (الا المؤمن) . قال اللـه تعالى : { **لاَ يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ وَإِن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي**

إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى } (فصلت / ٤٩ - ٥٠)

٥ / وقد يكون الاستكبار في الأرض (والبطر بنعمة القوة) علة الظن بعدم الرجوع إلى الله، كما كان عند فرعون وملأه . قال الله تعالى : { **وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ** } (القصص/٣٩)

ظن السوء بالرسول :

١ / وظن السوء بالرسول كان لتبرير الكفر به ، والتهرب من مسؤولية الايمان به . ونشأ هذا الظن ، من كبر البشر عن الانقياد لبشر مثله . قال الله تعالى : { **وَمَآ أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ** } (الشعراء /١٨٦)

٢ / ونشأ هذا الظن عند فرعون من ادعاء الألوهية ، (وهو طغيان تلك الحالة الموجودة عند كل إبن أنثى ، وهي حالة الكبر ، ورفض الانقياد لبشر مثله) . وقال الله تعالى : { **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَآ أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** } (القصص /٣٨)

٣ / كما نشأ عند فرعون - حسب آية أخرى - من تزيين سوء عمله (لنفسه ، وتسويل الذات لها سوء الأعمال ليراها حسنة) ، وإنه صد عن السبيل (بسبب سوء اختياره ورده لرسالات الله ؛ وهكذا تتكرر هذه الحالة عند كل بشر إذا اتبع سبيل فرعون) . قال الله تعالى : { **وَقَالَ فِرْعَونُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الاَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لاَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ** } (غافر/٣٦-٣٧)

اتباع الظن :

١ / وحين يترك البشر هدى ربه ، يتبع الظن . فإنه ليس بعد الهدى الا الضلال ، والضلال هو التصور القائم على أساس الأهواء والخرص . ولكن الظن لا يكشف عن

الحق ، ذلك لأن السبيل الوحيد الى الحق هو العلم ، وللعلم طرقه المعروفة . أما الخيال فإنه ليس طريقا إلى الحق ، قال الله تعالى : **{ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً }** (النجم/٢٨)

ونستوحي من هذه الآية ، وآيات مشابهة ؛ ان مصدر الفكرة قد يكون آية الحق ، فيورث العلم وقد يكون خيال النفس (الهوى - الغضب - الوسوسة وأي مصدر نفسي) فهو ظن ، ولا يغني من الحق شيئا .

٢ / وأكثر الناس يتبعون الظن ، فلا يمكن الاعتماد على قول الأكثرية ، ولا يجوز الانبهار بنظراتهم ، قال الله تعالى : **{ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً }** (يونس/٣٦)

٣ / ومن هنا نهى ربنا سبحانه من إتباع الأكثرية ، لأنهم يتبعون الظن (وهم في ضلال) ، واتباعهم يؤدي إلى ضلالة . قال الله تعالى : **{ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللـه إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ }** (الانعام/١١٦)

ولعل الفرق بين الظن والخرص ، هو أن الظن (التخيل) يستخدم في الأمور النظرية ، بينما الخرص والتخمين يستخدم في الشؤون العملية . - وبالتالي - فإنهم لا يستضيئون بنور المعرفة والهدى ، لا في امورهم النظرية ولا العملية .

٤ / والظن هو رأسمال هؤلاء ، في أهم وأعقد القضايا ، كقضية الايمان بالله تعالى ، حيث إنهم يتخذون الالهة ويسمونها بأسماء اعتمادا على ظنهم . وقال الله تعالى : **{ أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللـه شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ }** (يونس/٦٦)

ظن اليقين :

١ / أما ظن اليقين ، فيبدو أنه يتحقق بتصور الحقائق المعلومة عند الانسان علما يقينا ، لتزداد اثرا في النفس ، وعمقا في الشعور . مثلا تصور الاخرة . يقول الله تعالى : {

وَاسْتَعِينُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } (البقرة/٤٥-٤٦)

٢ / وهكذا تصور الحساب يوجب المزيد من التقوى . يقول الله تعالى : **{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ }** (الحاقّة/١٩-٢١)

وهكذا ترى الذين يظنون الحساب ولقاء الله ، هم الخاشعون الذين يؤتون كتابهم بيمينهم .

٣ / ولعل من ذلك ، إن الله يرغبنا في تصور لقاءه . ويقول الله تعالى : **{ أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ }** (المطففين/٤-٥)

إن تصور الحساب في ذلك اليوم العظيم ، يدعو الانسان إلى انصاف الناس ، وعدم التطفيف في المكيال والميزان .

٤ / ولعل من ظن اليقين ، إعتقاد النبي داود أنه قد فتن (بالذين دخلوا عليه فسألوه عن قصة النعاج) . وقال الله تعالى : **{ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ }** (ص/٢٤)

٥ / والانسان حين ينزل به الموت ، يظن أنه الفراق . (إنه تصور الحقيقة المشهودة التي كان يعرفها ، ولكن لم يتصورها ، واليوم يشاهدها مشاهدة) . قال الله تعالى : **{ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ }** (القيامة/٢٦-٢٨)

٦ / وكذلك حين يشاهد الكفار أهوال القيامة ، فيتصورون نزولها بهم . وقال الله تعالى : **{ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)** (القيامة /٢٤-٢٥)

٧ / وفي ذلك اليوم يتصورون (ويشاهدون) مدى مسكنتهم ، حيث لا أحد يجيرهم ، ولا منجا لهم) . قال الله تعالى : **{ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِن مَحِيصٍ }** (فصلت/٤٨)

٨ / واعظم الأهوال عند مشاهدة المجرمين النار ، وتصور احتراقهم بها ، حيث يقول الله تعالى : **{ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا }** (الكهف/٥٣)

بصائر الآيات

١ / (الظن - فيما يبدو - تصور شيء وتخليه ، فاذا تصور الوساوس ، كان ظن جهل . واذا
تصور ما علمه ، كان ظن يقين) .

٢ / ويتبع المشركون اسماء سموهم هم وابـاؤهم ، اتباعـا لهـوى انفسـهم (شـهواتهم وحمايتهم) ، واتباعا للظن . (فكان ظنهم تسولا من نفوسهم ومن اهوائهم) .

٣ / وعند الخوف ايضا (تتخيل النفس امورا باطلـة) ، كمـا ظـن المسلمون عند واقعة الاحزاب الظنونا .

٤ / وعند الغرور بـالقوة ايضـا (تسول الـنفس الظـن بالنصـر) ، كمـا ظـن اليهود ان قلاعهم حول المدينة مانعتهم عن الخروج .

٥ / وعند الغرور بالثروة (تبعث النفس صاحبها الى تخيل الخلود فـي النعيم) ، فيظن ان جنته في الارض لن تبيد .

٦ / وعند الغرور بشخص آخر ، كما ظن الجن انه لا احد يفتري على اللـه الكذب .

٧ / (وقد يكون التخيل ناشئا من عقد نفسية كالحقد والعصبية) ، فلا يجوز الكثير من الظـن (كمـا يظـن المسلمون ببعضـهم سـوء . ذلـك لان) بعض الظـن اثـم ، وقـد يـدعو صاحبه الى التجسس والغيبة .

٨ / وعلى المؤمنين ان يظنوا بأنفسهم (ببعضـهم البعض) خيـرا ، فـاذا سـمعوا تهمـة لا يجوز اشاعتها .

٩ / ومن الظن ؛ ظن السوء باللـه ، حيث كان من دأب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات .

١٠ / ولعل من ظنهم السوء ، زعمهم ان الرسول لن ينقلـب هو والمسلمون الـى اهليهم ابدا ، وقد زين ذلك لقلوبهم .

١١ / ومن ظن السوء بالله ؛ ظنهم ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون . (وهذا الظن وامثاله ارداهم ، فاصبحوا من الخاسرين) .

١٢ / ومن ذلك الظن ، بان الله لن ينصره . ومنه الظن بان الله لا يقدر عليه (ولا يضيق عليه) .

١٣ / (وقد يجعل الانسان يقينه ظنا ، كما) ظن الكافرون بالاخرة ظنا ولم يكونوا من
المستيقنين . وهكذا ظن الجن ، ان لن يبعث الله احدا .

١٤ / ولما ظن الكافر انه لن يحور ، اضحى في اهله مسرورا فاوتي كتابه وراء ظهره .

١٥ / وسرور الانسان بالدنيا جعله لا يظن الساعة قائمة ، بل (ظن) انه اذا رجع الى ربه فان له عنده للحسنى .

١٦ / وكان استكبار فرعون وجنوده مقارنا لظنهم ، بانهم لا يرجعون الى ربهم .

١٧ / ومن الظن ؛ ظن السوء بالرسول ، حيث اتهم بالكذب . فقال فرعون اني اظن موسى من الكاذبين ، وهكذا زين له سوء عمله .

١٨ / (وحين يترك الانسان هدى ربه يتبع ظنه) . وان الظن لا يغني من الحق شيئا ، وانما يتبع اكثر الناس الظن . (فلا اعتماد على قول الاكثرية) ، واذا اطاع الانسان اكثر الناس اضلوه عن السبيل . وانما الظن والخرص قاعدة تفكر المشركين ، (ولعل الفرق بينهما ؛ ان الظن في الامور النظرية ، والخرص في الامور العملية) .

١٩ / (وكما هو مذموم ظن الشك ، فانه ممدوح ظن اليقين ، حيث يتصور الانسان ما يعلمه يقينا) . فيظن المؤمنون لقاء ربهم وكيف يبعثون ليوم عظيم ، وكيف يبتلى البشر في الدنيا (كما فتن النبي داود) ، ويظن عند نزول الموت به الفراق ، ويظن الكافر عند مشاهدة العذاب انه مواقعه ، ويتصور مدى مسكنته وانه لامحيص له .

فقه الآيات

١ / لايجوز ان يجري الانسان وراء اسماء يبتدعها اتباعا للظن والهوى ، وانما يجب اتباع من قامت به حجة بالغة من الله تعالى (النجم / ٢٣) . وفي ذلك التفصيل التالي :

الف : كل قيادة غير الهية فهي غير مشروعة ، فلا يجوز الاسترسال في اتباعها .

باء : لايجوز اتباع الاباء من دون اقامة الحجة على مبادئهم وافكارهم ، تلك الحجة البالغة التي تعود بالتالي الى قيم الوحي التي يصدقها العقل .

جيم : لاينبغي ان يخترع الانسان الشعارات والشعائر التي لا اصل لها في الشرع ، ولا تعود

الى قيم الوحي .

٢ / على المؤمن ان يعتصم بالله عند الشدائد ، ويتجنب الظنون بالله تعالى ، والتي تنال من ايمانه ، وتجعله على حافة الكفر والعياذ بالله (الاحزاب / ١٠) . كما عليه ان يتعوذ بالله من الغرور الناشئ من القوة (الحشر / ٢) ، او من الثروة (الكهف / ٣٥ - ٣٦) . فان القوة والثروة ليستا معيارا للكرامة الالهية .

٣ / على المؤمن ان يكون حذرا من أقرب الناس اليه ، فلعله نافذة شيطانية . والا يدعوه حسن ظنه باخوانه الى ترك الحائطة لدينه ، والاسترسال في الاستماع اليهم دون تمحيص . (الجن / ٥) .

٤ / ان سوء الظن بالاخرين ، عقباه الشقاق . وقد حرم الله ذلك ، لان بعض الظن إثم . ومنه الظن الذي يرتب الانسان عليه أثرا عمليا ، فيتجسس على الناس ، فاذا كشف لهم عورة اذاعها ، فكان كمن يأكل لحم اخيه ميتا (الحجرات / ١٢) .

٥ / على المؤمن ان يحمل فعل اخيه المؤمن وقوله على احسن محمل ، ولا يظن بأخيه سوءا أنى سمع عنه شائعة (النور / ١٢) .

وهكذا لايجوز تسميم الجو الاجتماعي باذاعة الفاحشة ، ولا بالاستماع اليها دون ردها ، التحقق في مدى صدقها بالسبل المشروعة .

٦ / لايجوز سوء الظن بالله تعالى (الفتح / ٦) ، وفي ذلك التفصيل التالي :

الف : الظن بان اللـه تعالى لاينصر رسوله والمؤمنين (الفتح / ١٢) و (الحج / ١٥) .

باء : الظن بان اللـه تعالى لايعلم كثيرا مما يعمل الانسان ، بل الواجب ان نرى اللـه تعالى رقيبا علينا فيما نعمل وفيما نفكر وفيما يختلج في صدورنا .

جيم : الظن بان اللـه تعالى لايضيق عليه . كلا ؛ لايجوز ان نأمن مكر اللـه القهار ، اعتمادا على بعض الأماني الباطلة (الانبياء / ٨٧) .

٧ / لايجوز ان يسمح الانسان لنفسه باستبدال اليقين بالساعة الى الظن ، فانه يهلكه (الجاثية / ٣٢) . واسوء منه ، ان يظن انه لايبعث (الجن / ٧) . وكذلك الظن بانه لايرجع الى الحياة (الانشقاق / ١٠ - ١٤) .

٨ / وعلى الانسان ان يحذر مثل هذا الظن عند طرد النعم ، فيجعل حاله في الدنيا وما اوتي فيها من رحمة الهية معيارا لوضعه في الاخرة . (كلا ان على الانسان ان يتهم نفسه دائما ، ويخشى ذنوبه التي لعلها لم تغفر له ، وطاعاته التي لعلها لم تقبل منه) (فصلت / ٤٩ - ٥٠) .

٩ / وكذلك عليه ان يحذر مثل هذا الظن ، الذي يرديه عند ابتلاءه بالسلطة ، حيث تحلو له الدنيا فيظن انه لايرجع الى ربه (القصص / ٣٩) .

١٠ / سوء الظن بالرسول ، واتهامه (والعياذ بالله) بالكذب ، من المرويات التي اهلكت القرون السابقة (الشعراء / ١٨٦) و (القصص / ٣٨) و (غافر / ٣٦ - ٣٧) .

ونستوحي من ذلك ، حرمة الظن السوء بكل مبلغ يدعو الى الله تعالى والى الرسول .

١١ / ولايجوز ان يتبع الانسان الظن في سعيه لبلوغ الحق ، بل يجب ان يتحدى حتى يحصل على العلم الناشئ من السبل المعروفة (من الحس والتفكر والوحي) (النجم / ٣٨) .

ونستدل من ذلك ، على ضرورة التحلي بالمنطق الصحيح لبلوغ العلم ، والذي ذكر به الوحي ، وارتضاه العقل .

١٢ / ومن مصادر الظن التي لايجوز ان يعتمدها الانسان ، لانها لا تغني عن الحق شيئا ؛ هو اتباع الاكثرية ، لان اكثر من في الأرض ليسوا بمؤمنين ، ومن يتبعهم يضل عن سواء السبيل (الانعام / ١١٦) .

١٣ / يجدر بالمؤمن ان يتصور الحقائق التي يؤمن بها ، حتى وكأنه يراها رأي العين .يتصور حضوره امام ربه ، وانه عليه شاهد رقيب . يتصور لقاءه مع ربه ، وعتابه له على سوء افعاله . يتصور الموت وسكراته ، والقبر وظلماته ، والقيامة وهول مطلعه ، والحساب وهيبته ، والنار وعذابها ، والجنة ونعيمها (الحاقة / ١٩) و (البقرة / ٤٥ - ٤٦) .

التذبذب

لقد حمل الله البشر أمانة المشيئة ، واحتمالها من قبل البشر قيمة سامية . وعلى الانسان أن يؤدي هذه الأمانة باختيار السبيل القويم ، والانتماء الى الفئة الصالحة . أما الانتهازية والتذبذب فإنها قيمة مضادة ، وهي التردد بين جبهتي الحق والباطل ،

(وبالتالي حالة من الذاتية المفرطة) . والآية التالية تبين معنى التذبذب ؛ لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء (وهي حالة البحث عن المصلحة ، يدور المرء معها أنى دارت) . كما تبين انها صفة رذيلة وناشئة الضلالة ، وسبب الضلالة البعد عن سبيل الله سبحانه . قال الله تعالى : { **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لآ إِلَى هَؤُلآءِ وَلآ إِلَى هَؤُلآءِ وَمَن يُضْلِلِ اللـه فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** } (النساء/١٤٣)

في رحاب الاحاديث

عن محمد بن الفضيل قال : كتبت الى ابي الحسن (عليه السلام) أسأله عن مسألة ، فكتب (عليه السلام) الي : { **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللـه وَهُوَ خَادِعُهُمْ وإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللـه إِلاَّ قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لآ إِلَى هَؤُلآءِ وَلآ إِلَى هـؤُلآءِ وَمَن يُضْلِلِ اللـه فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** } (النساء/١٤٢-١٤٣) . ليسوا من الكافرين ، وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين . يظهرون الايمان ، ويصيرون الى الكفر والتكذيب ، لعنهم الله . (١)

(1) تفسير نور الثقلين / ج ١ / ص ٥٦٥

التخـاذل

من القيم الإلهيـة التحـريض علـى القتـال ، والترغيـب فـي الطاعـة ، والتواصـي بـالحق وبالصبر ، وبالتالي كل كلمة طيبة تدعو الـى العزم والإقدام . بينما الشيطان يقوم بالنفث في العقد ، وبث اليأس ، ونشر السلبيات ، ونقض العزائم ، وتضعيف الروحيـة . وبـالرغم من أن الكلمة الواحدة التي تجمع هذه المفردات (الوسوسة) قد لا تكون وافية بكل ابعادها ، ولكنا نشير بها إلى تلك المفردات التي تؤثر على الإرادة البشرية فتهدف تحطيمها .

١ / ولعل السورتين التي ختم القرآن بهما الكتاب ، الفلق والناس ، تشيران إلى بعض أبعاد هذه الصفة الرذيلة ، وقد سبق الحديث عنها آنفا .

٢ / ومن مفردات هذه الوسوسة والنفث في العقد ، ما يضرب القرآن بها مثلا ، من كلمات المنافقين الذين كانوا ينشرون الأفكار السلبية بعد المعارك ؛ فيقولون لو كنا موعودين صدقا وحقا بالنصر والسلطة ، لما قتل منا من قتل . يقول الله سبحانه عنهم : { **ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللـه غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الاَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الاَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الاَمْرِ شَيءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ** } (آل عمران/١٥٤)

ونستفيد من الآية ؛ ان منطلق الفكر السلبي حب الذات ، وهوى النفس ، حيث ان اهتمام

هؤلاء بأنفسهم جعلهم يتساءلون عن نصيبهم من الامر .

٣ / وينهى الرب المسلمين من هذه الصفة الرذيلة ، (من بيان ما يبدو من سلبيات الأمور) . فإذا رجعوا من المعركة ، اهتموا بقصة الشهداء ، واعتبروهم خسارة . ويقول الله تعالى : { **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللـه ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللـه يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللـه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** } (آل عمران/١٥٦)

ونستوحي من الآية ان تأثير هذه الكلمات الخبيثة سيكون شديدا في قلوبهم (حسرة) ، فهم اول ضحايا الروح السلبية التي يتبعونها .

٤ / ومرة أخرى يذكرنا السياق القرآني بوسوسة المنافقين ويتصدى لها . يقول الله تعالى : { **الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } (آل عمران/١٦٨)

٥ / وفي آيات الذكر الحكيم مئات الأمثلة التي يتصدى القرآن للوساوس ، التي كان شياطين الجن والإنس يبثونها ضد الرسالات الإلهية ، وهي أمثلة تزيد المؤمنين فقها بأبعاد التخاذل ومنهج مواجهتها بإذن الله تعالى .

بصائر الآيات

١ / من القيم الحق ، التحريض على القتال ؛ وضدها التخذيل ، مثل بث الدعايت ، والنفث في العقد ، والوسوسة التي تنقض العزائم وتضعف الارادة .

٢ / ومن مفردات الوسوسة والتخذيل ما تجده عند المنافقين من كلمات سلبية ، كقولهم : اذا كان لنا من الامر بشيء (السلطة او الفتح) ، فلماذا قتل البعض منا ؟ ويردهم الرب ؛ بان القتل كان مكتوبا على الشهداء . فلو كان المنافقون قابعين في بيوتهم ، لكان الشهداء يبرزون حتى يقتلوا .

٣ / ومن هذه الافكار قولهم لاخوانهم (المقاتلين) : انهم لو كانوا معنا ما قتلوا . وهذه الفكرة

تصبح حسرة في قلوبهم (اذا فاتتهم كرامة الشهداء او لأن الكلمات السلبية ذات اثر سلبيي في نفوسهم) . وفي رد هذه الشبهة ، يأمرهم القرآن بان يدرءوا عن انفسهم الموت ان كانوا صادقين .

فقه الآيات

على الانسان ان يجعل نفسه ومصالحها منطلق تقييمه للظواهر . كما فعل المنافقون حين الهتهم انفسهم ، فظنوا بالله غير الحق ظن الجاهلية ، وقالوا : لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا في المعارك . ومن هذا نعرف الاحكام التالية :

الف : علينا ان نميز الظنون الجاهلية التي يكون مصدرها حب النفس وهواها والخوف عليها وعلى مصالحها ، والتي تؤثر سلبيا على قدرة التقييم الصحيحه في الحوادث .

باء : على الانسان ان يعرف ان الامر كله لله ، وانه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه ما قدر لها من شر ، ولا يجلب لها ما لم يقدر لها من خير .

جيم : لا يجوز ان يخفي الانسان ما يظهر خلافه للقيادة الالهية . فيتظاهر بانه يريد الخير للامة بابداء آراءه الخاصة من منع القتال او توقيف الجهاد ، وانما يريد المحافظة على نفسه ومصالحها الذاتية .

دال : علينا ان نقيم افكار الاخرين في ضوء نفسياتهم ومصالحهم ، ولا ننظر الى ظاهر كلماتهم التي تظهر انهم يهتمون بمصالح الامة .

العجلة

ماهي العجلة ؟

لكي نستفيد من السياق القرآني حقائق كلمة العجلة ، نتلو معا تلك الايات التي استخدمت هذه الكلمة فيها :

١ / فهذا النبي موسى بن عمران (عليه السلام) سارع الى ميقات ربه قبل قومه ، فسأله ربه عما دعاه الى العجلة ، فقال الله تعالى : **{ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُوْلآءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى }** (طه/٨٣-٨٤)

فالعجلة اذا المسارعة الى عمل في مقام يقتضي الصبر ، حيث ان المفترض كان انتظار القائد قومه ليلتحقوا به ، فعجل موسى (عليه السلام) الى ربه ابتغاء مرضاته . مما يدل على ان المطلوب في عمل الخير العجلة ، وقد جاء في حديث شريف : " خير البر عاجله " .

٢ / وقد وعد الله المسلمين مغانم كثيرة ليأخذوها ، ولكنه عجل لهم غنيمة ، ورزقهم اياها قبل غيرها ، (ربما لتثبيت نفوسهم) . وقال الله تعالى : **{ وَعَدَكُمُ اللـه مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ }** (الفتح / ٢٠)

فالعجلة - حسبما يبدو - استباق الحدث سياقه الطبيعي وميعاده المحدد .

٣ / وقد قال موسى لقومه بعد عودته اليهم من ميقات ربه فرءاهم يعبدون العجل ، قال لهم

مستنكرا : كيف عجلوا امر ربهم ؟ (لعله كان البحث عن قائد لهم بعد موسى (عليه السلام) بباعث حب السلطة) . وقال الله تعالى : **{ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ }** (الاعراف / ١٥٠)

٤ / وفي الحج حيث يجب ذكر الله في ايام معلومات ؛ هي ايام (١١ - ١٣) ، والذكر هو التكبير الذي يعقب الصلوات في ايام التشريق . فمن تقدم فيها فنفر في يوم ١٢ فلا إثم عليه ، ومن تأخر فنفر في يوم ١٣ فلا إثم عليه . فكلاهما قد غفرت ذنوبهما . قال الله تعالى : **{ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ }** (البقرة / ٢٠٣)

ونستفيد من هذه الاية ؛ ان العجلة قد تكون بمعنى المسارعة والتقدم في عمل يجوز تأخيره ، (وليس ينبغي تأخيره) من ذكر الله في الايام المعلومات . ومن ذلك الحديث الشريف : " عجلوا بالصلاة قبل الفوت وبالتوبه قبل الموت " .

ألف : عن زرارة عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : " ان الله يحب من الخير ما يعجل " . (١)

باء : عن الجارود قال : سمعت ابا جعفر (عليه السلام) يقول : " من هم بشيء من الخير فليعجله ، فان كل شيء فيه تأخير فان للشيطان فيه نظرة " . (٢)

جيم : عن مرازم بن حكيم ، عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : كان ابي يقول : " اذا هممت بخير فبادر ، فانك لا تدري ما يحدث " . (٣)

العجلة من خلقة البشر :

١ / وقد خلق الانسان من عجل . (عمره في الدنيا قصير ، ووعيه بقصر عمره يدعوه الى العجلة في الامور . وهو جاهل بما ركب فيه من شهوة وغضب ، والجهل يدعوه الى العجلة . وهو جاهل جهلا ذاتيا ، وعلمه نور من عند ربه ، فهو ظلماني الكينونة . وعلى اي حال فان الانسان تركيب من عجل) ، وانما الذين يزكيهم الله يتحلون بالاناة . قال الله تعالى : { **خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ** } (الانبياء /٣٧)

وقد نهى الاسلام عن العجلة . فجاء في نهج البلاغة ، ان قال أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : اياك والعجلة بالامور قبل اوانها ، والتساقط فيها عند امكانها ، او اللجاجة فيها اذا تنكرت ، او الوهن عنها اذا استوضحت . فضع كل امر موضعه ، واوقع كل عمل موقعه " . (١)

---

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٧١ / ص ٢٢٢ – عن الكافي / ج ٢ / ص ١٤٢

(2) المصدر / ص ٢٢٥ – عن الكافي / ج ٢ / ص ١٤٣

(3) المصدر / ص ٢٢٢ –عن الكافي / ج ٢ / ص ١٤٢

(1) تفسير نور الثقلين / ج ٣ / ص ٤٢٩

٢ / ومن حقائق عجلته ، انه يطالب حتى بالشر العاجل ، كما يدعو بالخير العاجل . فهو يدعو ربه ويسعى عمليا للوصول الى هدف فيه هلاكه ، لعدم تثبته ولجهله في عاقبة أمره . يقول الله تعالى : { **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً** } (الاسراء/١١)

٣ / ومن ذلك انهم طالبوا بنصيبهم في الدنيا (خيرا كان او شرا) . وقال الله تعالى : { **وَمَا يَنظُرُ هَؤُلآءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّالَهَا مِن فَوَاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ** } (ص /١٥- ١٦)

٤ / ولا يعرف البشر ان هذه العجلة - التي انطووا عليها - تهلكهم ، لان الله حكيم ذو أناة ، ولا يعجل عليه الشر (فلا يعذبهم ان اذنبوا ، بل يعطيهم فرصة للتوبة) . ولو انه عجل عليهم العذاب ما بقوا على الارض . قال الله تعالى : { **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللـه لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لايَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** } (يونس/١١)

٥ / ومن هنا فان البشر يحب الدنيا (لانها عاجلة) ، ويترك الاخرة بالرغم من ان فيها يوما ثقيلا ، هو يوم القيامة ، حيث الحساب وتحديد المصير . قال الله تعالى : { **إِنَّ هَؤُلآءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً** } (الانسان/٢٧)

٦ / وقال الله تعالى : { **كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ** } (القيامة / ٢٠)

يستعجلون بالسيئة :

١ / ومن ذلك انهم كانوا يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة . قال الله تعالى : { **قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ** } (النمل/٤٦)

٢ / ولا يعتبرون بالمثلات التي في التاريخ ، حيث دمر الله القرى الظالمة تدميرا ، حيث اخذهم بعذابه الشديد . وقال الله تعالى : { **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ** } (الرعد/٦)

٣ / وقد طالبت الامم المرسلين الذين انذروهم بعقاب اعمالهم ، طالبت بانجاز ما اوعدوهم وانذروهم به . ولو انجزت لدمروا شر تدمير ، كما دمرت قرى ظالمة من قبلهم . وكان الاحرى بهم ان يؤمنوا بالرسالة التي حملت اليهم كل حسنة ، ولعل هذا مراد الانبياء حين قالوا لهم : لم تطالبون بجزاء اعمالكم (السيئة) قبل الايمان بالرسالة (الحسنة) . وقال الله تعالى : **{ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ اللّه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }** (النمل/٤٦)

ومن ختام الاية نستوحي ، ان الحسنة التي لم يستعجلوها ، كانت التوبة التي تستمطر رحمة الله .

٤ / وقد كتب الله لهم اجلا مسمى . (لايعرفونه) ، وانه آتيهم ولا يستأخر عنهم ساعة . وانما يأتيهم بغتة وهم لايشعرون ، ولكنهم يستعجلونه (ويقولون لو كان حقا فلماذا لاينزل علينا العذاب) . وقال الله تعالى عنهم : **{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلآ أَجَلٌ مُسمًّى لَجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ }** (العنكبوت/٥٣)

٥ / وانهم لايشعرون ان اعمالهم محفوظة ، وانما هي العذاب الذي خفي عنهم ، وان جهنم محيطة بهم . (اذ انها من ذات افعالهم السيئة ، بل ان جزء من كيان الدنيا هو جهنم ، كما ان الجزء الثاني هو الجنة ، وانهم قد اختاروا جهن فهم لها وفيها) . قال الله تعالى : **{ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }** (العنكبوت /٥٤-٥٥)

الا ترى كيف يخاطبون ، بان يذوقوا ذات اعمالهم . فهي التي تصبح نارا في يوم الجزاء ، يوم تظهر الحقائق كما هي ومن دون حجاب .

٦ / والله تعالى ذو أناة ، (واليوم عنده كألف سنة) ووعده آت لا يخلف . فلماذا العجلة ؟

(انهم يطالبون بتحقق انذار الرسل سريعا ، ويزعمون ان التأخير دليل عدم صحته . كلا ؛ وعد

الله حق لايخلف ، ولكن اليوم عنده يختلف عما عندنا) .

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللـه وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } (الحج/٤٧)

٧ / ومادامت اعمال الكفار متصلة بهم ، وملحقة بكيانهم ، فانه لامعنى للعجلة . (اذ انها بالتالي معهم ، غير منفصلة عنهم) . قال اللـه تعالى : **{ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ }** (الذاريات/ ٥٩ ـ ٦٠)

٨ / وغدا حين يأتيهم العذاب ، ماذا تنفعهم سني المتعة والراحة ؟ وغدا حين يأتيهم العذاب لاينفعهم طلب المهلة . ولكنهم اليوم يستعجلون بالعذاب ، وتراهم لا يؤمنون بالحق حتى يروا العذاب رأي العين ، فلا ينفعهم الايمان يومئذ . قال اللـه تعالى : **{ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الاَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ }** (الشعراء/٢٠١-٢٠٧)

٩ / انهم اليوم في غمرة من السهو ، وغدا - حين ينزل بهم العذاب - يصعقون . وفي ذلك اليوم يخاطبون : ان ذوقوا العذاب الذي فتنتم به (والذي طالبتم به) ، انه هو ذلك العذاب الذي استعجلتم به ، قال اللـه تعالى : **{ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ }** (الذاريات/١٢-١٤)

١٠ / ولعل هذا هو المراد من تأكيد القرآن ، على ان امر اللـه قد اتى فعلا ، (لان كل حق واقع) . قال اللـه تعالى : **{ أَتَى أَمْرُ اللـه فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }** (النحل/١)

حيث نستوحي من سياق هذه السورة ، ان امر اللـه يتمثل في جزائه للكفار في هذه الدنيا (عند تدمير قراهم الظالمة وعند خروج ارواحهم) ، وفي الاخرة (عندما يخزيهم) . قال الله عز وجل : **{ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيثُ لاَ يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَآقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ**

عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ * فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } (النحل٢٦-٢٩)

١١ / وهذا هو العذاب الذي استعجله الكفار ، اذ قال اللـه تعالى : **{ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ }** (الصافات /١٧٥-١٧٦)

١٢ / وهكذا كان الكفار يطالبون النذر (سلام اللـه عليهم) بما يوعدونهم من العذاب . ولكن الانبياء (عليهم السلام) لم يكونوا يملكون قرار انزال العذاب بهم ، بل كان لكل امة اجل لا يسبقونه ساعة ولا يستأخرون . قال اللـه تعالى : **{ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ * قُل لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللـه أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ }** (الانعام/٥٧-٥٨)

هكذا كان امر العذاب بيد اللـه تعالى ، الذي يقضي بالحق ، ويفصل به بأفضل ما يكون ، وهو الرحمن الرحيم .

١٣ / وحين ينزل العذاب بهم يصعقون . انه بالضبط ذلك العذاب الذي طالبوا به ، واستعجلوا النذر به . قال اللـه تعالى : **{ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }** (الاحقاف/٢٤)

١٤ / ومن يدري ، لعل الذي يستعجلونه من العذاب قد ردف لهم (وهو قد اقترب اجله) ، فمن ينقذهم منه ؟ يقول اللـه تعالى : **{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ }** (النمل/٧١-٧٢)

حقا ان اللـه يؤخر عنهم العذاب رحمة بهم لعلهم يتوبون ، ولكنهم لا يشكرون هذه النعمة ، بل يستعجلون العذاب .

١٥ / وهكذا لو كان اللـه يؤاخذهم بما كسبوا ويجازيهم بذنوبهم سريعا ، لنزل بهم العذاب . ولكنه غفور رحيم ، ولذلك يؤخر عنهم العذاب لعلهم يرجعون . وهذه سنته في كل القرى الظالمة ، التي جعل لمهلكهم موعدا . قال اللـه تعالى : **{ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم**

بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَهُم مَوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً } (الكهف/٥٨)

١٦ / وحين ينزل بهم العذاب تراهم يبادرون بالايمان والتوبة ، ويدعون لرفع العذاب عنهم . ولكن هيهات ، لقد فاتت فرصة التوبة ولن تعود . قال الله تعالى : { **أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِ ءَآلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَستَعْجِلُونَ** } (يونس/٥١)

١٧ / ولكن لماذا اذا كان اولئك الناس يستعجلون بالعذاب ، انهم لم يكونوا يؤمنون حقا به ؟ قال الله تعالى : { **اللـه الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ** } (الشورى /١٧-١٨)

١٨ / وعلى الرسول (وكل داعية) ألاّ يستعجل عليهم ، (بل يسلم لما يقدره الله لهم) ، لان الله يعد لهم عدا ، (وانه قد يملي لهم ويستدرجهم ، ويريد ألاّ يجعل لهم في الاخرة حظا) . قال الله تعالى : { **فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً** } (مريم/٨٤)

لا تعجل بالقرآن :

١ / وعلى الرسول فيما يتصل بالوحي ألاّ يعجل بالقرآن من قبل ان يقضي اليه وحيه ، (ويأتي ميعاد نشر القرآن والدعوة اليه مما . يهدينا الى ان القرآن كان عند الرسول ، ولكنه كان يتبع امر ربه في وقت نشره) . قال الله تعالى : { **فَتَعَالَى اللـه الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْماً** } (طه/١١٤)

٢ / وهكذا القرآن كتاب الهي ، تقضي فيه مشيئة الله تعالى بالكامل ، وانما الرسول يبلغه الى الناس . وقد قال الله تعالى : { **لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** } (القيامة/١٦-١٩)

فالعجلة والاستعجال سواء من ناحية المتلقي (كالذين استعجلوا الانبياء بتحقيق الوعد) ، او من جانب الداعية والمعلم (كأن يعجل بذكر الحقائق لمن لم يستعد لها عقليا ونفسيا) ، انها حجاب عن وعي الحقائق . هذا عن الرسول ، اما عن العلماء فعليهم الحلم والأناة ،

لان كثيرا من الاخطاء تنشأ من التسرع في الحكم . ومن هنا كان الحلم وزير العلم ، لانه يورث الاناة
وعدم العجلة ، ويدعو الى المزيد من البحث والتبين .

بصائر الآيات

١ / (العجلة المسارعة في الشيء ، او استباق الحدث لسياقه الطبيعي) .

٢ / (والعجلة طينة البشر) ، فقد خلق من عجل . وانما الذين زكاهم الله ، هم الذين يتحلون بالاناة . وقد يدعو ربه الانسان بالشر دعاءه بالخير ، (فقد يسأل الله امرا فيه هلاكه) ، وقد يطالب بنصيبه في الدنيا قبل الاخرة (وليس ذلك من مصلحته) . ولو عجل الله للبشر جزاء اعمالهم ، ما بقيت فوق الارض دابة . والانسان يحب عاجل الدنيا ، ويذر الاخرة وفيها يوم ثقيل .

٣ / (ومن غريزة العجلة عند البشر ، انهم) يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ، (ويطالبون بنزول العذاب عليهم بما كسبوا) . وقد سبقت لهم العبر من الهالكين ، وكان الاحرى بهم ان يستغفروا ربهم . وان الله كاتب اجلا مسمى لاخذهم (فيؤخرون اليه) ، والا كان عملهم يقتضي نزول العذاب ، وان جهنم لمحيطة بهم . (فاعمالهم جعلتهم في سواءها ، ولكنهم لا يذوقونها حتى يأتيهم اجلهم ، والله تعالى ذو اناة لا يعاجلهم بالعذاب) ، فان يوما عنده كألف سنة مما يعدون . (وهكذا فان ما اجترحوه من الاثم محفوظ عليهم ، وكانه) ذنوبهم المتصل بهم . ولهم الويل من يوم الوعيد ، حيث يسألون الامهال فلا يستجاب لهم . وفي يوم القيامة ، حيث يعرضون على النار يقال لهم ؛ هذا الذي كنتم به تستعجلون . (وعند نزول العذاب بهم في الدنيا أوفي الاخرة) ، يبصرهم الناس فيفتضحون . انه فعلا العذاب الذي استعجلوه ، ثم انهم كانو يطالبون الرسل بالعذاب ، وانما الله هو الذي يقضي به ، فان الحكم إلا له وهو خير الفاصلين .

٤ / ثم ان العذاب الذي استعجلوه يصعقهم . وترى بعض الكفار يستعجل بالعذاب ، وهو لا يدري لعله قد اقترب منه ، وهو في غفلة منه .

٥ / وانما يؤخر اللـه العذاب عن الناس بما اجترحوا ، لانـه سبحانه غفور ذو الرحمـة . ولكن اذا جاء اجلهم (وانتهت فترة المهلة) ، فانه لا ينفعهم الايمـان ولا التوبـة . ومـن هنـا ترى المؤمنين مشفقين من الساعة ، بينما المجادلـون فيهـا فـي ضـلال بعيد . ولكن علـى المؤمنين ألاّ يستعجلوا
العذاب للكفار ، اذ ان اللـه تعالى يعدهم عدا .

٦ / (ومن ابعاد العجلة التي تضر بالمعرفة ؛ الاستعجال بالوحي) . وقد نهى ربنـا من ان يعجل بالقرآن من قبل ان يقضـى وحيـه الـى الرسـول (فيؤمر بابلاغـه) . وانـه لكتـاب اللـه ، والرسول مبلغه . فلا يجوز ان يحرك به لسانه ليعجل بـه ، بل اللـه هو الذي عليـه جمعه وقرآنه ، وعلى الرسول ان يتبع قرآنه .

٧ / (وهذا درس عظيم في التعلم ، ألاّ يستعجل المتعلم ، فان العجلة قد دفعت الكثيرين الـى التسرع واوقعتهم فـي الاخطـاء . انمـا علـى الباحث ان يسلم للحق ، وتطمئن نفسـه بـالعلم وحده) ..

فقه الآيات

١ / المسارعة الى الخيرات ، والعجلة في عمل البر ، من صفات المقربين (طـه / ٨٤) ، وهي تقتضي مرضاة الرب سبحانه . وتفصيل هذه الفضيلة فيما يلي :

ألف : المسارعة الى المساجد ، والعجلة في اقامة الصلوات ، والاستغفار من الذنوب ، واداء حقوق النـاس ، ورد مظـالمهم فـي أول وقت ممكـن ، وكـذلك الاستعداد التـام للقـاء الرب برضا كامل عند تلقي دعوته عبر ملك الموت .

باء : الاهتمام بالوقت . فالسـاعات التـي يضيعهـا البـعض باللهـو واللغـو ، تستطيع أنـت - ايها المؤمن - ان تحولها الى مطايا سريعة الى الجنـة والرضـوان . ولـذلك ان مـن ابـرز صـفات المـؤمنين ؛ الاعـراض عـن اللغـو ، والسـلام علـى الجـاهلين ، وتـرك المـراء ، واجتناب ما يلهيهم عن ذكر اللـه او عن العمل الصالح .

جيم : وهكذا تعني العجلة - فيما تعني - احترام الوقت ، واختصار المسافات الزمنية لتحقيق
التطلعات . ومن هنا فان السرعة مطلوبة مادامت تختصر الوقت ، وتمدد العمر ، وتزيد العمل
الصالح .

٢ / ولكن العجلة التي تردي صاحبها ، منهي عنها (الفتح / ٢٠) و (الاعراف / ١٥٠) . وتفصيل القول فيها :

الف : العجلة في امر الله تعالى ؛ فالصلاة قبل وقتها ، والحج في غير اشهره ، والجهاد قبل إلاذن به ، وتكلف السؤال فيما لم يحن وقت بيانه . كل ذلك قبيح ، فان لكل اجل كتاب .

باء : العجلة في مغانم الدنيا غير جيدة ايضا ، وهي من الشيطان ، وإثاراة شهوات النفس ، إلا اذا كانت الدنيا وسيلة لنيل مرضاة الله فهي مطلوبة . فالمسارعة في الزواج والتزويج مطلوبة ، لانها تحصن البشر من الفساد ، والاستباق الى الاسواق طلبا للمعاش حسن .

جيم : ومن الأمور ما يحتاج الى الحكمة في العجلة فيها . فاقتطاف الثمرة قبل اوانها مفسدة للثمرة ، تماما كما تركها بعد ذلك . فاذا على الانسان ان يعرف وقت كل عمل ، فلا يعجل قبل وقته ، ولا يستأخر بعد أوانه ، ولا يلج بعد فوات الوقت .

دال : العجلة في الواجبات الموسعة مطلوبة ، إذا لم تتزاحم مع اعمال صالحة اخرى (البقرة / ٢٠٣) ، مثل البقاء في منى في اليوم الثالث عشر او النفر في الثاني عشر منه .

٣ / استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، والمطالبة بتعجيل نصيبك فيها . وحب العاجلة وترك الآخرة ، كل اولئك من الصفات المتجذرة في البشر . وعلى المؤمنين مجاهدة انفسهم للتخلص منها (الانبياء / ٣٧) و (الاسراء / ١١) و (ص / ١٥ - ١٦) .

٤ / المبادرة بالاستغفار بعد الذنب ، لانه وسيلة الرحمة . فاذا مر بك طائف من الشيطان ، فاوقعك في معصية الرب الجبار ، فعجل بالتوبة قبل ان يقسو قلبك ، وينزل بك عقاب عملك ، والعياذ بالله (النمل / ٤٦) .

٥ / الاستعجال بالعذاب ، من اشد المحرمات . وهو ان يقول الانسان - كما قال الكافرون - لو كان هذا حراما فلماذا لم يعذبني الله تعالى . والله لايعذب احدا باقتراحه ، وانما حسب حكمته البالغة ، وقضاءه المبرم (الرعد / ٦) (النمل / ٤٦) (العنكبوت / ٥٣) ، وآيات اخرى تليت علينا آنفا .

٦ / وعلى العلماء الرساليين الدعاة الى الله تعالى ، ان يتحلوا بالحلم والحكمة في نشر العلم . فان العجلة في نشر الوحي ، وبيان الحكم قبل استعداد الناس له ، قد تسبب في الرفض (القيامة / ١٦- ١٩) و (طه / ١١٤) .

في رحاب الاحاديث

١ / عن عبد العظيم الحسني ، عن ابي جعفر الثاني ، عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : " التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم " . (١)

٢ / عن ابان بن تغلب قال : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : " مع التثبت تكون السلامة ، ومع العجلة تكون الندامة ، ومن ابتدأ بعمل في غير وقته ، كان بلوغه في غير حينه " . (٢)

٣ / عن زرارة ، عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " انما اهلك الناس العجلة ، ولو ان الناس تثبتوا لم يهلك احد " . (٣)

٤ / قال النبي (صلى الله عليه وآله) : " اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته ، فان كان خيرا فاسرع اليه ، وان كانا شرا فانته عنه " . (٤)

---

(1) موسوعة بحار الانوار / ج ٦٨ / ص ٢٣٨ - عن امالى الصدوق / ص ٢٦٨
(2) المصدر / ص ٣٣٨ - الخصال / ج ١ / ص ٤٩
(3) المصدر / ص ٣٤٠ - عن المحاسن / ص ٢١٥
(٤) المصدر/ ص ٣٤٢